العولمة ..
وصورة الإسلام

دور الطبقة الرأسمالية عابرة القومية
في السيطرة على الإعلام الدولي
لتشكيل صورة العالم الإسلامي

دكتور
محمد حسام الدين
المدرس بكلية الإعلام - جامعة القاهرة

٢٠٠٢

المدينة برس



إهـــداء

إلى ذكرى أمى ..

وإلى ذكرى أبى ..

ربى ارحمهما كما ربيانى صغيراً

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

صدق الله العظيم

(البقرة:٦٢)



محتويات الكتاب

الموضوع

تقديم

كاتب هذه السطور يحب الإسلام ويكبر قيمه وأخلاقياته المتوجهة نحو الآخرة والخلود .. ولا ينكر فضل الغرب بعقلانيته ونظامه بل يعترف أنه لم يستطع أن يهرب من الإعجاب به وبدنياه.. وهو بفضل نشأته الدينية وتعليمه الحداثي ما كان له أن يأخذ مواقف حدية من هذا أو ذاك.. من الإسلام أو الغرب.. ولعل هذا هو مفتاح رؤيته – المتوازنة أحياناً المتوترة أحياناً – للعلاقة بينهما.

وهو لا يرى – ولا يريد أن يرى في المستقبل – صراعاً دينياً بين الإسلام والغرب.. ويحلم أن يشهد تعاوناً وتفاهماً بدلاً من ذلك.. ولكن أحلامه وأمانيه لم تمنعه من أن يرصد واقع العلاقة بين العالمين الإسلامي والغربي ومنطق المواجهة بينهما في السنوات العشرة الأخيرة.

وقد بنى رؤيته على أن المستجدات الاقتصادية والسياسية التي واكبت العولمة والخطاب الذي تمخض عن هذه المستجدات كانا بمثابة العدسة الجديدة التي يرى بها الغرب الإسلام امتدادا للعدسات الاستشراقية والاستعمارية السابقة

على هذه المتغيرات الكوكبية.. فيما كان ميراث الماضي الاستشراقي والاستعماري يطل برأسه عندما يسخن الصراع بين العالمين ويتم تبادل القصف الإعلامي على خطوط التماس المتوترة كما حدث في أعقاب الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١.

وهو يذهب في كتابه أن الطبقة الرأسمالية عابرة القومية في كل من المراكز الغربية والهوامش الإسلامية هي مركز تحليل الصدام الحادث والمرتقب بين دار الإسلام ودار الغرب ! .. فهي الطبقة التي سيطرت سيطرة شبه كاملة على بيئة الإعلام الدولي في العقد الأخير.. وهي المسئولة عن الترويج لثقافة ما بعد الحداثة وأخلاقيات الرغبة التي تركز عليها.. وهو يرى في ذلك مسوغاً لمصداقية ومشروعية تحليلاته في المستقبل المنظور على الأقل.

وهذا الكتاب هو فصول منتقاة من رسالته [التغطية الصحفية الغربية لشئون العالم الإسلامي خلال التسعينيات] ، والتي نال بها درجة الدكتوراه من كلية الإعلام جامعة القاهرة ، وهو ثمرة خبرته البحثية في مصر والولايات المتحدة

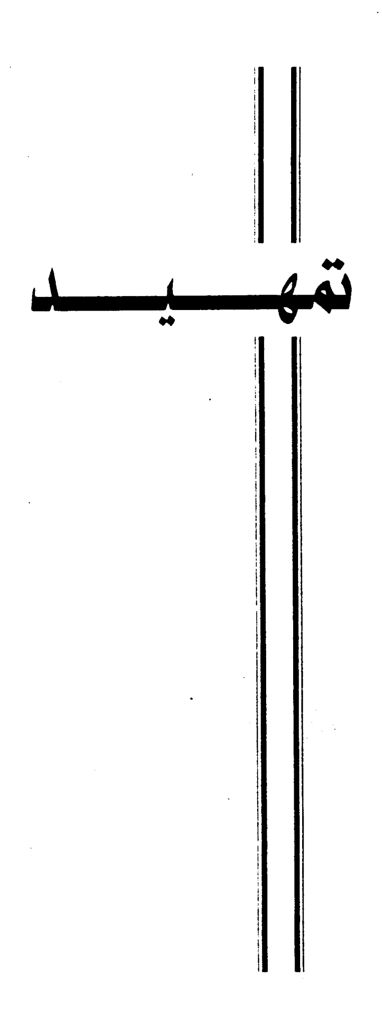
الأمريكية التي قضى بها عامين ما بين ١٩٩٩و ٢٠٠١ في جامعة إنديانا بولاية بنسلفانيا.

وفيما كانت كتابات "عاطفية" كثيرة عن العلاقة الخلافية بين الإسلام والغرب تأخذ طريقها إلى المكتبة العربية خاصة بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، فإن هذا الكتاب يأتي ليناقش "بالعقل" رؤية اقتصادية وسياسية جديدة لجوهر الصراع الذي يلعب فيه الإعلام الكوكبي العابر للحدود دور العامل المساعد المهيج .. ساكباً مزيداً من الوقود على النيران.. راشاً كثيراً من الملح على الجروح.

والله –سبحانه وتعالى– أسأل أن ينير بصائرنا ويهدينا سواء السبيل لعالم يسوده العدل والرحمة والسلام.. عالم يغدو فيه الإنسان حراً بسلطان العقل والضمير وسيداً.

د. محمد حسام الدين

الجيزة – سبتمبر ٢٠٠٢



تمهيد

مع مطلع العقد الأخير فى القرن العشرين، وفى أعقاب التحولات المجتمعية الحادة التى حدثت فى الاتحاد السوفيتى السابق ودول أوربا الشرقية، بدأت الدوائر الأكاديمية الغربية – الأمريكية بالأساس – فى تصعيد اهتمامها بدراسة الإسلام كدين وعقيدة، وكقوة سياسية وحضارية تملأ الفراغ الأيديولوجى والسياسى الناشئ عن هذه التحولات، والذى يمثل تهديدات مباشرة للمصالح الغربية فى العالم من جهة ولنسق القيم التى تحفظ هذه المصالح من جهة أخرى.

وقد انقسم هؤلاء الأكاديميون إلى فريقين، الأول: ذهب إلى أن الصراع الإسلامى الغربى سيصبح جزءاً أساسياً من السياسة الدولية فى المستقبل المنظور، ويعتبر (صمويل هانتجتون) الأستاذ بجامعة هارفارد رائد هذا الفريق بمقاله الشهير "صدام الحضارات" الذى وضع فيه تصوراً معيناً للمستقبل يحل فيه صراع الحضارات محل الحروب الباردة والمعارك الأيديولوجية حول الفاشية والشيوعية والديمقراطية التى سيطرت على صراعات القرن الماضى، ويتوقع هانتجتون أن يميل الناس إلى تعريف أنفسهم وفقاً لانتماءاتهم الحضارية الغربية، الإسلامية، الكونفوشيوسية الصينية، الأمريكية اللاتينية، السلافية الأرثوذكسية ... إلخ وسيكون الصراع الإسلامى – الغربى هو الأكثر استمرارية[1].

أما الفريق الثانى فقد قرر أن اعتبار الإسلام عدواً للغرب يهدد مصالحه هو مبالغة وتحريف لطبيعة الإسلام إلى جانب كونه إنكاراً للحقائق الأساسية للعالم الإسلامى وعلاقاته المختلفة بالغرب، ويشمل جون أسبوزيتو الأستاذ بجامعة

---

(١) ألفت حسن أغا: **الأصولية الإسلامية فى الإعلام الغربى**، سلسلة كراسات استراتيجية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، عدد (٢٥)، يناير ١٩٩٥، ص ٧ نقلاً عن:
Samuel P. Huntington, " **The Clash of Civilizations** ", Foreign Affairs, spring 1993, pp. 43-56.

(جورج تاون)، وجراهام فولر الباحث بمؤسسة (راند) والمحلل السياســي الســابق بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية الذى اقترح التعامل مع الحركات الإســلامية الثورية باحتوائها بدلاً من مواجهتها [(١)].

وكما انقسم الباحثون السياسيون، انقسم الباحثون الإعلاميون الغربيون مــا بين معتبر أن الإعلام الغربى عليه العبء الأكبر فى مواجهة الخطــر الإســلامى القادم، وبين مقرر أن هذا الإعلام قد زاد من تحيزه ضد الإسلام، ومن التوسع فــى التغطية غير الموضوعية والمشوهة لتحقيق مكاسب سياسية [(٢)].

ومع بداية حرب الخليج الثانية اكتشفت وســائل الإعــلام الغربيــة القيمــة التسويقية العالمية لموضوع (الإسلام)، وشرعت القنــوات التليفزيونيــة والصحــف اليومية والأسبوعية والكتب فى تناول تفاصيله دون أن تلقى بالاً للتيارات السياســية المختلفة وللأبعاد الاجتماعية والعرقية والثقافية فى البلدان الإسلامية وهى أبعاد جــد معقدة فعرضت الإسلام ككتلة واحدة صماء دون تباينات [(٣)].

وقد جاء هذا الاهتمام من جانب الإعلام الغربــى بالإســلام متزامنــاً مــع مجموعة من التغيرات العميقة فى بيئة الإعلام الدولى منها زيادة البث التليفزيونــى الفضائى المباشر، والتوسع فى الاستخدام التجارى الشخصى لشــبكات المعلومــات الدولية وعلى رأسها شبكة (الإنترنت) الأمريكية فضلاً عــن ظــهور مــا يســمى بالطريق السريع أو (السيارة) للمعلومات Super High Way الذى كان نتاجاً لتطور تكنولوجيا الوسائط المتعددة Multi Media تزاوجاً لثورتى المعلومات والاتصال.

---

(1) Stephen Franklin, "**Covering the World of the Muslims**", Columbia Journal of Research, Vol. 37, No. 1, Jan. 1995, p. 17.

(2) Ibid, p. 17.

(٣) يوخين هيبلر، أندريا لويج: **الإسلام العدو بين الحقيقة والوهم**، ترجمة أيمن شرف (القاهرة: الفرسان للنشر والتوزيع، ١٩٩٤)، ص ٢١.

فبلغ حجم استثمارات صناعة المعلومات فى دولة مثل الولايـات المتحـدة الأمريكية ١٧٩ مليار دولار تنافس عليها ٢٠٠٠ شركة طبقاً لإحصـاءات مركـز الأمم المتحدة للشركات عبر القومية، كما تمتلك أمريكا حوالـى ٦٠% مـن بنـوك المعلومات فى العالم، ٧٥% من حجم الإنتاج التليفزيونى العالمى، ٨٢% من حجـم إنتاج الكمبيوتر ومكوناته وكذلك تكنولوجيا الأقمار الصناعية التـى حولـت إليـها الإدارة الأمريكية جزءاً كبيراً من ميزانية برنامج حرب النجوم بعد انهيار الاتحـاد السوفيتى لاستخدام تكنولوجيا الفضاء فى الهيمنة الثقافية [1].

وفى عالم أحادى القطبية، عمدت **الولايات المتحدة إلى استخدام** المؤتمـرات الدولية للأمم المتحدة (البيئة، السكان، **المرأة) كآليـة سياسـية وإعلاميـة** لتشـكيل الإجماع القيمى الذى تراه **القوة المهيمنة اقتصادياً وسياسـياً وعسـكرياً** وإعلاميـاً لاسيما بعد ظهور نظرية البروفيسور فرانسيس **فوكاياما (نهاية التـاريخ)** المبشـرة بالانتصار التاريخى للرأسمالية كنظام اقتصادى، **وللديمقراطيـة والتعدديـة** كنظـام سياسى بما يحمله الاثنان من قيم نفسية واجتماعية.

وقد اصطلح على تسمية الآليات السابقة **بآليات مفهوم الكوكبية أو "العولمـة" Globalization الذى يعكس العلاقة بين البنية التحتية لوسائل الإعلام فى الأسـس وبين القيم والأعراف التى تقدمها فى ظل الثورة التكنولوجية، أو بعبارات أخـرى: الاقتصاد السياسى لوسائل الإعلام فى نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادى** والعشرين [2]. **فيما كان بعض الأساتذة الأمريكيين المحافظين من أمثال جون ميـرل Merrill يسقطون تعبير (النظام الإعلامـى العالمى الجديد) – الذى تبنته اليونسكو**

---

(1) Fredrick Williams & John. V. Pavlik. **The People's Right to Know: Media, Democracy and the Information Highway** (New Jersy: LEA Publishers. 1994). p. 220.

(2) George Gerbner et al (eds.). **The Global Debate: Its Rise, Fall and Renewal** (New Jersy: Ablex Publications. 1993). p 5.

فى السبعينيات لتحقيق نظام إعلامى أكثر توازناً – على الوضع الراهــن فيســمونه افتئاتاً وبهتاناً (النظام الإعلامى والاتصالى العالمى الجديد) NWICO [١]

ولذلك تكتسب دراسة (التغطية الصحفية الغربية لشئون العــالم الإســلامى) أهمية تطبيقية باعتبارها تنحو إلى رصد تأثير البيئة الجديدة للإعلام الدولــى علــى السياسيات الإعلامية، والاستراتيجيات الاتصالية التى تمثل متغيراً وســيطاً يفضــى إلى قرارات تحريرية بشأن ما ينشر ويبث عن العالم الإسلامى فى الإعلام الغربــى، يدعم ذلك ما انتهى إليه جيمس هوج Hoge رئيس تحرير دورية (شئون خارجيــة) من أن وسائل الإعلام ستقوم بدور العامل المساعد Catalyst فى تذكية الصراعات السياسية الكوكبية من جهة، واستغلال غياب استراتيجية حكومية مقنعــة ومتبلــورة لوضع أولويات لصانعى القرار تجاه هذه الصراعات من جهة أخرى [٢].

• • •

رأى المؤلف أن تعتمد دراسته فيما يتعلق بإطارها النظرى علــى فكــرة (تعــاضد وتساند الأطر النظرية المفسرة لظواهر الإعلام الدولى) وهى الفكرة التى طرحــها أستاذان كبيران فى الإعلام الدولى على الرغم من تباينهما الفكرى ، فأحدهما هــو حميد مولانا Mowlana المنظر النقدى المعروف، والثانى هو روبرت ستيفنســون Stevenson أحد أعمدة التيار المدرسى الأمريكى المحافظ.

فقد رأى (مولانا) فى إطار بحثه عن نموذج جديد للإعلام الدولى ضــرورة تبنى فهم متداخل لتأثير الإعلام ونماذجه وأبعاده يتمشى مع دور الإعلام الدولى فــى التغيير الثقافى والاجتماعى بالتحرر من القوالب النظرية الجامــدة [٣]، فيمــا ذهب

---

(1) John Merrill et al. **Modern Mass Media.** 2nd ed., (New York: Harper Collins College Publishers, 1994), p. 419.
(2) James Hoge, Jr. "**Media Pervasiveness**", Foreign Affairs, Vol. 73, No. 4, July/August 1994, pp. 136-144.
(3) Hamid Mowlana, "**International Communication Research in the 21st Century: From Functionalism to Postmodernism and Beyond**" in Cees Hamelink et al (eds.), Mass Communication Research and Policies (New Jersy: Ablex Publication Co., 1994), pp. 353-368.

(ستيفنسون) إلى أن الدراسات الدولية وعبر الثقافية فى الإعلام يجـــب ألا تعتمد على "التدفق" Flow أو "السيادة الثقافية لأمة على أخرى" Hegemony فقط، بل يجب أن ترتبط المداخل النظرية

على نحو مقارن لتفسير ظواهر هى بالأساس كونية [1].

لذلك فإن طبيعة موضوع الكتاب تفترض أن تتساند مجموعة من المداخـــل النظرية وهى: مدخل (العولمة / الكوكبية) وسيتم استخدامه لاختبار الفـــروض ذات الطابع الكلى Macro، مدخل (التدفق)، ثم مدخل (تأثير الأطر الإعلاميـــة) وهمـــا المدخلان اللذان يصلحان لاختبار الفروض أو إجابة التساؤلات ذات الطابع الجزئـــى Micro فيما يتعلق بتغطية الإعلام الدولى لشئون العالم الإسلامى.

• فمدخل العولمة / الكوكبية يعنى – ضمن ما يعنى – الاتجـــاه العـــالمى المتزايد للتقارب بين السلع والناس ورأس المال، وكذلك يشمل الاعتمـــاد المتبـــادل على المجتمع المدنى الكونى المدعوم بحوالـــى ١٠ آلاف منظمـــة غـــير حكوميـــة NGOs تعمل بوصفها إطاراً موازياً للحكومات فى الوقت الذى يوفر فيـــه الســـلام العالمى – من وجهة نظر الدول المروجة للفكرة – المناخ المناسب لهذا التقـارب[2]، وللعولمة (الكوكبية) مظاهرها الإعلامية التى رصدها ستيفنســـون وهـــى: الهيمنـــة الأنجلوأمريكية عن طريق آليات اللغة (الإنجليزية)، وكـــالات الأنبـــاء والأخبـــار، الثقافة الشعبية / ثقافة البوب، وتكنولوجيا المعلومات، ثم انبعاث الثقافـــات القائمـــة على الدين والعرق واللغة فى الوقت الذى تتم فيه الدعـــوة لثقافـــة كونيـــة ســـائدة، وانتصار نمط الصحافة التى لا تتحكم فيها الحكومات [3].

وقد أضاف هيرش Hirsch لمظاهر العولمة التغيرات التى حدثت علـــى

---

(1) Robert Stevenson, "**Defining International Communication as a Field**". Journalism Quarterly, Vol. 69, No. 3, Fall 1992, pp. 543 – 553.

(2) Haluk Sahin et al. "**Global Media and Cultural Identity in Turkey**". Journal of Communication, Vol. 43, No. 2, spring 1993, pp., 31 - 41.

(3) Robert Stevenson, Op. Cit., pp 543 – 553.

صعيد ملكية وسائل الإعلام الكبرى بدخول مستثمرين يابانيين وإيطاليين واسـترالیین لشراء أسهم كبيرة فى وسائل الإعلام الأمريكية، وظهور تكتلات صحفية وإعلاميـــة دولية جديدة فى إيطاليا (بيرلسكونى)؛ كندا (طومسون)، البرازيل (مارينهو) (١).

ويعتبر نموذج الصراع الثقافى والحضارى هو وجه العملة الآخر لنمـــوذج العولمة، إذ كان الأول رد فعل للأخير الذى يحاول تشكيل إجمـــاع قيمـــى مقبـــول ومتداول فى العالم أجمع يستطيع أن يمرر به سياسات ربط الحكومـــات والقطـــاع الخاص فى دول العالم الثالث خاصة بدوائر صنع الاقتصاد الرأسمالى الكونى الـــذى يعتمد على استراتيجيات إعلامية وإعلانية كونية تطلق العنان لشـــهية الاســـتهلاك ونمط الإنتاج الذى يقابل هذه الشهية (٢).

ويقدم مجيد تيهرانيان Tehranian تحليلاً فائق العمق يفســـر فيـــه لمـــاذا يعتبر الإسلام بنسقه القيمى القائم على الإيثار والقناعة وإشـــباع الـــروح - علـــى المستوى النظرى على الأقل - خطراً داهماً على مشروع العولمة ونسق قيم ثقافـــة ما بعد الحداثة القائم على اللذة والإشباع المادى بالأساس، كما يفســـر لمـــاذا يقـــدم الإعلام الغربى صوراً مغلوطة للإسلام السياسى وحركات العنف دون أن يبيـن دور السياسات الاقتصادية الكوكبية فى حالة الإحباط العميق الذى تعـــانى منـــه شـــرائح كبرى فى المجتمعات الإسلامية (٣).

وقد رأى المؤلف أن يختبر فرضية أساسية فى بحثه ترى أن هناك تمثـلاً أو تناصاً Intertextuality بين خطاب العولمة الاقتصادى والسياسى والإعلامى الذى تنتجه الطبقة الرأسمالية عابرة القومية وبين الخطاب الصحفى الغربى الـــذى يُعيـــد

(1) Paul Hirsch, "**Globalization of Mass Media Ownership**", Communication Research, Vol. 15, No. 6, December 1992, pp. 677 – 681.

(2) Enrique Gonzalez – Manet, **Information and Society: The New Challenges** (New Jersy: Albex Co., 1992), p. 9.

(3) Majid Tehraninan, "**Global Communication and Its Critic**", Journal of Communication, Vol. 45, No. 2, spring 1995, pp. 185-193.

إنتاج مقولات خطاب العولمة وأدلته وتبريراته عند تغطيته لشئون العالم الإســـلامى فى التسعينيات.

وعلى ذلك يفترض المؤلف أن العولمة هى العدسة الثالثـــة الجديـــدة بعـــد العدستين الاستشراقية والاستعمارية التى يرى بها الغرب الإسلام وهو ما سيوضحه تفصيلاً فى فصول الكتاب، وتجدر الإشارة إلى أن العدسة العولمية قد سادت ويمكـن أن تسود وقت السلم، بينما يتم "وضع" العدستين الأخريين فـــى أوقـــات الحـــروب والمواجهة كما تجلى ذلك بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الدامية، والتى اتهم فيـــها تنظيم القاعدة الذى يقوده المنشق السعودى أسامة بن لادن بضرب مركـــز التجـــارة العالمى بنيويورك، ومبنى وزارة الدفاع الأمريكية بالعاصمة واشنطن.

● ويدرس مدخل التدفق للأخبار والمعلومات التوازن الخـــارجى للأخبـــار المنشورة أو المذاعة عن مناطق مختلفة من العالم أو بين دول منطقة معينة؛ ولعـــل نموذج الباحث النرويجى جالتونج Galtung لتدفق الأخبار فى العالم، المطور مـــن داخل عباءة المدرسة السياسية فى العلاقات الدولية يصلح نموذجاً نظريـــاً لتفســير تغطية وسائل الإعلام الغربية خبرياً لشئون العالم الإسلامى والتـــى ترتكـــز أحـــد فرضياته على ارتباط تغطية دول المركز للأحداث الدائرة فى دول الأطراف علـــى مدى تعرض مصالح دول المركز للأخطار [1]، وهو ما سيناقشه المؤلف في الفصل الأول.

● ويأتى مدخل دراسة (تأثير الأطر) بتطبيقاته النقدية ليكمل التساند النظـرى لتغطية شئون العالم الإسلامى، إذ تقدم هذه التطبيقات تحليـــلات متعمقـــة للأســـباب والحلول التى تطرحها وسائل الإعلام للقضايا التى تقوم بتغطيتها باستخدام المداخـــل اللغوية والدلالية وكذا للأدوار التى تطرحها التغطية للقوى الفاعلة، وهـــى الأطـــر

(1) William H. Meyer. **Structures of North – South Information Flow: An Empirical Test of Galtung's Theory.** Journalism Quarterly. Vol. 68. No. 1. 2. spring / summer 1991. pp. 230 – 237.

التى تشكل الصور الإعلامية التى تتحول لصور ذهنية عندما يتم دراسة الناتج النهائى للانطباعات الذاتية التى تتكون لدى الأفراد أو الجماعات إزاء شعب أو جنس أو دين بعينه أى عند دراسة الإنسان (القائم بالاتصال - الجمهور)، وهو ما سيتم التعرض له بالتفصيل فى الفصل الأول.

وسيستخدم المؤلف فى دراسته تعريفاً للتغطية يعنى به "العملية التى يقوم خلالها المحرر الصحفى بالحصول على معلومات عن التفاصيل والتطورات والجوانب المختلفة لحدث أو واقعة أو تصريح ما، ثم يقيم هذه المعلومات ثم يكتبها ويحررها بأسلوب صحفى مناسب وقد تكون التغطية تمهيدية أو تقريرية أو تتبعية " (١).

وهى العملية التى يمكن الاقتراب منها نظرياً من خلال المداخل المختلفة لعلوم الاتصال، والمؤلف فى دراسته سيستخدم مدخلى التدفق الخبرى، وتأثير الإطار.

• • •

تتركز المشكلة البحثية حول رصد جوانب التغطية الصحفية الغربية الكوكبية لشئون العالم الإسلامى فى التسعينيات من خلال تحليل وتفسير شكل التدفق وتأثير الأطر الإعلامية للجوانب الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية المختلفة لبلدان العالم الإسلامى كما تتناولها عدد من وسائل الإعلام ذات الانتشار الكونى، وقد اختيرت الصحافة الأمريكية والبريطانية الكوكبية بوصفها أكثر حلقات فكرة العولمة تكوناً ونضجاً وأشدها تأثيراً.

وترتبط المشكلة البحثية بالنقاط التالية:

- إن الإسلام بما يمثله من نسق معيارى وقيمى ذى مخزون حضارى

---

(١) ليلى عبد المجيد ومحمود علم الدين: **فنية الكتابة الصحفية والتحرير**، (القاهرة: دون ناشر، ١٩٩١)، ص ١٢٥.

يشكل تهديداً مباشراً للإجماع القيمي والسلوكي الذى يمثل السـداة واللحمـة لفكـرة العولمة باعتباره ابرز آليات استمرارها وبقائها، وهى الفكرة التى تروج لها وسـائل الإعلام الأمريكية وتلح عليها باعتبارها الوسيلة التى تحفظ للولايات المتحدة مركـزاً وسط القوى العالمية الأخرى (اليابان - الصيـن - أوربـا الموحـدة - النمـور الأسيوية) بل لا نتجاوز حين نقول لحفظ الولايات المتحدة من الانهيار، فقد رصـد عدد من الباحثين مظاهر التدهور الأمريكى فى مجالات الاقتصاد والتصنيع والتعليم والصحة مقارنة بالقوى العالمية الأخرى، وفـى التسـعينيات مقارنـة بالسـتينيات والسبعينيات بالنسبة للولايات المتحدة نفسها، فالشركات متعددة الجنسية مثلاً يحميـها من السقوط فى أمريكا الإبقاء على نمـط الاسـتهلاك - لا سـيما فـى صناعـة المعلومات - والتى تروج لها استراتيجيات العلاقات العامة فـى هـذه الشـركات الكبرى [1].

فإذا كانت حركات العنف السياسى التى تتبناها بعض الجماعات فـى العـالم الإسلامى تشكل خطراً تكتيكياً على المصالح الأمريكية فى العالم فإن قيم النمـوذج الإسلامى تشكل الخطر الاستراتيجى، ولذا فإن تبنى شعوب العالم لفكـرة العولمـة ونسقها القيمى هو معيار نوعية التغطية الكوكبية لها إيجابـاً أو سـلباً، وفـى هـذا الإطار تصح المقارنة بين صورة ماليزيا وصورة إيران [*]، يرتبط بذلك ما انتـهى إليه باربيرو من أن الولايات المتحدة تروج لفكرة العولمة لأن شركاتها هـى التـى تنتج الأدوات التكنولوجية الاتصالية والمعلوماتية التى تحدثها [2].

---

(١) انظر فى ذلك على سبيل المثال - ميشيل ألبير: **الرأسمالية ضد الرأسمالية**، ترجمة مركـز سيداج (القاهرة: مكتبة الشروق، ١٩٩٥).

(*) تحسنت صورة إيران فى الإعلام الغربى بعد إصلاحات الرئيس الإيرانى محمد خاتمى الـذى يرأس إيران منذ عام ١٩٩٧ وحتى الآن.

(3) Jesus – Martin Barbero, "**Latin America: Cultures in the Communication Media**", Journal of Communication, Vol. 43, No. 2, spring 1993, pp. 18 – 30.

• أن وسائل الإعلام الكوكبية تشكل الصورة الذهنية عن الأمم والشعوب والأفكار والسياسات لدى قطاعات عريضة من صانعي القرار، والإعلاميين، والجمهور العام خارج الولايات المتحدة الأمريكية بل أن وسائل الإعلام الكوكبية خاصة القنوات الفضائية كشبكة CNN أصبحت مصدراً أساسياً من مصادر الأخبار في دول العالم الثالث خاصة بما يعني أن صورة بعض الدول الإسلامية عن بعضها البعض تشكلها وسائل الإعلام الكوكبية.

• إن وسائل الإعلام الكوكبية تستغل آليات العولمة الأخرى كالمؤتمرات الدولية (البيئة – السكان – المرأة) كي تروج للنسق القيمي والسلوكي العولمي – إن جاز التعبير – في الوقت الذي تبرز فيه الخصوصية الإسلامية على أنها خروجاً عن نسق الحضارة واتجاهاً سلوكياً ناشزاً متخلفاً، يدعم ذلك ما أوردته إيناس أبو يوسف – نقلاً عن دويتش وميريت – من أن وسائل الإعلام لديها القدرة على تغيير الصورة القائمة لما لها من إمكانيات فائقة في التأثير على الرأي العام وعملية التنشئة الاجتماعية وكذلك التركيز على موضوعات وأحداث دون أخرى (١).

• أنه على الرغم من تبني بعض الدول الإسلامية الكبرى كمصر والسعودية وتركيا سياسات إعلامية فضائية إلا أنه لم يتبلور بعد سياسة فضائية إسلامية موحدة، تقدم الإسلام كنسق قيمي واجتماعي وتشريعي في مقابل الإجماع القيمي الذي تكرسه العولمة، ذلك لعدة أسباب منها القطرية المسيطرة على الفكر السياسي للدول الإسلامية وعدم وضوح فكرة الجامعة الإسلامية Pan – Islamism بسبب الاختلافات التاريخية الدينية والسياسية ومنها سيطرة القطاع الخاص بالكامل على القنوات الفضائية في تركيا واتجاهه لتحقيق أرباح تجارية سريعة وجذب أكبر عدد من المشاهدين والمعلنين (٢).

• • •

(١) إيناس أبو يوسف، مرجع سابق، ص ١٩.

(2) Haluk Sahin et al.. Op. Cit.. pp. 31-41.

يهدف الكتاب إلى وصف وتحليل وتفسير التغطية الصحفية الغربيـة لشـئون العالم الإسلامى من خلال تطبيق المدخلين النظريين التدفق الخبرى، وتأثير الإطـار لقياس تأثير أربعة أبعاد على هذه التغطية:

١- **البعد الإعلامى:** ويشمل العوامل الخارجية التى اصطلح على تسـميتها Extra - Media Factors المتعلقة بوضع الدولة الإسـلامية أو الأقليـة الإسلامية الجغرافى، وحجمها، وعدد سكانها، ومسـتواها الاقتصـادى، وحالتها السياسية فيما خرجت من إطار الدراسة العوامل الداخلية – Intra Media Factors والتى تشمل تأثير نمط الملكية والسـيطرة والتمويـل، واقتصاديات الإدارة وكذلك العوامل المهنية المتعلقة بالقائم الاتصال.

٢- **البعد الثقافى والحضارى:** حيث تظـهر تجليـات المواجهـة الثقافيـة والحضارة بين الإسلام والغرب العلمـانى علـى التغطيـة الإعلاميـة – والصحفية داخلها – والتى تعمل كما وصفها هوج Hoge بوصفها عـامل مساعد Catalyst فى سياق الصراع السياسـى والاجتمـاعى، الداخلـى والخارجى.

٣- **البعد السياسى والاستراتيجى:** والذى يشمل علاقة دولة "المركز" التـى تتبنى فكرة العولمة بدون الأطراف الإسلامية، ودور دولة إسلامية بعينـها فى تحقيق المصالح السياسية والأمنية لدولـة المركـز أو منـاوأة هـذه المصالح.

٤- **البعد الزمنى:** حيث يشهد العالم الإسلامى أحـداث هامـة فـى عقـد التسعينيات

منها اندلاع عدد من الحروب الإقليمية (حرب الخليـج الثانيـة) والأهليـة (البوسنة – أفغانستان – السودان)، تصاعد أعمال العنف السياسى الداخلى

فى العالم الإسلامى ، بروز البعد الإسلامى فى الصراع العربى - الإسرائيلى بعد تدهور فكرة القومية العربية، اعتبار الإسلام "العدو الأخضر" الذى يهدد مصالح القوى العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة.

● ● ●

رأى المؤلف أن يختار عينة من الصحف الناطقة باللغة الإنجليزية على أن تكون ذات نطاق توزيع كونى ومملوكة للمجموعات الإعلامية الكبرى فى كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وذلك على أن تكون أيضاً ذات طبيعة خبرية وقد وقع اختياره على الطبعة الدولية لمجلة التايم الأمريكية ومجلة الإيكونومست البريطانية.

وقد اختار المؤلف هاتين المجلتين للأسباب التالية:

١- تمثل التايم والإيكونومست الصيغة الإخبارية التى تقدم الوقائع والأحداث مدعمة بمعلومات خلفية وتفسيرات وتوقعات مما يجعلها تفارق الشكل الخبرى التقليدى المجرد، وهو ما أفاد المؤلف فى تطبيق مداخله النظرية على محتوى المجلتين.

٢- تعتبر التايم والإيكونومست من المجلات التى يُطلق عليها Elite Magazines أى مجلات النخبة أو الصفوة وهو ما أراده المؤلف لاختبار تمثلات خطاب العولمة فى الخطاب الصحفى الغربى حيث أن هذه المجلات موجهة فى الأساس لصناع القرار السياسى والاقتصادى فى المجتمعات الغربية والعالم أجمع.

٣- اختيار المؤلف مجلة التايم كعينة ممثلة - للمجلات الأمريكية الإخبارية الكوكبية - لأنها المجلة الإخبارية الوحيدة التى تملكها أكبر مجموعة كونية إعلامية فى العالم وهى مؤسسة تايم وارنر - أمريكا أون لاين وهو ما افترض المؤلف أنه سيعينه على رصد وتحليل وتفسير تمثل خطاب العولمة الاقتصادى والسياسى فى تغطيتها الإخبارية.

٤- اختار المؤلف مجلة الإيكونومست كعينة ممثلة للمجـلات البريطانيـة لأنـها المجلة الوحيدة التى تشابه صيغتها الإخبارية مجلة التايم بما يعنى اتساقًا فـى تحليل المادة الإخبارية.

أ- مجلة التايم:

تمتلك مجلة التايم أكبر مجموعة إعلامية فى العالم وهـى تـايم وارنـر - أمريكا أون لاين ويصل رأس المال المتداول للشركة الجديدة إلى ٣٦٠ مليـار دولار عند اندماجها فى يناير ٢٠٠٠، وتكون الشركة المدمجة عملاقاً إعلامياً يجمع بيـن وسائل الإعلام التقليدية والجديدة بشكل غير مسبوق ويسمح بعرض البـرامج مـن إنتاج (تايم وارنر) على شبكة الإنترنت ويتيح لأمريكا أون لايـن اسـتخدام شـبكة كابلات التليفزيون المدفوع الخاصة بتايم وارنر لتحقيق الاتصال السريع بـالإنترنت وتمتلك الشركة الجديدة أسماء لامعة فى عالم الشركات منـها نيتسـكيب، وارنـر ميوزيك جروب، وفورتشن كمبيوسرف[١]. وكانت هذه حلقة من حلقات الاندمـاج إذ اندمجت شركة وارنر مع شركة تايم فى ١٩٨٩[٢].

وقد صدرت مجلة تايم فى مارس ١٩٢٣ كحدث هام فى الصحافة الأمريكيـة من نواح عديدة أبرزها تحويل الاهتمام الصحفى تجاه معنى وسياق الأنبـاء عندمـا فرض الإيقاع السريع للحياة فى القرن العشرين بالإضافة إلى الكـم المذهـل مـن المعلومات التى تنشرها الصحف الحاجة إلى طرق أكثر تنظيماً واختصاراً لعـرض تلك المادة، وكان هدف التايم كما قررت وثيقة تأسيسها هو إيجاز وتنظيم الكم الهائل من المعلومات والحقائق والأحداث الأسبوعية فى شكل أبواب مقروءة فى متنـاول اليد وفسرت التايم تلك الحقائق وأخبرت القراء ماذا يظنون إزاء تلك الحقـائق مـن خلال الجمع بين الرأى والمعلومة.

---

(١) الأهرام، ١١/١/٢٠٠٠ م.

(٢) فارس أشتى: الإعلام العالمى (بيروت؛ دار أمواج. ١٩٩٦)، ص ٤١.

ويرأس Reginald Brak. Jr. شركة تايم وارنر التى تمتلك التايم والناشر هـو Robert Miller بينما الناشر لطبعة الأطلنطى هـو Linos Kogevinas ورئيـس تحرير الطبعة المحلية هو (Jason McManos) وهذا المنصب فى معظم المجـلات منصب إدارى حيث يندر أن يضع قلماً فى المواد التحريرية للمجلة ويمكن بلـورة مهام رئيس التحرير فى أربع وظائف أساسية هى مراقبـة العمليـات التحريريـة. والعلاقات والاتصالات الإدارية، والتخطيط، والعلاقات العامة.

ومهمة رئيس التحرير التنفيذى Managing Editor هى المتابعـة اليوميـة للعدد المقرر نشره ويشرف على استكمال مادته ككل، ويعتبر المتصرف الفعلى فـى أعمال التحرير وهو فى مجلة التايم هنرى مولر Muller وفـى الطبعـة الدوليـة Karstan Prager(١).

ب- مجلة الإيكونومست:

تمتلك مجلة الإيكونومست مجموعة بيرسون Pearson البريطانية التى تنشـر الفينتشيال تايمز أيضاً، وهى من شركات المستوى الكونى الثانى وليست مـن بيـن العشرة الكبار فى العالم. ويبلغ رأس مالها ٢،٩ مليار دولار وعدد شركاتها الغربيـة ١٣٤ شركة (٥٠ فى الولايات المتحدة، ٢٦ فى غرب أوربا، ٥ فى أفريقيا، ٢٠ فى آسيا فضلاً عن شركات فى كندا واليابان وأمريكا اللاتينيـة). وتمتلـك دور نشـر Penguin, Longman(٢).

وتستثمر مجموعة بيرسون حوالى ٢٥٠ مليون جنيه إسترلينى فـى خدمـات شبكة الإنترنت، وهو ما يضع بيرسون على رأس الشركات المستثمرة الأوربية فـى مجال الإنترنت، وهى بصدد إنشاء شبكة تعليمية تضم ٢٠٠ موقع على شبكة ويـب

---

(١) شيم عبد الحميد قطب: **"دراسة مقارنة لفنى القصة الخبرية والتقرير الخبرى فى الصحافتين تايم وأكتوبر**. رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة،١٩٩٤.

(٢) فارس أشتى، مرجع سابق، ص ٥٨.

بالتعاون مع العملاق الأمريكي تايم وارنر - أمريكا أون لاين، على أن يكـون أول مشروع في ذلك هو كتب بنجوين أون لاين [1].

وتأسست مجلة الإيكونومست في عام ١٨٤٣، وحازت مكانتها كواحـدة مـن المجلات المرجعية وتغطي معلوماتها وتحليلاتها الشئون العالمية من سياسة وأعمال وتمويل واقتصاد فضلاً عن أبواب العلم والتكنولوجيا والفن والمالتي ميديـا وتقـدم المجموعة معلومات تفصيلية عن ١٨٠ دولة في العـالم مـن خـلال مطبوعـات ومؤتمرات (وحدة مخابرات الإيكونومست) The Economist Intelligence Unit، فضلاً عن مجموعة أخرى من المطبوعات هـي CFO Europe, CFO Asia, Journal of Commerce ويدير الإيكونومست كرئيس للتحرير (دومنيك كـادبري)، وللمجلة الإيكونومست أسلوب متميز ومتسق لدرجة جعلت بعـض دارسـي اللغـة والإعلام يقررون أنها أكثر مجلة عالمية تستخدم ما يعرف بـ Style Guide [2] أو الدليل الأسلوبي للكتابة.

● ● ●

وقع اختيار المؤلف على المواد الإخبارية فـي كـلا مـن مجلتـي التـايم والإيكونومست، لسبب بديهي هو أن المادة الخبرية هي أكثر المواد فـي محتـوى المجلتين فقد كشفت الدراسة الاستطلاعية التي أجراها المؤلف علـى عينـة مـن المجلتين في شهر مايو ١٩٩٦ أن المواد الخبرية تشكل ٩٠%، ٩٣% من محتـوى كلا من التايم والإيكونومست على الترتيب.

<u>وهناك ملاحظات على المـادة الخبريـة المنشـورة فـي كـلا مـن التـايم والإيكونومست:</u>

أغلب المادة الخبرية هي في شكل تقارير خبرية لا تقتصر علـى الوصـف المجرد للأحداث، بل تتعدى ذلك إلى تقديم خلفيات للأحـداث وآراء متعـددة تجـاه

---

(1) Pearson to Invest 250 M. £ in Web Content @ http://www.sako.co.za/English/
(2) About the Economist Group @ http://www.economistgroup.com/about. html.

الحدث، يعقب ذلك التحليل والتفسير ثم التوقع والنظرة المستقبلية للأحداث، وما تقدم يستدعى ظهور رأى (المراسل - المحرر) فى التقرير فى العبارات / المقولات التقييمية والتعريفية والتنبؤية، وذلك ما يجعل التقرير الصحفى فن قائم بذاته عماده الأساسى الحقائق ولكن يتم نسجها مع الآراء والأحكام التى تظهر جلية فى اللغة.

ولعل ما يدلل على ذلك أن هنرى لويس - الصحفى الذى أصدر التايم - ومحرروه لم يزعموا الالتزام بالمعايير المعروفة فى ذلك الوقت للموضوعية والتى اعتبروها من قبيل الخرافة حيث لم تبغ مجلة التايم أن يطلق عليها تعبير (التجرد والحياد فى العرض) إلا أن المجلة فى مقال تاريخى نشر فى عيدها السنوى قدمت تفسيراً للموضوعية بمعناها الجديد عندما طرحت تساؤلاً حول الفرق بين الموضوعية والعدالة فى العرض؟ وأجابت بأن الصحفى المسئول ملتزم تجاه ذلك التفسير للحقائق الذى يبدو له ملائماً للأمور كما هى فى الحقيقة. فهو عادل فى عدم لىّ الحقائق لكى تدعم رأيه وهو عادل فى العرض بعدم كبت الحقائق التى تؤيد الآراء التى تخالف رأيه [1].

وينطبق ذلك على الإيكونومست التى فى عرضها لـ Style Guide أو (دليل الأسلوب) الخاص بها، أوضحت ضرورة عرض وجهات النظر المختلفة تجاه الأحداث المغطاة فى التقارير الخبرية وأضافت أنه برغم أن الإيكونومست تبدو مكتوبة بقلم واحد وهو أمر مرجعه التزام صحفييها لـ "دليل الأسلوب" إلا أنه على محرريها أن يصوروا الجو العام للأحداث بشكل يجذب القارئ، وهو ما يلمح - كما أثبتت الدراسة الاستطلاعية - إلى أن المؤلف يمكن أن يرى التدخل بالرأى واضحاً فى صياغة الإيكونومست الخبرية[2].

أى أن كلا من المجلتين التزمتا بجانب واحد فقط من الموضوعية (نظرياً

---

(١) شيم قطب، مرجع سابق، ص ١١٧.

(1) The Economist Style Guide @ http://www.economist.com/editorial/freeforall/library/styleguide/toc.html.

على الأقل) وهو عرض وجهات النظر المتعددة المتباينة تجاه حدث واحد وهو مـــا يسمى بالتوازن واستبعدت - كما ســـيتضح مـــن الفصـــل التطبيقـــى - الالـــتزام بموضوعية الإسناد التى تتمثل فى إسناد كل رأى إلى مصدر وفصل الـــرأى عـــن الخبر [1].

● ● ●

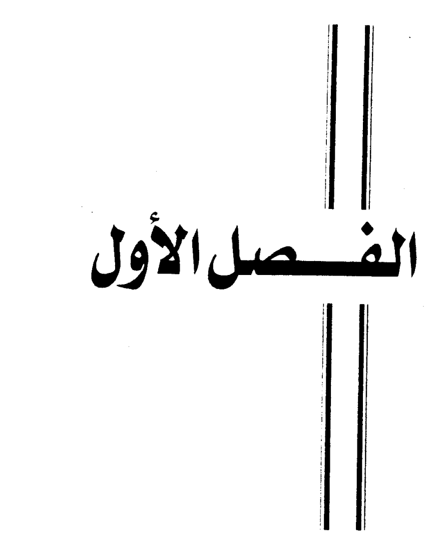
وقد اختار المؤلف للتحليل الشهور الثلاث الأولى مـــن عـــام ١٩٩٧ الـــذى أختاره المحكمون نظرًا لأن طبيعة بحثه كانت تقتضـــى عينـــة صغـــيرة للأســـباب التالية:

- دراسته للعالم الإسلامى بمنظور كلى أو بمنظور عين الطـــائر Bird's Eye View وليس دراسة دولة أو مجموعة دول فقط.
- اعتماده على مداخل نظرية كثيرة كما تقدم لتحقيق التساند أو التعـــاضد النظرى للدراسة.
- اعتماده على أساليب منهجية عديدة لها صبغة تجريبيـــة خاصـــة فـــى تحليلاته اللغوية مما استدعى استخدام عينات صغيرة.
- كان المؤلف بين اختيارين إما أن يقلل عدد التصنيفات التطبيقيـــة التـــى أنفق على جمع مادتها وتنظيمها قرابة العامين أو تقليل حجم العينة، فاختـــار الثانى مؤثراً الدقة والجدة على الامتداد الزمنى.

● ● ●

---

(١) انظر بالتفصيل: محمد حسام الدين محمود إســـماعيل: **المســـئولية الاجتماعيـــة للصحافـــة المصرية، دراسة للمضمون والقائم بالاتصال، من ١٩٩١-١٩٩٤**، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٩٦، ص ص ١٣٢ - ١٤١.



الفصل الأول

مداخل دراسة تغطية شئون العالم الإسلامى

تدفق الأخبار عن العالم الإسلامى

يعالج هذا الجزء من الفصل نماذج تدفق الأخبار الدولية والعوامل المؤثرة على هذا التدفق، بعدها يتعرض لمفهوم العالم الإسلامى دوله وأقلياته، ثم يختتم البحث بشرح تفصيلى للعوامل المؤثرة على التدفق الخبرى لشئون العالم الإسلامى.

●●●

صاحب زيادة المعلومات فى المجتمعات الإنسانية زيادة التدفق الدولى للأخبار وزيادة التأثيرات عبر الثقافية، ومنذ الحرب العالمية الثانية أصبحت دراسة تدفق الأخبار العالمية واحدة من الموضوعات الرئيسية فى دراسة الإعلام الدولى وقد ساعد على ذلك عدة عوامل على رأسها تطور تكنولوجيات الاتصال الإلكترونية، وتضخم إمبراطوريات الإعلام متعددة الجنسيات، ومحاولات مراكز القوة المتنافسة فى عصر ما بعد الحرب الباردة زيادة قوتها وتأثيرها فضلاً عن صعود ثقافة الإعلام الدولى حيث اصبح استخدام اللغة بشكل معين، وسيادة نوع من القصص الإخبارية يلقى قبولاً فى مجتمعات مختلفة.

وقد سمى دنيس ماكويل وسيفين واندال هذه الظاهرة بالتدويل أو Internationalization [1]، وهو لفظ ربما يكون أقرب من حيث دلالاته المستخدمة إلى لفظ العولمة Globalization الذى كان انعكاساً لبث نوع معين من الثقافة الحداثية ونمط المعيشة.

---

(1) Denis McQuail & Seven Windal. "Communication Models for the Study of Mass Communication". 2nd ed. (New York: Longman Inc., 1993), pp. 215, 216.

تراوحت ردود الفعل حول ظاهرة التدفق الخبرى العابر للحدود والقوميات، ففى مراحل مبكرة متفائلة عقب الحرب العالمية الثانية تم النظر للإعلام الدولى على أنه أداة لتحقيق فهم أكبر بين الأمم، وكأداة للتحديث وبناء الدولة فى عصر التصنيع والتحرر الوطنى، أو لنقل قيم المجتمع الصناعى والديمقراطية الفردية إلى المجتمعات التقليدية كما رأى ليرنر Lerner عام ١٩٥٨ (١).

ولكن هذا التفاؤل لم يلبث أن تحول لإدراك أن الإعلام الدولى وتدفقات أخباره هو نفسه نوعاً من الاستعمار الجديد أكثر منه طاقة تحض على النمو والتحرر، وكانت من بين التأثيرات السلبية للتدفق تدهور السيادة والاستقلال فى الأمور الثقافية وزيادة التبعية الاقتصادية والسياسية.

ومن ثم كانت الحقيقة الأساسية التى تم رصدها مبكراً هو أن التدفق الحر للإعلام فى عالمنا المعاصر هو تدفق مختل وأحادى الاتجاه من الأغنياء إلى الفقراء ومن الشمال إلى الجنوب، فالدول الفقيرة والأقل تقدماً مجبرة على استيراد التكنولوجيا، والبنى المؤسسية والممارسات المهنية من الدول "المتقدمة وهذا ينعكس ثقافياً فى الرؤية المغتربة للعالم والإدراك السلبى للذات (٢).

ففى عام ١٩٥٣ وصف المعهد الدولى للصحافة التبادل الخبرى بين الدول المتقدمة والنامية بأنه غير متوازن ومنذ ذلك الحين فإن اصطلاح الاختلال فى التدفق ساد أدبيات الإعلام الدولى، ونظر كثير من الدارسين لهذه الظاهرة على أنها نتيجة لعدم الاتساق بين الدول المتقدمة والنامية، فعلى سبيل المثال قرر شرام عام ١٩٦٤ أن التدفق الخبرى بين الأمم يتحدد بملكية وكالات الأنباء وتسهيلات

(1) Daniel Lerner. "**The Passing of Traditional Society: Modernizing the Middle East**", (Illinois: The Free Press. 1969). pp. 70 - 75.

(2) Denis McQuail & Seven Windal. Op. Cit.. pp. 215. 216.

الاتصـــالات بين الأماكن البعيدة وتركيز الثروة والتكنولوجيا والقوة فى يد عدد قليل من الدول المتقدمة(١).

وقـــد تم أدلجة هذه الظاهرة بعد ذلك مع نهاية عقد الستينيات واتخذ فى عقد السـبعينيات شـكل الصـــراع بين الشمال والجنوب فيما عرف بالسعى لإقامة نظام إعلامى دولى جديد، وهو الصراع الذى انتهى بانسحاب الولايات المتحدة الأمريكية مـــن اليونســكو، ثـــم مـــا لبث الاهتمام يقل تدريجياً مع نهاية عقد الثمانينيات على مستوى الدول وعلى المستوى الأكاديمى، وتحولت دراسات التدفق الإعلامى الدولى مـــن كونها مجال بحثى مستقل إلى مجرد موضوعات جزئية تندرج تحت مجالات بحثـية أخـــرى وأصـــبحت دراسات التدفق تأتى تحت مظلة الدراسات التى تتناول حراس البوابات Gate Keepers أو التى تتناول وضع أجندة الاهتمامات Agenda Setting (٢).

ومـــع ذلـــك فقـــد تأسس تراكم معرفى وإمبريقى فى إطار دراسات التدفق الخـــبرى أسـفر عـــن مجموعة من النماذج التى تصف شكل التدفق واتجاهه التى تعكـــس وجهـــة نظـــر متشائمة بشأن التوازن فى التدفق وإن كانت كلها حثت على تطبـــيق هـــذه الـــنماذج إمبريقياً لعل تشاؤمها يكون مبالغاً فيه، وأبرز هذه النماذج: مســـاهمات جالـــتونج، وهيستر، وحميد مولانا، وأكدت هذه الدراسات الاختلال فى

---

(1) Kyungmo Kim & George A. Barnett. "**The Determinants of International News Flow: A New Work Analysis**", Communication Research, Vol. 23, No. 3, June 1996, pp. 323 – 352.

(٢) راســـم محمد الجمال: **التدفق الإعلامى من الشمال إلى الجنوب: الأبعاد والإشكاليات**، عالم الفكـــر، مجلـــد (٢٣)، عدد (١، ٢)، يوليو / سبتمبر – أكتوبر / ديسمبر ١٩٩٤، ص ص ١٤٠ – ١٦١.

حجـــم التدفق واتجاهه ومضمونه دراسات إمبريقية عديدة لعل من أبرزها دراسات تشـــارلز وشـــوروتود عـــام ١٩٦٩، وهستر عام ١٩٧١، لارسون ١٩٧٩، ويفرو يلهويت ١٩٨١، ١٩٨٣.

أولاً: نماذج التدفق: هل التشاؤم يزداد تشاؤماً؟

تـــتفاعل كـــل أمـــم النظام الدولى مع بعضها البعض، لكن هذه التفاعلات الكوكبـــية الدولية لا يمكن إدراكها على أنها نظام يضم أطرافاً متفاعلة متساوية لأن القـــوة العســـكرية والاقتصادية والسياسية للدول المتقدمة تفرض ظروفاً من التبادل غير المتكافئ بينها وبين الدول النامية.

وقـــد حـــاول عـــدد كبير من الباحثين توضيح وشرح هذا التفاعل بداية من روج وجالـــتونج عـــام ١٩٦٥ ودويـــتش وزملائه عام ١٩٧٧ حتى سو (So) عام ١٩٩٠ فعلـــى سبيل المثال تأسست نظرية التبعية على افتراض أن القوة الاقتصادية تلعـــب الـــدور الأساسى فى العلاقات الدولية، وقرر منظروها أنه نتيجة الاستغلال الاقتصـــادى مـــن قبل الدول المتقدمة للدول النامية تكون النظام الدولى على أساس دول متقدمة فى المركز وأخرى نامية فى الأطراف الأمر الذى جعل الأخيرة تدخل فى دائرة مفرغة من التخلف.

وقد طور واليرشتين Wallerstein هذه الفكرة عام ١٩٧٩ برؤيته أن العالم يتم استيعابه فى إطار النظام الرأسمالى العالمى وأن الاقتصاد الدولى يدمج ثـــقافات وسياسات متعارضة فى إطار تقسيم متكامل للعمل، بيد أن الدول تدخل فى علاقات غـــير متكافـــئة بسبب التباينات الاقتصادية، والتحرك على صعيد النظام الدولى يتم

بصعود أو هبوط فى القوة العسكرية والاقتصادية، وأى تغيير يعترى أى دولة فى النظام الدولى يكون بسبب مجموعة من الأحداث فى النظام الدولى [١].

وقد حاول مجموعة من المنظرين وضع عدة نماذج لتدفق الأخبار العالمية بناء على نظرية التبعية فقد بيّن جالتونج وروج فى دراستهما عام ١٩٦٥ كيف تؤدى العوامل المؤسسية التنظيمية Organizational والعوامل الاجتماعية الثقافية Socio-Cultural إلى سيادة نوع من الأخبار عن العالم الثالث فى دول العالم المتقدم تنحو إلى تصويره على أنه غير مستقر، غير ديمقراطى وملئ بالكوارث[٢].

وقد عمد حميد مولانا عام ١٩٨٥ إلى إجراء تحليل عام للاتصال الدولى وانتهى لنموذج يحمل بعدين يحددان القضايا التى يتم تغطيتها، وهو النموذج الذى يوضحه شكل (١):

المحور الأول: المحور التكنولوجى (المتمثل فى معدات الاتصال Hardware) فى مقابل المنتجات الفكرية Software.

المحور الثانى: المحور الاتصالى المتمثل فى الإنتاج Production فى مقابل التوزيع Distribution.

والهدف الأساسى للنموذج كان يبغى تمثيل متصل مشهور فى أدبيات الإعلام يبدأ بالمرسل وينتهى بالمستقبل يتوسطه نمط الإنتاج ونظام التوزيع ويختلف الوضع فى الإعلام الدولى عنه فى الإعلام المحلى إذ أن كل مرحلة من هذه المراحل تنفصل مكانياً وتنظيمياً وثقافياً عن الأخرى فيمكن أن يشترك مصدر

---

(1) Irwin Wallerstein, "**The Capitalist World Economy**", (Cambridge, MA: Cambridge University Press, 1970), pp. 21 – 32.

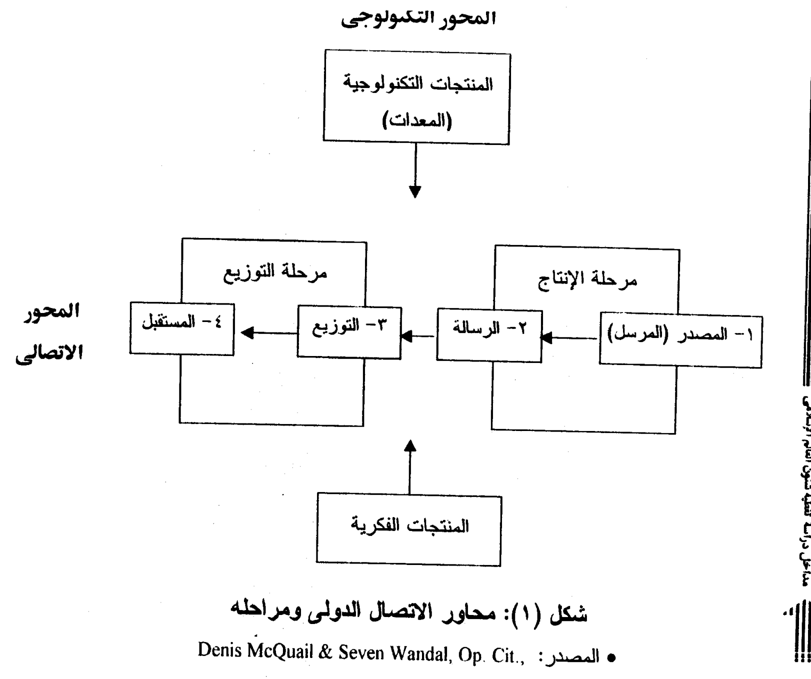
(2) Denis McQuail & Seven Windal, Op. Cit., p. 2.

(سياسـى – معلن) فى رسالة تنتج عن دولة ما مثل (نشرة أخبار مثلاً)، ويتم إنتاج النشـرة فـى دولة أخرى وتوزع فى دولة ثالثة. وبشكل أكثر عمومية فإن الإنتاج يمكـن أن يكـون فى دولة، والتوزيع فى دولة أخرى، وبهذه الطريقة يرتبط الشمال الغـنى بالجـنوب الفقـير، علاوة على ذلك فإن فى الدول الأقل تقدماً فجوة كبيرة (ثقافـية واجتماعـية واقتصـادية) بيـن إنـتاج الرسائل ونظام توزيعها فى جانب والمستقبلين المحتملين فى جانب آخر [1].

وهـذه العملـية المتصـلة / المنفصلة تتقاطع مع المحور التكنولوجى الذى يذكرنا بأن كل مرحلة فى العملية تعتمد على نوعين من الخبراء التقنيين والمبدعين للنصـوص المذاعـة أو المكـتوبة، ومعـدات الإنتاج تحتوى على الاستوديوهات والمطـابع ... الـخ، ومعدات التوزيع تشمل معدات الأقمار الصناعية المخصصة للاسـتقبال والإرسـال ... الـخ، أمـا المنـتجات الفكرية فتشتمل فى الإنتاج على السـيناريو وحقـوق الأداء والإدارة والمعايـير المهنية، وفى التوزيع على الدعاية والأبحاث والتسويق.

وهـناك عوامـل تؤثر فى النموذج، خارجية أو ما تسمى Extra – Media تـتعلق بوضع الدولة وقوتها فى تراتبية أو هيراركية النظام الدولى، وأخرى داخلية Intra - Media المـتعلقة بنمط الملكية واقتصاديات الإدارة وكذلك العوامل المهنية المتعلقة بالقائم بالاتصال.

(1) J. Galtung & M. Ruge. "The Structure of Foreign News". Journal of Peace Research. Vol. 2 .No. 1. July 1971. pp. 64 – 91.



شكل (١): محاور الاتصال الدولى ومراحله

• المصدر: Denis McQuail & Seven Wandal, Op. Cit.,

وأهــم نقطة فى النموذج هى حالة التبعية عندما تنتقل المعلومات من دولة مــتقدمة لأخــرى نامية والأخيرة تعتمد على الأولى فى العمليات الأربع المذكورة لاحقــا، ويحــدث الاســتقلال الاتصالى عندما تصبح دولة ما قادرة على أن تكون مكتفــية ذاتــياً فــى المعــدات والمنتجات الفكرية وفى الإنتاج والتوزيع وهى حالة مســتحيلة حــتى الآن - مــن وجهة نظر مدرسة التبعية - ما بقى نموذج المركز والأطراف قائماً (١).

ويرتــبط بما سبق النموذج الذى طرحه روج وجالتونج عام (١٩٦٥) الذى طــوره حميد مولانا أيضاً عام ١٩٨٥ (شكل ٢) عن فكرة المركز والأطراف وتبعاً لهــذا النموذج ينقسم العالم إلى شمال مسيطر فى المركز وجنوب مهمش تابع وتدفق سائد من الأول للأخير.

<u>وتتمثل الافتراضات التى وضعها النموذج:</u>

أ- ســيادة الأحــداث الإخــبارية لــدول المركز فى الأنظمة الدولية الإعلامية الأخرى.

ب- سيادة أخبار المركز فى مجموعة وسائل إعلام دول الهامش.

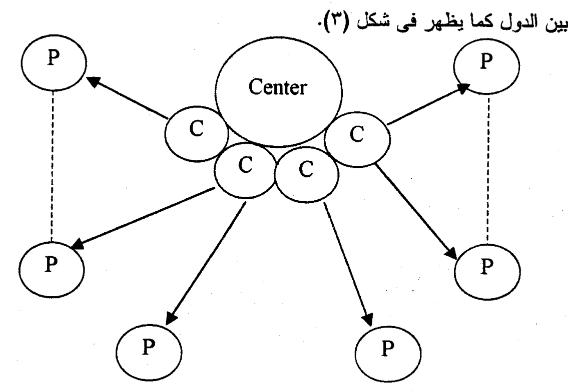
ج- هــناك نسبة أكبر للمحتوى الإخبارى الخاصة بدول المركز فى وسائل إعلام دول الهــامش عن نسبة المحتوى الإخبارى لدول الهامش فى وسائل إعلام دول المركز.

---

(1) Ibid., P. 218.

د- هناك تدفق محدود أو منعدم بين دول الهامش وبصفة خاصة بين الدول ذات الميراث الاستعمارى المختلف [1].

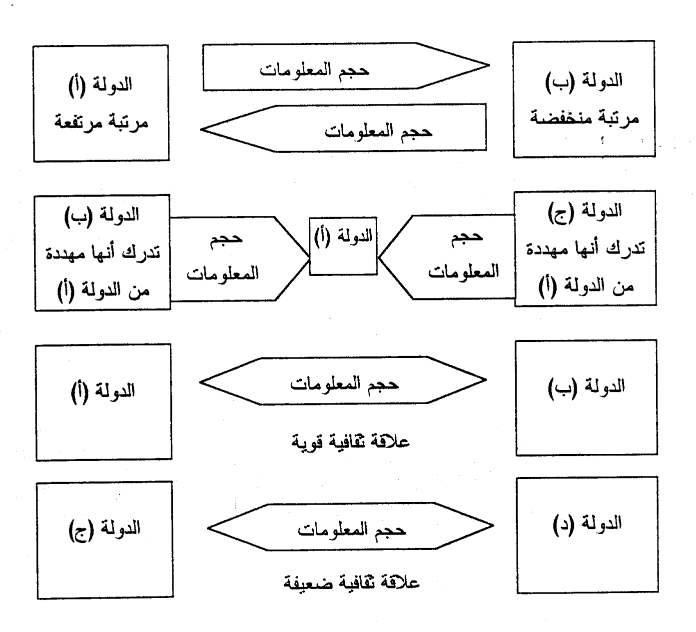
ويظهـــر ملمح آخر من ملامح تدفق الأخبار الدولية فى نموذج آخر وضعه آل هستر عام ١٩٨٠ طرح فيه مجموعة من الفروض لتفسير تدفق الأخبار الأجنبية بيـــن الـــدول إذا افـــترض هستر أن ترتيب الدولة من حيث مدى قوتها أو ضعفها والعلاقات الثقافية والاقتصادية تعتبر من العناصر المؤثرة على نماذج تدفق الأخبار بين الدول كما يظهر فى شكل (٣).



شكل (٢): يوضح العلاقة بين المراكز والأطراف الإعلامية

• المصدر: Denis McQuail & Seven Wandal, Op. Cit., p. ٢١٨.

(١) نقـــلاً عـــن يوهـــان جالتونج، أشرف أحمد عبد المغيث: **دور الإعلام فى تكوين الصورة الذهنية لدى الشباب المصرى عن العالم الثالث**، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٩٣، ص ص ١٢٣ - ١٢٤.



شكل (٣): يوضح نموذج آل هستر لتفسير تدفق الأخبار الدولية

- المصدر: أشرف أحمد عبد المغيث، مرجع سابق، ص ١٢٥.

وتطرح هذه النظرية سبعة فروض:

١- يـتدفق قدر أكبر من المعلومات عن الدول التى تحتل مكانة أعلى فى ترتيب الـدول عـن الدول التى تحتل مكانة أقل فى ذلك الترتيب وتتحدد مكانة الدول على أساس متغيرات كالحجم الجغرافى وعدد السكان والنمو الاقتصادى.

٢- يـنخفض حجم المعلومات المتدفق فى الاتجاه العكسى من الدول ذات المكانة الأقل إلى الدول ذات المكانة الأعلى فى ترتيب الدول.

٣- يـزيد تدفـق المعلومـات من الدولة (أ) التى تشكل تهديداً حقيقياً أو محتملاً للدولـة (ب) عن تدفق المعلومات من الدولة (ج) إلى الدولة (ب) التى لا تشكل تهديداً حقيقياً أو محتملاً.

٤- يـزيد تدفق المعلومات بين الدول ذات الروابط الثقافية والتاريخية عن الدول التى تفتقد إلى تلك الروابط.

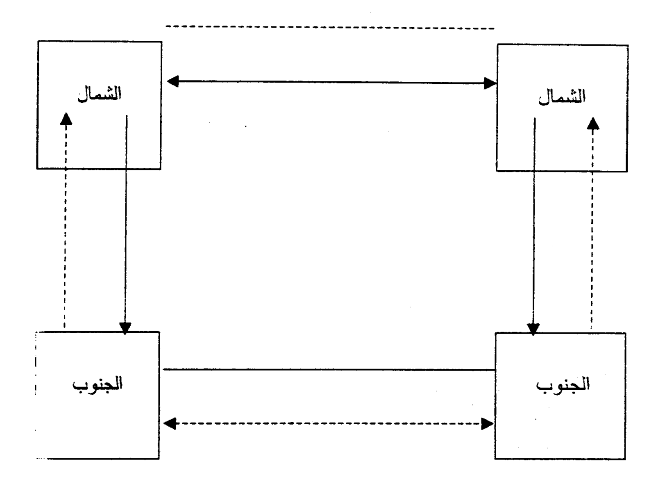
٥- يـزيد تدفـق المعلومات بين الدول ذات الأنشطة والعلاقات الاقتصادية عن الدول التى تفتقد تلك الأنشطة والعلاقات الاقتصادية.

٦- يـزيد التدفق من الدولة (أ) إلى الدولة (ب) التى تتبعها اقتصادياً عن التدفق فى الاتجاه العكسى من الدولة (ب) إلى الدولة (أ).

٧- يـزيد تدفـق المعلومات من الدولة المستعمرة إلى الدولة المستعمرة أو التى كانـت مسـتعمرة من قبل عن التدفق فى الاتجاه العكسى إلا إذا أصبحت مكانة الدولة المستعمرة أكبر من الدولة المستعمرة فى ترتيب الدول [١].

(1) Ibid., P. 218.

ويـــأتى مـــن بين المساهمات النظرية الأخيرة لتدفق الأخبار الدولية نموذج تدفق الشمال – الجنوب North – South Flow الذى وضعه حميد مولانا أيضاً عام ١٩٨٥ والـــذى يوضــــح كيفـــية ما لتشغيل Processing ظاهرة تدفق الأخبار بين الشمال والجنوب وهو ما يوضحه شكل (٤).



شكل (٤): يوضح نموذج حميد مولانا لتدفق الأخبار من الشمال إلى الجنوب

● المصدر: Denis McQuail & Seven Wandal, Op. Cit., p. ٢١٩.

والـــنموذج يوضــــح تدفق رأسى قوى من الشمال إلى الجنوب وكذا أفقى قوى بين دول الشمال، بينما يميل التدفق الرأسى المرتجع من الجنوب للشمال وبين دول الجــنوب إلـــى الضـــعف ويرتبط بما سبق ما أورده مولانا من أن أخبار دول الجــنوب تجمـــع من مراسلين من الشمال التى تذهب بدورها إلى دول الشمال ليتم تشـــغيلها وتحريرها قبل توزيعها على دول العالم كله، وهو ما يدعم النموذج الأول لحمـــيد مولانا الذى يرى أن الاستقلال الخبرى يحتاج للتحكم فى المنتجات الفكرية Software مـــثل مصـــادر الأخـــبار وفى العتاد التكنولوجى مثل التسهيلات التقنية لعمليات التوزيع.

تعليق على نماذج التدفق:

١- رغـــم أن النماذج التى درست التدفق كانت منطلقة من ظاهرة واضحة هى الاخــــتلال بيـــن الشـــمال والجنوب ورغم دفاعها عن العالم الثالث المغبون من العـــالم المـــتقدم إلا أنها كانت فى اقترابها النظرى أقرب للتحليل الوظيفى منها للاتجـــاه الـــنقدى رغم استفادتها من مدخل التبعية النقدى .. وهى ملاحظة تبدو للوهلة الأولى تنطوى على تناقض .. ولكن التناقض يزول إذا رأينا:

أ- أن دراستها نحت إلى رصد الأدوار الإعلامية وأعمال المؤسسات الاتصالية والتشـــكيلات الثقافـــية وأســـاليب تنظيم التدفق أكثر من رصدها لقوانين قوة الشمال الرأسمالى [1].

(١) انظر جيهـــان أحـــمد رشتى: **الأسس العلمية لنظريات الإعلام** (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٧٨)، ص ص ١٩٨ - ٢٠١.

ب- أنهـــا فى تصوراتها الذهنية مالت إلى التبسيط الذى ظهر فى خطوط ودوائر تعـــبر عـــن مســـارات التدفق من كتل إعلامية إلى كتل أخرى دون إيضاح للاخـــتلافات بيـــن هـــذه الكـــتل سواء فى الشمال والجنوب أو فى المركز والأطـــراف .. وهى فى ذلك نظرت إلى العالم بوصفه مكوناً من أبنية عينية بينها علاقات يمكن التعرف عليها وقياسها واستخدمت المشابهات الميكانيكية والبيولوجـــية كوســـيلة لـــنمذجة ظاهرة التدفق وفهمها .. وهى من الوسائل المفضـــلة فى النظريات الوظيفية منذ إميل دور كايم وحتى الآن [1]. وعلى ذلك يمكن رد نموذج حميد مولانا ذى المحورين التكنولوجى والاتصالى إلى الســـيبرنطيقا التقلـــيدية لشرام ورايت، ونموذج جالتونج لنماذج تفاعل ذرات الجـــزىء الكيمـــيائى، ونمـــوذج الشمال – الجنوب للقطبية المغناطيسية فى الفيزياء، وهو منحى لم يستطع أن يصف لنا الظاهرة فى حركتها وتعقيدها.

٢- هـــذه الانـــتقادات لا تقلل من أهمية هذه النماذج فى فهم بنية التدفق الدولى للأخبار بيد أنها – فى تصورى – كانت معنية بالأساس بوضع "صياغة علمية" لقضية بدأت وانتهت أيديولوجيا من حيث الخطاب العلمى على الأقل. فبعد فورة الاهـــتمام الدولـــى بقضـــية التدفق المختل بين الشمال والجنوب بدأ منذ أواسط الثمانينـــيات انحسار هذا الاهتمام نتيجة للتطورات التى طرأت على حركة عدم الانحـــياز فـــى النصـــف الـــثانى من عقد الثمانينيات ومع انحسار المساعدات الســـوفيتية لكثـــير مـــن الـــدول النامية، ومن قبل أن تنهار الشيوعية فى أوربا الشـــرقية ويتحلل الاتحاد السوفيتى ذاته وهى ملاحظة هامة ينبغى أن تؤخذ فى

---

(١) السيد يس: السياسة السكانية والتنمية، **نحو منهج مقترح لتحليل التراث العلمى**، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، مايو ١٩٩١، ص ص ٥٥ – ٨٤.

الاعتـــبار مـــنذ البداية لفهم مبررات وأسباب ونتائج تسييس معالجة الموضوع، فضـــلاً عـــن ذلك فقد كان من أهم الإشكاليات المرتبطة بتدفق الإعلام الدولى الفـــرق فى الاتجاه العكسى وهذا قياس مختل يدل - فى تصور راسم الجمال - على غباء الطرح الأيديولوجى لوضعية التدفق الإعلامى الدولى لأنه يفترض ما لـــم يكن ولكن يكون وهو تساوى قدرات الدول على إنتاج أنباء صالحة للتبادل الدولى ويغفل أن هذه الأنباء وغيرها من المواد الإعلامية تمثل مخرجات القوة الوطنية فى شتى المجالات [1].

٣- لـــم تـــنجح نمـــاذج الـــتدفق وأطرها النظرية فى فهم التناقضات الكامنة فى دعوتها لمعالجة الاختلال فى توزيع الأخبار والمعلومات على الرغم من إلحاح بعضـــها علـــى مفاهيم قوة الدولة فى مجال العلاقات الدولية والذى أسفر - إذا طبقـــنا ذلك على العلاقة بين دول الشمال والجنوب - عن تشرذم دول الجنوب وفشـــل الـــتجمعات الإعلامية المستقلة وزيادة ظاهرة الاحتكار فى تملك وسائل الإعـــلام المعنـــية ببث الأخبار فى المجتمعات الغربية على اعتبار أن التوزيع غـــير المتكافـــئ للقـــوة والملكية فى المجتمع الدولى لا يمكن أن ينصلح بحلول (يوتوبـــية) مـــثل إقامة نظام عالمى جديد .. وفى تصورى أن أى محلل "نقدى" للمجـــتمع الأمـــريكى وقـــواه كان لابد وأن يتنبأ بانسحاب الولايات المتحدة من اليونســـكو عـــام ١٩٨٣ فهـــل عـــرف التاريخ "قوياً" يتخلى طواعية عن أبرز مدخـــلات قوتـــه غـــير الأدباء الحالمين أمثال تولستوى الذى وزع أرضه على الفلاحين الروس المعدمين فى أوائل القرن الماضى؟

---

(١) راسم الجمال: مرجع سابق، ص ص ١٤٠ - ١٦١.

وقــد قدمـــت نماذج التبعية النقدية تراثاً تحليلياً هاماً فى فهم مظاهر وآليات ارتــباط الجــنوب بالشـــمال فى علاقات غير متوازنة. فعلى سبيل المثال قدمت عواطــف عــبد الرحمـــن طرحاً يرى المظاهر فى التبعية التكنولوجية والثقافية والإعلامية والأكاديمية والآليات فى وكالات الأنباء والشركات متعددة الجنسيات والإعلانـــات خلصـــت فيه إلى خطأ الاعتقاد السائد بأن هناك علاقة مباشرة بين حـــرية التعبير والملكية الخاصة للإعلام إذ أن هذا الشكل من الملكية يؤدى إلى تحويـــل وسائل الإعلام إلى أدوات للسيطرة الاجتماعية لصالح الشركات العابرة للقومـــية عـــندما تســـتخدم هذه الوسائل كأدوات للقهر السياسى والثقافى، وتمثل مضامينها كل القيم المعادية للعدالة الاجتماعية والديمقراطية [1].

وهـــى عين المقولات التى دفعت المراكز الرأسمالية للخوف من الاشتراك فـــى مشـــروع نظام إعلامى جديد متوازن بحجة دعم الاتحاد السوفيتى السابق لمنظرى العالم الثالث حتى يتبنى اليونسكو مشروعاً يهدد حرية الإعلام بالمفهوم الغـــربى .. كان الطرح أيديولوجيا .. وكان الخوف على مصالح ونفوذ وطريقة حياة حققت السبق والسيطرة للغرب الرأسمالى.

فقـــد حاولت لجنة ماكبرايد التى انتهت من تقريرها عام ١٩٨٠ القفز على قوانيـــن الرأســـمالية بوســـائل الضغط الدبلوماسى ونسيت أن الرأسمالية كنظام اجـــتماعى وقـــد تكونت ثم توسعت منذ البداية على أنها نظام ذو ميل إلى إدماج

(١) عواطــف عبد الرحمن: **قضايا التبعية الإعلامية والثقافية فى العالم الثالث**، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٨٣)، ص ص ٦٥-١٠٩.

مجـتمعات العـالم كلها على أسس غير متكافئة فكان التمييز بين مراكز النظام وأطرافه ظاهرة جوهرية لطبيعة النظام منذ أوله [١].

٤- أخفقـت نمـاذج الـتدفق فى توضيح إلى أى مدى يوجد تدفق إقليمى يؤدى لعلاقـات بيـن الأطـراف تصـلح المـيزان المختل .. ويرى دينس ماكويل McQuail أن هـناك علاقـات بيـن دول الشـرق الأقصى وأمريكا اللاتينية والمـنطقة العربية بما يعنى أنه يمكن أن توجد مراكز داخل النظم الإقليمية[٢].. وهـو طرح صحيح إذا تصورنا أن المتدفق هو الدراما والمواد المنوعة (حالة مصـر مـع بقية الدول العربية) ولكن الأخبار مازالت بعيدة عن تكون مراكز وأطـراف إقليمـية .. وكذا الحال بالنسبة لتجمعات إعلامية إقليمية كبرى مثل أوربـت (الولـيد بـن طلال)، ART (صالح كامل) السعوديين، ومارينهو فى الـبرازيل لأنهـا تعمـل وفق قواعد اللعبة الرأسمالية وليست تجمعات إعلامية إقليمـية نظـراً للتخلف الاقتصادى والضعف السياسى الداخلى والتناقضات بين دول الجـوار وسـيطرة اللاعبيـن الكبار أمثال روبرت ميردوخ على أسواق حساسة كما فى آسيا.

وقـد استطاعت بعض الدول النامية بقروض خارجية تحسين شبكاتها الاتصالية أو اسـتطاعت بفضـل المسـاعدة التى تحصل عليها من دول الشمال فى إطار البرنامج الدولى لتنمية الاتصال الحصول على بعض الأجهزة والمعدات الحديثة فـى مجال البث الإعلامى .. وعلى الرغم من ذلك فإن الأوضاع بالنسبة للغالبية العظمـى من الدول النامية باقية على حالة من التردى فلم تدرى هذه الدول قيمة

(١) سمير أمين: أزمة المجتمع العربي، (القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٥).

(2) Denis McQuail & Seven Wandal. Op. Cit.. p. 220.

العــائد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للاستثمار في مجالات البنى الأساسية للاتصال ناهيك عن العائد الإعلامي والثقافي [1].

٥- تلعــب حالة السيولة التي تسود النظام العالمي دوراً هاماً في صعوبة إنجاز نمــوذج له صـــفة الثــبات النسبي إذ أنه في ظل العولمة ازدادت العلاقات بين الجــنوب والجنوب تهميشاً .. كما توترت العلاقات بين المراكز الكبرى خاصة بيــن فرنسا والولايات المتحدة من جهة، وبين أوربا الموحدة جميعها والولايات المــتحدة من جهة أخرى مع احتمال بروز مراكز أخرى في بداية القرن القادم تحاول أن تلعب دوراً إعلامياً موازياً لدورها السياسي والاقتصادي مثل الصين.

٦- هاجم بعض المنظرين الإعلاميين - ومن بينهم راسم الجمال - طرح قضية الاخــتلال بين الشمال والجنوب بطلب التوازن لأن الاختلال كما يرى ناجم عن التفاوت في مدخلات القوة في النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والتقنية بيــن الدول المتقدمة والنامية والذي استتبعه تفاوت آخر من قدراتها على إنتاج وتوزيع الأنباء والمعلومات (مخرجات القوة) وهو ما ترتب عليه اختلال في كم ونوع المعلومات والأنباء المتداولة دولياً.

ولما كان لا يوجد دولتان متشابهتان أو متكافئتان تماماً في نظمها ومدخلات قوتهـــا فقــد أتخذ هذا الاختلال أشكالاً ومستويات عديدة بين كل دولة على حدة وبيــن بقــية دول العـــالم، وبيـــن كل مجموعة متجانسة أو شبه متجانسة وبين المجموعـــات الأخـــرى، نظراً لأن كل دولة أو مجموعة من الدول تشكل نظاماً

---

(١) لمـزيد من التفاصيل: جيهان يسرى أبو العلا: **المعالجة الإعلامية لأحداث وقضايا العالم الثالث في وسائل الإعلام المصرية**، دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٩٢، ص ص ٥١١- ٥١٩.

ينتج نوعاً وكما من المعلومات والأنباء النابعة من طبيعة النظام وأهدافه وحركته لبلوغ هذه الأهداف التى تعتبر الأنباء ومعلوماتها ذاتها إحدى وسائله لبلوغ هذه الأهداف والتى قد لا تشبع احتياجات واهتمامات دولة أو دول أخرى تنتمى لنظام آخر.

وبديهى لا توجد دولة فى العالم ملزمة على أى نحو بإنتاج وتوزيع الأنباء التى تحتاجها دول أخرى، وإنما يقع على كل دولة مسئولية الإنتاج والحصول على ما تحتاجه من أنباء ومعلومات وبناء على ما سبق صار الاختلال الإعلامى الدولى ظاهرة دولية عامة تعبر عن الاختلافات القائمة بالفعل بين مختلف النظم والثقافات والاهتمامات المحلية ودرجة التقدم بالنسبة لكل طرف [1].

● ● ●

ثانياً: العوامل المؤثرة على تدفق الأخبار الدولية

سعى الفكر الأكاديمى فى مجالات الإعلام الدولى والعلاقات الدولية والجغرافيا السياسية إلى استقراء العوامل المحددة للتدفق الإعلامى الدولى كما سعى إلى اختبار العلاقات الارتباطية بين هذا التدفق والعوامل المؤثرة فيه كمياً وكيفياً.

وكانت البداية مبكرة عام ١٩٦٥ عندما فرق أوستجارد Ostgaard بين نوعين من العوامل تؤثر على بنية تدفق الأخبار:

(١) راسم محمد الجمال: مرجع سابق، ص ص ١٤٠ – ١٦١.

الأولـــى: عوامل خارجية تعنى بسياق صناعة الخبر مثل العوامل السياسية والاقتصادية ومن بينها الرقابة، الملكية، والتمويل، **والثانية:** عوامل داخلية متضمنة داخل الخبر محددة أهميتها [١].

وتأسيســاً علـــى أوستجارد اقترح جالتونج وروج Galtung & Ruge عام ١٩٦٥ أيضـــاً اثـــنى عشـــر عـــاملاً تؤثر على أهمية الأخبار الدولية هى: التكرار Frequency، القـــرب Threshold، الوضوح Unambiguity، المعنى أو المغزى Meaningfulness، الاتفـــاق أو المطابقة مع الشائع عن الدولة المنقول عنها الخبر Consonance، عـــدم الـــتوقع Unexpectedness، الاســـتمرارية Continuity، التركيب أو الصياغةComposition، الارتباط بدولة من دول الصفوة Relevance to Elite Nation، الارتـــباط بالصـــفوة أو المشـــاهير Elite People، الســـلبية Negativity، وقـــد ركـــزت دراســـتهم الإمبريقية على العوامل الداخلية أكثر من العوامل الخارجية [٢].

وقـــد طور روزنجرين Rosengreen أعوام ١٩٧٠، ١٩٧٤، ١٩٧٧ فكرة العوامـــل الداخلـــية والخارجية لتقييم أداء وسائل الإعلام الأمريكية فى بث الأخبار الخارجـــية مركـــزاً علـــى المســـافة المادية والصلات الثقافية، فيما رصد دوبرى Dupree عـــام ١٩٧١ أحد عشر متغيراً تمكن تغطية وتدفق الأخبار الخارجية منها (حجـــم الـــتجارة الخارجـــية، حصة الفرد من إجمالى الناتج القومى، عدد السكان، المســـافة بيـــن الولايات المتحدة والدولة التى يتم تغطية أحداثها، قيمة الاستثمارات الأمريكـــية فـــى هذه الدولة، عدد الجرائد اليومية لكل ألف من السكان التعليم، اللغة

(1) Kyungmo Kim & George Barnett. Op. Cit., pp. 323 – 352.
(2) For details: Johan Galtung & Mark Ruge. Op. Cit., pp. 64 – 91.

الرســمية، وأوضــح أن كــلا من المسافة، عدد السكان ربما يكونا هما المعيارين الأساسيين لتغطية الأخبار الخارجية [1].

وفى عام ١٩٧٣ حدد آل هستر Hester ثلاثة محددات للتدفق الخبرى بناء علــى العلاقــات الخارجية: مكانة الدولة فى سلم القوة، التجانس الثقافى، والعلاقات الاقتصــادية. وحــدد هســتر مكانة الدولة فى سلم القوة بــ الحجم (المساحة)، عدد الســكان، الــتطور الاقتصــادى، تــاريخ اســتقلالها، وضم التجانس الثقافى (اللغة المشــتركة، عدد المهاجرين، الهجرة المتبادلة، حجم السياحة بين البلدين، العلاقات التاريخــية مــثل الــروابط الاســتعمارية القديمة) .. وشملت العلاقات الاقتصادية (التجارة الدولية، المعونة الاقتصادية، الاستثمار بين الدولتين) [2].

على حين قرر روبنسون وسباركس Robinson & Sparks عام ١٩٧٦ أن تدفــق الأخبار الدولية يحكمه أربعة عوامل: تقنى – اقتصادى، سياسى – تاريخى، عناصــر الخــبر (الــوزن التحريرى له)، ضغوط السوق أو الجمهور، والعاملان الأولان همــا عــاملان خارج حدود المؤسسة الإعلامية Extra – Media يحددان مدى توفر الأخبار الخارجية Availability أما العاملان الأخيران فيتعلقان بالعملية الــتحريرية وربمــا كانــت هذه الدراسة من أوائل دراسات السبعينيات التى اهتمت برصد التفرقة بين العوامل الخارجية والداخلية [3].

---

(1) John Dupree. **International Communication: View from a Window on the World.** Gazette. Vol. 17. 1971. pp. 224 – 235.
(2) Al Hester. **Theoretical Consideration in Predicting Volume & Direction of International Information Flow,** Gazette. Vol. 19. 1973. pp. 238 – 247.
(3) Jerry Robinson and Venol Sparks. **International News in the Canadian and American Press: A Comparative News Flow Study.** Gazette. Vol. 22. 1976. pp. 203 – 218.

ثــم بدأ الباحثون فى الثمانينيات فى استخدام مصطلح التغطية Coverage بــدلاً من التدفق Flow فقد درس شوميكر وزملائه Shoemaker مفهوم الانحراف أو Deviation كمؤشر لأهمية التغطية الدولية للأحداث، وقد رأوا أن الأحداث التى تهــدد الوضع السياسى القائم وعلى رأسها مصالح الولايات المتحدة، وكذا التى تهدد المعايــير الاجتماعية بالمعنى الأمريكى (الحرية الاقتصادية - التعددية السياسية - حقوق الأقليات ... الخ). كانت تعتبر أحداثاً تستأهل التغطية (١).

أما تشانج Chang وزملاؤه فقد خلصوا عام ١٩٨٧ إلى أن التغطية الخبرية الدولــية يحكمهــا قســمين مــن العوامل، الأولى موجهة نحو السياق Context - Oriented والثانــية موجهــة نحو الحدث Event - Oriented، وتدرس المجموعة الأولــى العلاقــة بين التغطية الخارجية والعوامل السياقية أو الخارجية مثل القرب الجغــرافى، الــتقارب السياســى، العلاقــات الاقتصــادية، التشابه الثقافى وتدرس المجموعــة الثانــية الخصــائص الكامــنة فــى بنية الأخبار الخارجية مثل درجة الانحــراف، الغرابة، الطبيعة السلبية للأخبار التى تحدد قيمة الخبر الخارجى بغض النظر عن العوامل الخارجية (٢).

وفــيما يــتعلق بالمساهمات العربية فى دراسات التدفق فمن أبرزها دراسة أشــرف عبد المغيث عام ١٩٩٣، فقد أضاف لمجموعة العوامل السابقة (اقتصاديات إنــتاج الأخــبار) التى تشمل عدد المراسلين الأجانب، وقابلية المنطقة لإنشاء قاعدة لجمــع وإرســال الأخــبار، وقــدرة الجمهور على شراء الأخبار المنتجة مما يدفع

---

(1) Johan Shoemaker et al. **Deviance of International Events in the U. S. Media** in M. Mclaughlin (ed.). Communication Yearbook. (New York: Sage Publications. 1986). pp. 348 – 365.

(2) Tim Chang et al. **Determinants of International Flow in the U. S. Media.** Communication Research. Vol. 14. 1987. pp. 1987.

وكـالات الأنباء الغربية لإرضاء المستهلك الأساسى لها فى المجتمع الغربى بتقديم عـدد كبـير مـن الأخـبار عن العالم الأول على حساب العالم الثالث، وكذا تلعب (التكنولوجيا وتسهيلات الاتصال) دوراً هاماً فى نقل الأخبار بين الدول [(١)].

وفـى دراسـة راسـم الجمال النقدية عن التدفق الإعلامى من الشمال إلى الجـنوب: الأبعـاد والإشكاليات عام ١٩٩٤ حاول رصد – من استقرائه لمجموعة كبيرة من الدراسات الإمبريقية عن التدفق – المتغيرات الدالة وغير الدالة فرأى أن متغـيرات الصـلات الثقافية وحجم التجارة وحصة الفرد من إجمالى الناتج القومى ومكانة الدولة ترتبط إيجابياً بكم الأنباء والمعلومات المتبادلة بين الدول.

بيـنما قرر أن الدراسات اختلفت فى إثبات وجود علاقة بين القرب المكانى وعدد السكان وبين التدفق فبعض الدراسات أثبتت وجود مثل هذه العلاقة الارتباطية الإيجابـية وبعضها الآخر لم تثبت له هذه العلاقة وبعضها جاء فى المنتصف وأثبت وجود علاقة ثانوية قياساً بالعلاقة القائمة بين المتغيرات الأخرى [(٢)].

وإذا أردنا التعليق على هذه الدراسات فالمؤلف يرى أن:

١- معظـم دراسـات الـتدفق حللت التغطية الخبرية بتطبيق أسلوب تحليل المضـمون وركـزت معظم هذه الدراسات على دولتين فقط أو على الأكثر منطقة بعينها تختار دول فيها مثل أوربا أو أمريكا الشمالية .. وعلى الرغم مـن تركيز هذه الدراسات على التحليلات ذات الأبعاد المتعددة التى تدرس أكـثر من متغير (الحجم – السكان – حصة الفرد من إجمالى الناتج القومى

---

(١) أشرف عبد المغيث، مرجع سابق، ص ١٣٢.

(٢) راسم محمد الجمال: مرجع سابق، ص ص ١٤٠ – ١٦١.

... الخ) فإن هذه الدراسات لم تدرس منطقة كاملة كالعالم الإسلامى أو قارة بأكملها مثل أمريكا اللاتينية أو أفريقيا.

٢- لم توضح هذه الدراسات الفارق بين (التدفق)، (التغطية) فعلى حين نحت دراسات الستينيات والسبعينيات إلى دراسة الظاهرة على أنها تدفق فإن دراسات الثمانينات بدأت فى استعمال مصطلح (التغطية) ربما لكى تضم إليها دراسة الاختلال الكيفى بين الأخبار السارة والأخبار السيئة (أو الأخبار الإيجابية – السلبية)، وكذلك بسبب صعود الدراسات اللغوية والتى طالت المجال الإعلامى فى الثمانينيات وتبعاً لتفرقة المؤلف فإن التغطية تشمل (التدفق الكمى) الذى يناسبه أسلوب تحليل المضمون و(الإطار) الذى يوضع فيه هذا التدفق الذى يناسبه أساليب تحليل الخطاب.

٣- لا يتفق المؤلف مع (هستر) الذى رأى "عدم جدوى دراسة التدفق الدولى للمعلومات خلال فترة زمنية محددة لما ينجم عن ذلك من الحصول على صورة مشوهة عن اتجاهات وأحجام التدفق ويفترض إمكانية قياس التدفق خلال فترة زمنية طويلة والوصول إلى نماذج محددة تتغير عبر فترات زمنية طويلة بتغير العلاقات بين الدول" [1] إذ يرى المؤلف أن رأى هستر يعنى أن المراكز البحثية فقط هى التى تستطيع دراسة التدفق وليس الباحثين الأفراد لاسيما وأن دراسة التدفق لا يصلح معها سحب العينات المنتظمة كالشهر الصناعى والأسبوع الصناعى لاحتمال تخطى مواد صحفية تؤثر على نتائج التحليل.

---

(١) نفسه، ص ص ١٤٠ – ١٦١.

ولـــذا فالـــرأى الأرجـــح هو إتاحة الفرصة للباحثين الأفراد لإجراء أبحاث عن الـــتدفق بشـــرط عـــدم الاقتصـــار على دولة أو دولتين ودراسة منطقة أو قارة بأســـرها، علـــى أن يـــتم تجميع هذه النتائج وإجراء تحليل من النوع الثانى لها Secondary Analysis كمـــا فعـــل كيم وبارنيت عام ١٩٩٦ عندما درساً بنية الاتصـــال الدولـــى باستخدام التحليل الشبكى وهو أحد الأساليب العاملية كتحليل المصفوفات والتحليل العنقودى على مستوى العالم بأسره.

● ● ●

ثالثاً: مفهوم العالم الإسلامى

ينصـــرف مفهـــوم المؤلـــف للعالم الإسلامى إلى الوجود الإسلامى فى كل مناطق العالم بصرف النظر عما إذا كان هذه الوجود يتم فى إطار دول إسلامية أو غير إسلامية أى دراسة الدول الإسلامية والأقليات الإسلامية.

ويعـــرف المؤلف الدولة الإسلامية بأنها الدولة التى يشكل المسلمون نصف ســـكانها علـــى الأقل فإذا بلغت نسبة السكان المسلمين ٥٠% فأكثر من إجمالى ســـكان الدولـــة اعتـــبرت تلك الدولة إسلامية الطابع ويتم هذا التعريف ببساطته وسهولة تطبيقه ووجود اتفاق عام حول مدلوله [١].

والمؤلف يعتمد هذا التعريف رغم المشكلات التى تحيط به مثل:

١- عـــدم توافر إحصاءات دقيقة عن السكان فى بعض الدول الإسلامية إما لعـــدم توافـــر الإمكانات المادية لإجرائها كما هو الحال فى اليمن الجنوبى سابقاً أو لرغبة السلطة السياسية فى عدم الإفصاح عن حقيقة التوزيع الدينى

(١) محمود أبو العلا: جغرافية العالم الإسلامى (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨١) ص ١.

للســكان لأن ذلــك يمس التوازنات السياسية القائمة كما هو الحال فى لبنان الذى أجرى آخر تعداد سكانى له عام ١٩٣٢، كما أن التعدادات ليست دقيقة ويــرجع ذلك لتخلف الأساليب المستعملة فى التعداد السكانى أو لعدم توافر الوعـــى الإحصائى لدى السكان أو لوجود مشكلات عرقية أو حروب أهلية تؤثر على دقة التعداد السكانى كما هو الحال فى أفغانستان.

وكــذا فــإن المشكلات العرقية تؤثر على قيمة بيانات التعداد فعلى سبيل المثال عندما أجرى أول تعداد سكانى فى نيجيريا بعد الاستقلال عام ١٩٦٣ حاولت كل مجموعـــة دينية أن تضخم فى حجمها فى التعداد مما أدى إلى إهدار قيمة التعداد فـــى تحديد التوزيع الدينى والعرقى للسكان، فضلاً عن ذلك فإن معظم الأقليات الإســلامية ليست لها تنظيمات تحتفظ بقوائم رسمية عن حجم المسلمين كما أنه مـــن الصعب التوصل لعدد المسلمين فى بعض الدول كالدول الأفريقية حيث أن هناك تحولاً مستمراً للعديد من السكان إلى الإسلام أو العكس.

٢- المشكلة الثانية التى يواجهها تعريف الدولة الإسلامية أنه يربط التعريف بنسبة مئوية معينة قابلة للتغير مع تغير الظروف المعيشية والصحية للسكان فلو افترضنا أنه لسبب من الأسباب هبطت نسبة السكان المسلمين فى الدولة من ٥٠ % إلـــى ٤٩% فهل تفقد الدولة صفتها الإسلامية لوجود هذا الفارق الإحصائى الدقــيق أضف لذلك صعوبة تصنيف الحالات الحرجة مثل نيجيريا التى يتراوح فيها النسبة بين ٤٥ – ٥٥%.

٣- المشــكلة الثالــثة التى يواجهها التعريف هو أنه يربط الدولة الإسلامية بعـــامل موضـــوعى قـــد لا يكون له تأثير محدد على السياسة الخارجية للدولة

ومثال ذلك أثيوبيا التى تزيد فيها نسبة المسلمين عن ٥٠% وتنظم علاقاتها على أساس أنها دولة مسيحية، وكذلك ألبانيا التى كانت حتى فترة قريبة تنظم علاقاتها بوصفها دولة ماركسية، وتركيا التى تنظم علاقاتها على أساس كونها دولة علمانية على الرغم من التحولات الحادثة فيها والتى يلعب العامل الإسلامى دوراً هاما فى تشكيلها [1].

٤- ورغم ما تقدم من ملاحظات فإن المؤلف يعتمد مفهوماً للعالم الإسلامى يضم دول منظمة المؤتمر الإسلامى بالإضافة للأقليات المسلمة فى روسيا والهند والبلقان وشرق أوربا وأفريقيا بالإضافة للأقليات الحديثة فى الولايات المتحدة ودول غرب أوربا.

●●●

رابعاً: العوامل المؤثرة على التدفق الخبرى للعالم الإسلامى

١- الموقع:

حيث يسعى المؤلف لاختبار العلاقة بين التدفق الخبرى والمناطق المختلفة للعالم الإسلامى بدوله وأقلياته.

تقع معظم الدول الإسلامية فى المنطقة الجغرافية الواقعة بين خط عرض ٤٠ درجة شمالاً وخط عرض ٥ درجات جنوباً، وبين خط طول ١٨ درجة غرباً وخط طول ١٢٠ درجة شرقاً، وتغطى الدول الإسلامية بذلك مساحة جغرافية واسعة تمتد من المحيط الأطلنطى غرباً (المغرب وموريتانيا والسنغال) حتى

(١) محمد السيد سليم : **العلاقات بين الدول الإسلامية** ، (الرياض : مطابع جامعة الملك سعود ، ١٩٩١) ، ص ص ١ - ١٦ .

المحـيط الهادى شرقاً (إندونيسيا وبروناى) ومن بحر قزوين شمالاً (إيران وتركيا) إلى بحيرة فكتوريا جنوباً (أوغندا).

وتبلغ مساحة الدول الإسلامية ٢٦,٦١٨ مليون كيلو متر مربع تمثل حوالى ٢٠% مـن مسـاحة اليابسـة فى العالم، ويقع ٦٩,٦% من تلك المساحة فى القارة الإفريقـية، ٣٠,٤% مـنها فـى آسيا كما أن ٤٤,١% من تلك المساحة تضم دولاً عربـية، وتشـكل المسـاحة الكلـية للـدول الإسلامية قارة تعادل مساحة القارتين الأمريكية (٢٩ مليون كيلو متر مربع) وتفوق مساحة قارتى أوربا وأمريكا الشمالية مجتمعتين (٢٢,٢٢٧ مليون كيلو متر مربع) وتعتبر السودان أكبر الدول الإسلامية من حيث المساحة (٢,٥٠٦ مليون كيلو متر مربع) بينما تعتبر مالديف أصغرها من حيث المساحة (٣٠٠ كيلو متر مربع) [١].

وتمـتد المسـاحة الهائلة للدول الإسلامية على شكل هلال يبدأ بجناح أيسر عمـيق فى غرب أفريقيا ينحدر تدريجياً فى شمال أفريقيا ولا يلبث أن يثنى شمالاً لينـتظم غـرب ووسط آسيا فى عروض عليا ولكنه لكى ينحنى بجناحه الأيمن نحو الجـنوب فى جنوب وجنوب شرقى آسيا، وكما يبدأ هذا الهلال العظيم من عروض مداريـة وشـبه استوائية فى أفريقيا فإنه ينتهى عند العروض نفسها فى آسيا ويشبه جمـال حمـدان هـذا الامتداد الهائل بهلال ضخم تتوسطه نجمة كبيرة هى المحيط الهندى الذى يعتبره محيط الإسلام [٢].

---

(١) المرجع السابق: ص ص ١٧ – ٢٣.

(٢) انظـر بالتفصيل جمـال حمدان : **العالم الإسلامى المعاصر** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧)؛ ص ص ١٧ – ٤٢.

ومـــن الناحية الاستراتيجية فإن الدول الإسلامية تمتد عبر مساحة هائلة فى العـــالم القديم وتتميز هذه المساحة بانفتاحها على المحيطات العالمية كما أنها تشرف علـــى العديـــد مـــن الـــبحار المهمة فالدول الإسلامية تطل على المحيط الأطلنطى والمحيط الهندى والمحيط الهادى، كذلك فإن الدول الإسلامية تشرف على مجموعة مهمـــة من البحار أهمها البحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربى وهى أذرع بحـــرية هامـــة فـــى الـــتجارة الدولية ووسائل الاتصال العالمى، كما تتحكم الدول الإسلامية فى مجموعة من المضايق والممرات الهامة كقناة السويس، ومضيق باب المـــندب، ومضـــيقا البســـفور والدردنـــيل ومضيق ملقا بين جزيرة سومطرة وشبه جزيـــرة الملايو ويبلغ طوله ٥٠٠ ميل ويربط المحيط الهندى بالمحيط الهادى فيما يـــرى محمـــد ســـيد سليم أن الموقع الاستراتيجى للدول الإسلامية قد قل بعد الفترة الاستعمارية وبتقدم تكنولوجيا الصواريخ العابرة للقارات [(١)].

ويمكن تقسيم العالم الإسلامى من حيث جغرافيته إلى التقسيمات التالية:

أ ــ مجموعـــة الـــدول العربـــية: وتضم الجزائر، البحرين، جزر القمر، جيبوتى، مصـــر، العـــراق، الأردن، الكويت، لبنان، ليبيا، موريتانيا، المغرب، عمان، فلســـطين، قطـــر، الســـعودية، الســـودان، سوريا، تونس، الإمارات العربية المتحدة، الصومال، إريتريا.

ب ــ مجموعة دول الشرق الأوسط غير العربية: تركيا، إيران، أفغانستان.

(١) محمد السيد سليم: **العلاقات بين الدول الإسلامية**، مرجع سابق، ص ٢٣.

ج ــ مجموعــة الدول الإفريقية الإسلامية: بنين، بوركينا فاسو، الكاميرون، تشاد، الجــابون، جامبــيا، غينــيا، غينــيا بيساو، مالى، النيجر، نيجيريا، السنغال، سيراليون، أوغندا.

د ــ مجموعة دول جنوب آسيا: باكستان، بنجلاديش.

هــ ــ مجموعة دول آسيا الوسطى والقوقاز: أوزبكستان، كازاخستان، تركمنستان، قرغيزستان، طاجيكستان، أذربيجان.

و ــ مجموعة دول جنوب شرق آسيا: ماليزيا – إندونيسيا.

ويمكن تقسيم الأقليات المسلمة فى العالم التقسيمات الآتية:

أ ــ **الأقلية المسلمة فى روسيا الاتحادية فى حوض الفولجا والأورال وشمال القوقاز وتضم شعوب التتار والشيشان فضلاً عن مسلمى القرم فى أوكرانيا.**

ب ــ **الأقلــية المسلمة فى الهند وفى إقليم كشمير وهى أكثر الأقليات المسلمة وزناً (تعــدت ١٠٠ مليون) بل يفوق تعدادها عدد سكان أكبر الدول الإسلامية عدداً ما عدا إندونيسيا.**

ج ــ الأقلية المسلمة فى البلقان وشرق أوربا فى البوسنة وكوسوفو وألبانيا.

د ــ الأقليات المسلمة فى أفريقيا وتتركز فى شرقها وفى غربها بسبب الهجرات من الجزيرة العربية ومن شمال غرب أفريقيا المسلم.

هــــ ــ الأقلــيات المسلمة فى أوربا والأمريكتين واستراليا وهى من غير شعوب المــنطقة المعنــية إذا وصلوا بالإسلام إليها مع هجراتهم من الدول الإسلامية مــنذ نهايــة القــرن التاســع عشر وطوال القرن العشرين واستقروا فى هذه

المناطق ليصبحوا أقليات فضلاً عمن اعتنق الإسلام بعد ذلك تحت تأثيرهم ويتركز المسلمين فى أوربا فى فرنسا وبريطانيا وبلجيكا وهولندا [(١)].

وهناك عامل هام يرتبط بالموقع وهو المساحة وهو يعتبر من بين عناصر مكانة الدولة فى سلم القوة، ونستطيع أن نقسم الدول الإسلامية التقسيم الآتى:

أ ــ **دول كبيرة المساحة:** وهى التى تكون مساحتها أكبر من ٨٠٠ ألف كم٢ مثل السودان، الجزائر، السعودية، موريتانيا، إيران، تركيا. وتضم هذه الفئة ١٦ دولة من أصل ٥٣ دول شملتها العينة.

ب ــ **دول متوسطة المساحة:** وهى الدول التى تتراوح مساحتها ما بين ١٠٠ – ٨٠٠ ألف كم٢ مثل المغرب، ماليزيا، سوريا، بنجلاديش، العراق، أفغانستان، اليمن. وتضم هذه الفئة ٢١ دولة.

ج ــ **دول صغيرة:** وهى الدول التى تقل مساحتها عن ١٠٠ ألف كم٢ مثل قطر، البحرين، الكويت، جيبوتى، بروناى، سيراليون. وتضم هذه الفئة ١٦ دولة.

٢- السكان:

يتوزع المسلمون بين ثلاث وخمسين دولة إسلامية تتمثل فى الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى بالإضافة إلى أقليات ضخمة فى دول مثل الهند وروسيا وغيرها من الدول الآسيوية والأفريقية غير الإسلامية إضافة إلى الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية ويشكل المسلمون ربع سكان العالم

---

(١) نادية محمود مصطفى: **الأقليات المسلمة: إطار عام مقارن للدراسة**، فى حسن حمدان العلكيم، **قضايا إسلامية معاصرة**، (القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية، جامعة القاهرة، ١٩٩٧)، ص ص ٢٣٥ – ٢٤١.

تقريباً إذ يبلغ عددهم ١,٢ مليار نسمة وهم بذلك يشكلون ثانى مجموعة بشرية من حيث ضخامة العدد بعد سكان الصين [*].

وإذا كان العالم الإسلامى يتسع لأقطار فى كل من آسيا وأفريقيا وأوربا فإنه يتسم كذلك بتنوع فى عدد السكان بين دول تتميز بكثافة سكانية (إندونيسيا ١٩٥,٢ مليون نسمة)، ودول تتصف بالخفة السكانية (المالديف ٠,١٨٢ مليون نسمة) [1].

ويشكل عامل السكان فى العالم الإسلامى أهمية كبيرة بالنسبة للقوى الكبرى المهيمنة على العالم قبل الولايات المتحدة وأوربا الموحدة لاسيما فرنسا التى يتواجد بها أكبر أقلية مسلمة فى أوربا وهو ما دفع الباحث الفرنسى (جان بورجوا بيشا) إلى تتبع زيادة عدد المسلمين فى القرن القادم فبعد حوالى ٢٠ سنة أى حوالى ٢٠٢٠ سيحتل الإسلام المرتبة العالمية الأولى بمعدل سكانى سيقدر بحوالى ٢,٥٠٣ مليون نسمة من مجموع ٧,١١٧ مليون نسمة وهو ما يعادل ٣٠,٦% من سكان العالم بينما ستتراجع المسيحية إلى الصف الثانى بمعدل سكانى سيصل ٢,٠٦١ أى حوالى ٢٥,٢% أما الصين فستعرف ارتفاعاً بسيطاً من ١,٤٦٠ عام ٢٠٠٠ إلى ١,٤٨١ مليون نسمة عام ٢٠٢٠، وهو ما يعادل ١٧,٩% من سكان العالم المتوقعين.

(*) عدد دول منظمة المؤتمر الإسلامى الآن ٥٧ دولة بانضمام: كوت ديفوار، جويانا، سورينام، توجو إلى المنظمة فضلاً عن ثلاثة مراقبين هم: البوسنة، تايلاند، أفريقيا الوسطى كما يظهر فى الموقع الجديد للمنظمة على الإنترنت، ولكن المؤلف اعتمد فى دراسته على إحصاءات دراسة النشاط لعام ١٩٩٤.

(١) عبد المنعم المشاط: **قضية التجزئة والتخلف فى العالم الإسلامى**، فى حسن حمدان العلكيم، مرجع سابق، ص ٢٥٧، ٢٥٨. وانظر أيضاً : عبد المنعم المشاط: **أصول ظاهرة التخلف فى العالم الإسلامى**، السياسة الدولية، عدد (٩٩)، يناير ١٩٩٠، ص ص ٦٢ – ٧٧.

وستستمر وتيرة تطور التيارات الروحية والثقافية على هذا المنوال لتصل عام ٢١٠٠ إلى التركيبة التالية:

- سيصل عدد المسلمين إلى ٤,٤١٢ مليون نسمة من مجموع ١١,٠١١ مليون نسمة من سكان العالم أى ما يعادل تقريباً مسلماً من ضمن شخصين من سكان العالم أى أن الإسلام سيغطى بهذا المعنى ٤٠,١% من مجموع سكان العالم.
- ستظل المسيحية تحتل المرتبة الثانية لكن مع فاصل بعيد عن الصف الأول أى أنها لن تغطى سوى ٢٠,٢% من مجموع سكان العالم.
- أما الصين فستمثل حوالى ١٣,١% من مجموع سكان العالم أما بقية الأديان والتيارات الروحية المتعددة فسيكون مجموعها ٢٦,٢% من مجموع سكان العالم (١).

فالدول الإسلامية تشهد ظاهرة ارتفاع معدل تزايد السكان إذ يبلغ متوسط الزيادة السكانية حوالى ٣,٥% من السكان سنوياً وقد يصل هذا المعدل إلى مستويات مرتفعة كما هو الحال فى معظم دول الخليج العربى إذ يصل المعدل فى الإمارات العربية إلى ١٠,٧%، وفى قطر ٦,٤% وقد ينخفض فى بعض الدول الإسلامية الأخرى ليصل إلى ٠,٣% كما هو الحال فى لبنان وارتفاع معدل تزايد

---

(١) المصطفى الرزرازى المصطفى: "أطروحة الاصطدام بين الحضارات والترابط الإسلامى - الكونفوشيوس"، ورقة مقدمة للمؤتمر الدولى حول صراع الحضارات أم حوار الثقافات، منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية، ١٠ - ١٢ مارس ١٩٩٧، ص ٢٥.

الســكان يمثل مشكلة لبعض الدول الإسلامية مثل مصر وباكستان وبنجلاديش ولا يمثل نفس المشكلة بالنسبة للعراق والسعودية [(١)].

ويذكــر ريتشــارد نيكســون الرئيس الأمريكى الأسبق فى كتابه (الفرصة الســانحة) ضــرورة الاهــتمام الأمريكى بدول الأغلبية الإسلامية تركيا وباكستان ومصر وإندونيسيا [(٢)]، وهى نفس التوجه الذى أشار إليه روبرت تشاز وزملائه فى دراســته عــن (الدول المحورية فى العالم والاستراتيجية الأمريكية) الذين أضافوا للــدول الســابقة الجزائــر، وتعــتمد فكرة الدولة المحورية على الدولة التى تحفظ الاستقرار بالنسبة للمصالح الأمريكية فى دائرتها الإقليمية [(٣)].

ونستطيع أن نقسم الدول الإسلامية تبعاً لعدد السكان إلى:

أ ــ دول عالــية الكثافة: وهى التى يتراوح عدد سكانها ما بين ٥٠ مليون – ٢٠٠ ملــيون نســمة وتضم ٧ دول هى: إندونيسيا، بنجلاديش، نيجيريا، باكستان، إيران، مصر، تركيا.

ب ــ دول متوســطة الكثافة: وهى التى يتراوح عدد سكانها ما بين ٥ مليون – ٥٠ ملــيون نســمة وتضــم ٢٣ دولة مثل: الجزائر، السودان، المغرب، ماليزيا، أوغندا، سوريا، الكاميرون، اليمن.

---

(١) محمد السيد سليم: **العلاقات بين الدول الإسلامية**، مرجع سابق، ص ص ٢٣ – ٢٤.

(١) عمر الفاروق: **تذييل فى جمال حمدان**، مرجع سابق، ص ٢٣٥.

(3) Robert S. Chase. **Pivotal States and U. S. Strategy**. Foreign Affairs. Vol. 75. No. 1. Jan./ Feb. 1996. pp. 33 – 51.

ج ــ دول منخفضـــة الكـــثافة: وهى التى يقل عد سكانها عن ٥ مليون نسمة وتضم هــذه الفئة ٢٢ دولة مثل: السنغال، النيجر، الأردن، بنين، الكويت، البحرين، الإمارات، أذربيجان.

وجـــاء تقسيم الفئات على هذا النحو نظراً للفارق الكبير فى عدد السكان بين آخــر دولة فى أول فئة (مصر: ٥٧ مليون تبعاً لتعداد عام ١٩٩٤)، وأول دولة فى الفـــئة الثانية (السودان: ٢٨,٧٠٠ مليون تبعاً لنفس التعداد) لذا فقد رأى المؤلف أن تضـــم فـــئة الـــدول عالـــية الكثافة ٧ دول فقط، وهى الدول التى يؤثر العدد الكبير للسكان على أوضاعها الاقتصادية والسياسية.

٣- العوامل الاقتصادية:

تقـــع الدول الإسلامية فى عداد الدول النامية إذا أخذنا مؤشر مدى مساهمة الأنشـــطة الاقتصادية المختلفة فى الناتج القومى الإجمالى للدول الإسلامية فإننا نجد أن انقطاع الأولى (الزراعة والصيد والرعى والأنشطة الاستخراجية) تسهم بحوالى ٣٤,٧% مـــن هـــذا الـــناتج بينما تمثل الصناعات التحويلية ١١,٧% من هذا الناتج وتمـــثل الأنشـــطة المرتـــبطة بالخدمات والتوزيع والبناء والتشييد والكهرباء والماء والغاز ٥٣,٦% من هذا الناتج.

فمســاهمة الصـــناعات التحويلـــية والـــتى تعـــد المؤشر الحقيقى للتطور الاقتصادى فى اقتصاديات ضئيلة إلى حد كبير وتعتبر الأردن والجزائر أعلى الدول الإســـلامية مـــن حيث مساهمة الصناعة التحويلية فى الناتج القومى (٣٨%، ٣٧%

علـــى التوالى) بينما تعتبر عُمان وبنين أقلهم فى هذا المقام (٢,٣%، ٠,٣%) على التوالى [١].

وهناك تفاوت واضح فى المستويات الاقتصادية بين الدول الإسلامية، فبينما تزيد فى بعض الدول الفوائض تعانى أخرى من عجز مزمن فى موازين مدفوعاتها وبوجـــود عـــبء ثقيل من الديون الخارجية وعلى سبيل المثال بينما يصل متوسط الدخـــل الفـــردى فى بروناى إلى حوالى ١٧,٥٩٠ دولار فى العام لا يزيد فى تشاد عن ٧٣ دولاراً فى العام ولا يزيد عدد الدول الذى يناهز متوسط الدخل الفردى فيها ١٠٠٠ دولار عن ١٥ دولة (حوالى ٣٠% فقط من إجمالى الدول الإسلامية) [٢].

ويرتـــبط بذلك زيادة حجم الديون الخارجية لبعض تلك البلدان مثل العراق وإندونيسيا ومصر وأفغانستان وتركيا إذ وصل حجم الدين الخارجى لتلك الدول فى عام ١٩٩٥ إلى ١٠٠، ١٠٤، ٣٤، ٧٣، ٣٤ مليار دولار على التوالى، وتصل قيمة خدمـــة الدين الخارجى سنوياً فى بعض البلدان الإسلامية مبلغاً قد يصبح من العسير علـــى هـــذه الدول الوفاء به مثل تركيا والجزائر ومصر والمغرب وتونس إذ تصل تلـــك القـــيمة حوالى ٦,٩، ٣، ٢، ١ مليار دولار سنوياً وهذا عبء تنوء به كواهل تلك الدول.

كمـــا أصـــبحت الدول العربية الخليجية الأعضاء فى منظمة الدول المنتجة والمصـــدرة للـــنفط صارت تعانى – كغيرها من الدول الإسلامية – من عبء الدين الخـــارجى هذه ظاهرة حديثة أعقبت حرب تحرير الكويت ويبلغ الدين الخارجى فى

---

(١) محمد السيد سليم: العلاقات بين الدول الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٣، ٣٤.

(٢) عبد المنعم المشاط: أصول ظاهرة التخلف فى العالم الإسلامى، مرجع سابق، ص ص ٦٢ - ٧٧.

عـــام ١٩٩٥ لكــل من السعودية والكويت والإمارات ١٧، ١٠، ٥ مليارات دولار على التوالى [1].

وهناك عدد من المؤشرات التى تبين التخلف الاقتصادى فى الدول الإسلامية:

أ ــ الــدول الإســلامية تعــتمد إمــا على الإنتاج الأولى (الاستخراج) أو الزراعة كمصـــادر رئيســية للدخــل القومى ويظهر ذلك من توزيع القوى العاملة بين مختلف الأنشطة الاقتصادية فبينما تقل نسبة العاملين فى الصناعة إلى إجمالى العامليــن تــزيد هذه النسبة بدرجة ملحوظة فى الزراعة، حيث تصل الأخيرة فى النيجر وأوغندا وتشاد والسنغال وبوركينا فاسو إلى حوالى ٩١%، ٨٦%، ٨٣%، ٨١%، ٨٧% على التوالى بينما تصل نسبة العاملين فى الصناعة فى الدول ذاتها ٢%، ٤%، ٥%، ٦%، ٤% على التوالى وهذه الظاهرة مرتبطة بــتدنى مســتوى التكنولوجيا من ناحية والتركيز على قطاع واحد تقليدى من ناحية أخرى.

ب ــ علــى الــرغم مــن تركز العمالة فى الدول الإسلامية فى قطاع الزراعة فإن مســاهمة هذا القطاع فى الدخل القومى لهذه الدول هى مساهمة محدودة إذ لا تــتجاوز ٣% فــى المملكة العربية السعودية، ٢٥% فى باكستان، ٢٠% فى مصــر، ٤% فى ليبيا، ١٥% فى الجابون وربما يعود ذلك إلى تخلف أساليب الإنــتاج أو أنهــا موسمية أو ترتبط بهطول الأمطار أو نظراً لتدنى الانتاج لظــروف الطقس أو التسميد على الرغم من حصول هذه الدول على قروض ضخمة من المؤسسات الدولية لإصلاح الزراعة.

---

(١) عبد المنعم المشاط: **قضية التجزئة والتخلف فى العالم الإسلامى**، مرجع سابق، ص ص ٢٥٨، ٢٥٩.

ج ــ يلاحــظ أن العديــد من الدول الإسلامية تعانى من معدلات عالية من التضخم السـنوى تصــل فى بعضها إلى أكثر من ٥٠% فى دول مثل تركيا، العراق، وإيران (٥٩%، ٥٠%، ٥٠%) على التوالى والتضخم ينجم عن زيادة الطلب بمعــدلات أعلــى من قدرة المجتمع على إنتاج ما يكفى من السلع والخدمات للوفاء بهذا الطلب (١).

وقــد حــاول بعض المنظرين طرح المسببات التاريخية للتخلف الاقتصادى للعــالم الإســلامى فــيرى محمد السيد سليم أن "الاستعمار حاول إدماج المجتمعات الإســلامية بالمجتمعات الغربية على نحو ما حدث للمستعمرات الفرنسية فى غرب أفريقــيا، كذلــك ربطت الدول الاستعمارية اقتصاديات الدول الإسلامية المستعمرة باقتصــاداتها ربطاً رأسياً محكماً بحيث أصبحت الاقتصادات الإسلامية مجرد توابع تخــدم اقتصاديات الدول الاستعمارية سواء فى الإنتاج أو الاستهلاك، وقد أدى ذلك إلى ضعف العلاقات التجارية الأفقية بين الدول الإسلامية بعد الاستقلال [٢].

وإذا أردنــا تطبيق فكرة المركز والأطراف فى النظام الرأسمالى العالمى التى طــرحها سمير أمين على العالم الإسلامى فقد أدى التوسع الاستعمارى إلى تحويل جــزء كبــير من فائض القيمة (أى ذلك النصيب من ناتج العمل الذى يزيد عما هو ضــرورة لإعادة تكوين قوة العمل) من المجتمعات المسيطر عليها إلى المجتمعات المســيطرة، واتخذ هذا التحويل أشكالاً عينية مختلفة حسب الظروف المحلية، وفى كثير من الأحيان لم يأخذ هذا الاستغلال طريق إحلال علاقات إنتاج رأسمالية محل

---

(١) عبد المنعم المشاط: **أصول ظاهرة التخلف فى العالم الإسلامى**، مرجع سابق، ص ص ٦٢ - ٧٧.

(٢) السيد سليم: **العلاقات بين الدول الإسلامية**، مرجع سابق، ص ٥٥.

العلاقــات القديمة أى إنشاء مشروعات رأسمالية تستغل أيدى عاملة مأجورة يملكها راس مــال الاحــتكارات الأجنبية .. بل أخذ طريقاً آخر وهو حفظ العلاقات القديمة وإخضاعها لاحتياجات سياسة رأس المال من خلال إدماجها فى نظام التقسيم الدولى للعمل غير المتكافئ.

وتكيفت هذه الأشكال طبقاً لنوع التحالف الطبقى بين راس مال الاحتكارات المســيطرة والطبقات الحاكمة محلياً .. فمثلاً تكونت ملكيات زراعية كبيرة تنتج من أجل السوق العالمية مواد خام.

والنتــيجة الأساســية لهــذا التقسيم الدولى هى أن التحويل المذكور لفائض القــيمة خفــض شدة الاستغلال الرأسمالى المباشر فى الدول المتقدمة بينما زاد فى الاســتغلال الرأسمالى المباشر وغير المباشر (أى هذا الاستغلال الذى يتم من خلال حفظ علاقات إنتاج قديمة وإدماجها فى النظام الرأسمالى العالمى) للعمال والفلاحين فى البلدان المسيطر عليها.

والتميــيز بيــن مراكــز الــنظام وأطرافه ظاهرة جوهرية لطبيعة النظام الرأســمالى من أوله الذى يميل لإدماج مجتمعات العالم كلها على أسس غير متكافئة بعضــها يمكــن مسيرة النظام وبعضها يخضع لاحتياجات حكم الأولى، وقد لعبث الــثروة النفطــية دوراً هامــاً فى تعميق اندماج العالم العربى والإسلامى فى النظام الرأسمالى العالمى واندماجه لا كمشارك متساو بل كطرف تابع [1].

وإذا حاولــنا تقســيم الدول الإسلامية اقتصادياً فإن التقييم الشائع فى دراسات التدفق هو نصيب الفرد السنوى من الدخل القومى وبالنسبة للدول الإسلامية تنقسم إلى:

---

(١) سمير أمين: مرجع سابق، ص ص ١٢ - ١٤.

أ ــ الــدول الــتى تعيش تحت خط الفقر وهو ٢٠٠ دولار سنويا وتضم بنجلاديش ومالى وبوركينا فاسو وتشاد وغينيا وبيساو.

ب ــ الــدول ذات الدخــل المنخفض أى اقل من ٤٠٠ دولار سنوياً وتضم كل من باكســتان والســودان والسنغال والنيجر وغينيا والصومال وبنين وسيراليون وجامبيا وجزر القمر والمالديف.

ج ــ دول ذات دخــول متوسطة تتراوح ما بين ٤٠٠ – ٦٠٠ دولار سنوياً وتضم معظم الأقطار الإسلامية مثل مصر والجزائر والأردن وسوريا.

الــدول ذات الدخــل المرتفع والذى يزيد متوسط الدخل الفردى السنوى عن ٦٠٠٠ دولار ســنوياً وتضم الإمارات وبروناى وقطر والكويت والبحرين والسعودية وليبيا وعمان.

وتتمــيز العديــد مــن الدول الإسلامية بدرجة واضحة من عدم العدالة فى توزيــع الدخــل القومــى على المواطنين، وهى سمة تشترك فيها معظم دول العالم الثالث فبينما لا يزيد نصيب الفقراء فى معظم الدول التى توافرت بها بيانات عن ٧ % مــن إجمالى الدخل القومى (رغم أن نسبة الفقراء لا تقل عن ٢٠% من السكان) فــإن نصــيب أغنى ٢٠% من السكان يناهز ٥٠% من الدخل القومى ويقل نصيب الفــئات المتوسطة (والتى تصل لحوالى ٦٠% من إجمالى السكان) عن ٥٠% من الدخــل القومــى .. وبمقارنــة تلك الأرقام بمثيلاتها فى الدول المتقدمة نجد صورة عكسية إذ يزيد نصيب الفئات المتوسطة عن ٥٠% مما يوحى بأن الطبقة المتوسطة فى الدول المتقدمة – عكس الدول الإسلامية تتسم بالاتساع.

ويلاحظ نتيجة لكل ما سبق ونظراً لاعتماد تلك الأقطار على السوق الدولى فـــى ســـد احتياجات مواطنيها المتزايدة، وعلى الاقتراض إما من المؤسسات المالية الدولـــية أو من الدول الكبرى، تصاعدت مشكلة الديون الخارجية والتى بلغت لدول العـــالم الثالـــث حوالى ١٣٢٠ مليار عام ١٩٨٨ كان نصيب الدول الإسلامية منها حوالـــى ٣٩٣ مليار دولار أى حوالى ٣٠% من إجمالى حجم الدين الخارجى لدول العالم الثالث، وهذا فى الوقت الذى تصل فيه الاستثمارات العربية فى الدول الكبرى والمؤسسات التابعة لها حوالى ٦٢٠ مليار دولار عام ١٩٨٨ هذا فضلاً عن أموال بقية الدول الإسلامية [1].

والفـــارق بين أغنى الدول الإسلامية (بروناى وسيراليون) وأفقرها من حيث فـــئات الدخل يبلغ ١٥٠ : ١ فإنه لا يتعدى فى حالة الدول الغربية ٨ : ١ (سويسرا والبرتغال).

كمـــا أن الـــدول الإســـلامية تتميز بظاهرة عدم التوازن بين مقومات مكانة الدولة وذلك إذا قورنت كل دولة إسلامية بغيرها من الدول الإسلامية فمكانة الدولة فـــى المجـــتمع الدولى تتحدد بناء على مجموعة من الأبعاد (متوسط الدخل الفردى، ودرجـــة التصـــنيع، نســـبة التحضر، القوة العسكرية، ومستوى التطور الحضارى والتقنى وغيرها).

وتكـــون الدولـــة فـــى حالة توازن إذا كانت تلك الأبعاد متسقة مع بعضها البعض الآخر سواء من حيث الارتفاع أو الانخفاض أما إذا كانت الدولة متقدمة فى بعض تلك الأبعاد وغير متقدمة فى الأبعاد الأخرى فإنها تشهد حالة من عدم توازن

(١) عبد المنعم المشاط: قضية التجزئة والتخلف فى العالم الإسلامى، ص ٢٦٧، ٢٦٨.

المكانـــة وتـــؤدى حالـــة عدم التوازن فى مقومات مكانة الدول الإسلامية إلى توتر العلاقـــات بين تلك الدول وبالذات بين الدول التى تنتهى إلى الشرائح العليا من أبعاد المكانة.

وحالـــة عدم التوازن تؤدى إلى ظاهرة (تنازع القيادة) بين الدول الإسلامية وعـــدم اتفـــاق الـــدول الإســـلامية على تصور عام منظم علاقاتها المتبادلة ويحدد علاقاتهـــا المشتركة مع القوى الكبرى، ولذلك فإننا غالباً ما نشهد توترات دورية فى العلاقـــات بين الدول الإسلامية التى تنتمى إلى الشرائح العليا من أبعاد المكانة كما أن المـــألوف فـــى العلاقات بين الدول الإسلامية هو (تنازع الأدوار) وليس (توزيع الأدوار) [1].

وقد رأى المؤلف فى تقسيمه للعالم الإسلامى اقتصادياً أن يعتمد على أحدث تقريـــر للتنمـــية البشرية للأمم المتحدة صدر خلال فترة إجراءه للدراسة وهو تقرير عام ١٩٩٩ الذى قسم دول العالم إلى دول ذات تنمية بشرية عالية، ودول ذات تنمية بشـــرية متوســـطة، ودول ذات تنمـــية بشرية منخفضة مقدراً بثلاث مؤشرات هى متوسط العمر، ونسبة التعليم، والناتج المحلى الإجمالى [2] وهو مؤشر جديد يحاول المؤلـــف اختـــباره فـــى هـــذه الدراسة. وعلى ضوء التقرير قام المؤلف باستحداث الجـــدول التالـــي الذي يقسم دول العالم الإسلامى تبعاً للمعايير السابقة وهو الجدول الذى سيعتمد عليه فى الدراسة التحليلية.

---

(١) محمد السيد سليم: العلاقات بين الدول الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٢ - ٤٥.

(2) Human Development Report 1999 @ http://www.unesco.org/humandevlop/html.

تقسيم الدول الإسلامية اقتصادياً حسب تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٩

	م	الدولة	الترتيب حسب تقرير التنمية البشرية ١٩٩٤	العمر المتوقع عند الميلاد	نسبة التعليم للكبار	الناتج المحلى الإجمالى ملايين الدولارات
تنمية بشرية عالية	١	بروناى	٢٥	٧٥,٥	٩٠,٠١	٢٩,٧٧٣
	٢	الكويت	٣٥	٧٥,٩	٨٠,٤	٢٥,٣١٤
	٣	البحرين	٣٧	٧٢,٩	٨٦,٢	١٦,٥٢٧
	٤	قطر	٤١	٧١,٨	٨٠,٠	٢٠,٩٨٧
	٥	الإمارات	٤٣	٧٤,٨	٧٤,٨	١٩,١١٥
تنمية بشرية متوسطة	٦	ماليزيا	٥٦	٧٢,٠	٨٥,٧	٨,١٤٠
	٧	ليبيا	٦٥	٧٠,٠	٧٦,٥	٦,٦٩٦
	٨	لبنان	٦٩	٦٩,٩	٨٤,٤	٥,٩٤٠
	٩	كازاخستان	٧٦	٦٧,٦	٩٩,٠	٣,٥٦٠
	١٠	الفلبين	٧٧	٦٨,٣	٩٤,٦	٣,٥٢٠
	١١	السعودية	٧٨	٧١,٤	٧٣,٤	١٠,١٢٠
	١٢	تركيا	٨٦	٦٩,٠	٨٣,٢	٦,٣٥٠

	١٣	عمان	٨٩	٧٠,٩	٦٧,١	٩,٩٦٠
	١٤	أوزبكستان	٩٢	٦٧,٥	٩٩,٠	٢,٥٢٩
	١٥	المالديف	٩٣	٦٤,٥	٩٥,٧	٣,٦٩٠
تنمية بشرية متوسطة	١٦	الأردن	٩٤	٧٠,١	٨٧,٢	٣,٤٥٠
	١٧	إيران	٩٥	٦٩,٢	٧٣,٣	٥,٨١٧
	١٨	تركمنستان	٩٦	٦٥,٤	٩٨,٠	٢,١٠٩
	١٩	قرغيزستان	٩٧	٦٧,٦	٩٧,٠	٢,٢٥٠
	٢٠	ألبانيا	١٠٠	٧٢,٨	٨٥,٠	٢,١٢٠
	٢١	تونس	١٠٢	٦٩,٥	٦٧,٠	٥,٣٠٠
	٢٢	أذربيجان	١٠٣	٦٩,٩	٩٦,٣	١,٥٥٠
	٢٣	إندونيسيا	١٠٥	٦٥,١	٨٥,٠	٣,٤٩٠
	٢٤	طاجيكستان	١٠٨	٦٧,٢	٩٨,٩	١,١٢٦
	٢٥	الجزائر	١٠٩	٦٨,٩	٦٠,٣	٤,٤٦٠
	٢٦	سوريا	١١١	٦٨,٩	٧١,٦	٣,٢٥٠
	٢٧	مصر	١٢٠	٦٦,٣	٥٢,٧	٣,٠٥٠

	٢٨	الجابون	١٢٤	٥٢,٤	٦٦,٢	٧,٥٥٠
	٢٩	العراق	١٢٥	٦٢,٤	٥٨,٠	٣,١٩٧
	٣٠	المغرب	١٢٦	٦٦,٦	٤٥,٩	٣,٣١٠
	٣١	الكاميرون	١٣٤	٥٤,٧	٧١,٧	١,٨٩٠
	٣٢	باكستان	١٣٨	٦٤,٠	٤٠,٩	١,٥٦٠
	٣٣	جزر القمر	١٣٩	٥٨,٨	٥٥,٤	١,٥٣٠
تنمية بشرية منخفضة	٣٤	السودان	١٤٢	٥٥,٠	٥٣,٣	١,٥٦٠
	٣٥	نيجيريا	١٤٦	٥٠,١	٥٩,٥	٩٢٠
	٣٦	اليمن	١٤٨	٥٨,٠	٤٢,٥	٨١٠
	٣٧	موريتانيا	١٤٩	٥٣,٥	٣٨,٤	١,٧٣٠
	٣٨	بنجلاديش	١٥٠	٥٨,١	٣٨,٩	١,٠٥٠
	٣٩	السنغال	١٥٣	٥٢,٣	٣٤,٦	١,٧٣٠
	٤٠	بنين	١٥٥	٥٣,٤	٣٣,٩	١,٢٧٠
	٤١	تنزانيا	١٥٦	٤٧,٩	٧١,٦	٥٨٠
	٤٢	جيبوتي	١٥٧	٥٠,٤	٤٨,٣	١,٢٦٦
	٤٣	أوغندا	١٥٨	٣٩,٦	٦٤,٠	١,١٦٠

	٤٤	غينيا	١٦١	٤٦,٥	٣٧,٩	١,٨٨٠
	٤٥	تشاد	١٦٢	٤٧,٢	٥٠,٣	٩٧٠
	٤٦	جامبيا	١٦٣	٤٧,٠	٣٣,١	١,٤٧٠
	٤٧	مالى	١٦٦	٥٣,٣	٣٥,٥	٧٤٠
	٤٨	إريتريا	١٦٧	٥٠,٨	٢٥,٠	٨٢٠
	٤٩	غينيا – بساو	١٦٨	٤٥,٠	٣٣,٦	٨٦١
	٥٠	بوركينا فاسو	١٧١	٤٤,٤	٢٠,٧	١,٠١٠
	٥١	النيجر	١٧٣	٤٨,٥	١٤,٣	٨٥٠
	٥٢	سيراليون	١٧٤	٣٧,٣	٣٣,٢	٤١٠
	٥٣	أفغانستان	ليس هناك بيانات نتيجة للحرب الأهلية			

٤- الاستقرار السياسى:

يجمـــع معظـــم مـــنظرى العلوم السياسية على أن تحديد الحكومة أو الدولة المســـتقرة شىء صعب. فالمواطنون فى الأغلب لا يوافقون على السياسات العامة، وعـــدم الموافقـــة هـــذه هـــى ســـبب رئيسى لوجود العملية الديمقراطية، ولذا فإن المواطـــنون يخـــتلفون – فى الأغلب – عما إذا كانت تحكمهم حكومة جيدة، والأمر

يـــزداد صـــعوبة إذا خـــرج الباحثون السياسيون عن حصر عدم الاستقرار فى كم العنف أو القهر الذى تحظى به الحياة السياسية.

فالمراقـــبون السياسيون يميلون إلى اعتبار حكومات إيطاليا أو فنلندا قصيرة العمر علامة على عدم الاستقرار السياسى، وحتى الحكومات التى تعتمد على نظام رئاســـى مثل الولايات المتحدة أو فنزويلا والتى تجد صعوبات فى البرلمان أو من الـــنظام القضـــائى لتطبيق سياستها يعتبرها المراقبون السياسيون غير مستقرة [١]. وبهـــذا المعـــيار يمكن اعتبار معظم حكومات أو دول العالم غير مستقرة وهو ما لا يفـــيد فـــى تحويل المفاهيم النظرية إلى مفاهيم يمكن قياسها فيما يطلق عليه علماء المنهج Operationalization.

وبعض المنظرين يربط الاستقرار بالإقناع الذى تمارسه الحكومة لكسب ولاء جماهيرها، ولذا فهم يرونها خصيصة للدول الليبرالية خلافاً لتحقيق الاستقرار بالإجبار الذى هو خصيصة للدول الشمولية. ويرتبط مفهوماً العدل والمساواة بمفهوم الاستقرار فى النظم الليبرالية، فالشعب الذى يعيش فى ظل مؤسسات قوية يتكون لديه حس قوى بمعـــنى العدالة، وولاء للمؤسسات التى تحقق لهم الاستقرار، وكذا يتكون لديهم اتجاه قوى لمواجهة عدم العدالة، والاستقرار يعتمد بشكل رئيسى على هذه الدوافع الإنسانية القويـــة الكافـــية لمواجهـــة المؤسسات إن حادت عن الطريق السليم القويم، والطريق الليـــبرالى يسمح للمجتمع – كوحدة عضوية متكاملة بمحاربة كل أشكال الخروج عن العدالة والنزاهة دون عنف، فالشرعية تتأسس على الإقناع والعقلانية [٢].

(1) Bingham Powell. Jr.. **Contemporary Democracies: Participation, Stability, and Violence,** (Cambridge: MA. Harvard University Press. 1992). pp. 17 – 20.

(1) John Rawls. **Political Liberalism** (New York: Columbia University Press, 1995). pp. 142 – 144.

وهناك فارق كبير بين الدول غير المستقرة والدول المنهارة، فانهيار الدولة يعنى أن الوظائف الأساسية لم تعد تؤديها الدولة، فليست قادرة على إدارة شىء، لا تصــدر القوانيــن ولا تحفظهــا ويــنحل رباط التماسك الاجتماعى، ولا يرتبط بها مواطنــيها كرمــز للهوية ومعنى للفعل الاجتماعى وكذا لا يتحقق الأمن لحدودها، وكتنظــيم سياسى واجتماعى يتم تدمير التوازن الوظيفى بين المدخلات والمخرجات ولا يطالبها أحد بشىء لأن شعبها يدرك أنها لا تستطيع أن تؤدى شيئاً وهو ما يشبه ما حدث فى دول أفريقية مثل تشاد والصومال وليبريا [1].

ولكــن هناك فريق من علماء السياسة حاول أن يقنن مفهوم عدم الاستقرار أو الاضطراب السياسى حتى يمكن أن يتم التفرقة بين دولة مستقرة أو غير مستقرة سياســياً. والمشــكلة فى تأسيس مؤشر منضبط للاضطراب السياسى متنوعة بتعدد أحــداث العنف نفسها. أول مشكلة تعريفية هى أن المادة المتوفرة عن العنف تحتوى علــى عــدد مــن المتغيرات الظاهرة للعنف السياسى. وبمجرد أن يحاول الباحث اســتخدام الإحصــاء للأحــداث، يجد نفسه مركزاً فقط على مؤشر معين بدلاً من المفهــوم أى الاســتقرار السياسى للأمة. وهذا الطرح مضاهى للسؤال عما إذا كان (مقــياس الذكاء) Intelligence Quotient يقيس الذكاء حقاً، أو أن الناتج الإجمالى يقــيس التنمــية. وللقياس الجيد، ينبغى على المرء إيجاد علاقة مباشرة بين المفهوم والمؤشــر لأننا إذا أخذنا مثلاً اغتيال رئيس الدولة كمؤشر لعدم الاستقرار السياسى فســوف نفســر الظــروف التى عندها يكون فيها للاغتيال تأثيراً على الاقتصاد أو السياسة على الإجمال ولكننا لن نفسر المتغير المقصود وهو عدم الاستقرار السياسى .

(1) William Zartman (ed.). **Collapsed States: The Disintegration and Restoration of Legitimate Authority** (London: Lyme Rienner Publishers. 1995). pp. 5 – 7.

المشـــكلة التعريفية الثانية ترتبط ببناء مؤشر منضبط متعدد للعنف السياسى أن هـــناك اختلافات كيفية بين أنواع العنف. فالبيئة التى يعمل فيها العنف السياسى فـــى دولـــة يمكن أن تنقسم إلى فئات عامة: عنف ضد النظام السياسى، عنف داخل النظام، ويُمثل النوع الأول بمدى تعدد الأحداث الجماعية. والفئة الثانية تحتوى على محـــاولات الانقلاب الناجحة والفاشلة ويمكن أن تعبر الاعدامات السياسية وتكرارها عـــن عـــنف الـــنظام وهو النوع الثالث. وحتى بالنسبة لفئة العنف الجماعى، فهناك اختلافات كيفية داخلها مثل العنف الفوضوى Anomic Violence والذى يدخل فيه أحـــداث الشـــغب والعنف الاجتماعى الذى تقع داخله المظاهرات والنوع الأول هو الأخطـــر ويمكـــن أن يطلق عليها الحرب الداخلية Internal War والذى يمكن أن تنتج داخله حرب العصابات والاغتيالات السياسية.

والاستقرار السياسى فى أمة لا يعتمد فقط على سلوك الجماهير ولكن أيضاً ســـلوك النخب والجماعات المنظمة التى غالباً ما تكون جزءاً من النظام فى الأغلب مـــثل القـــوات المسلحة التى تعبر عن نفسها فى شكل انقلابات ومحاولات انقلاب، فضلاً عن أن عنف النظام يغيب فيه فى أحيان كثيرة الحد الفاصل بين حفظ القانون واعتباره نوعاً من عدم الاستقرار [1].

وقـــد رأى المؤلـــف أن يعتبر الدولة الإسلامية غير مستقرة سياسياً إذا كانت تشـــهد خـــلال فترة الدراسة حرب أهلية (حالة أفغانستان) أو حرب داخلية بين النظام وجماعات مسلحة (حالة الجزائر)، أو لم يستقر وضعها بعد احتلال خارجى (فلسطين).

●●●

(1) Dipak K. Gupta. **The Economics of Political Violence: The Effect of Political Instabilityon Economic Growth.** (New York: Praeger Inc.. 1990). pp. 191 – 201.

تأثير الإعلام فى وضع أطر شئون العالم الإسلامى

يعالج هذا الجزء من الفصل: نموذج تأثير الإطار واستخداماته فى المجال الإعلامى بعدها يفصّل هذا الجزء العلاقة بين الخطاب والإطار. بعدها يعرض المؤلف للخطاب الاستشراقى والاستعمارى ودوره فى وضع أطر شئون العالم الإسلامى، وهى الخطابات السابقة على العولمة التى شكلت فى عقد التسعينيات العدسات الجديدة التى يرى بها الغرب العالم الإسلامى.

•••

أولاً: نموذج تأثير الأطر

١- تعريف الإطار:

يقصـــد بالإطار Frame أو التأطير Framing اصطلاحاً الاختيار والتركيز واســـتخدام عناصر بعينها فى النص الإعلامى لبناء حجة أو برهان على المشكلات ومسبباتها وتقييمها وحلولها.

ولكى تؤطر موضوعاً لابد أن تختار بعض أوجه الحقيقة المدركة وتبرزها عـــبر آليات الاختيار - السكوت أو الحضور - الغياب لكلمات أو عبارات أو صور نمطـــية، أو مصادر للمعلومات لتقديم مجموعة من الحقائق أو الأحكام عن موضوع يتم تناوله.

ويقـــدم مفهوم الإطار اقتراباً بحثياً يجمع الفروض المبعثرة لعدد من المداخل البحثية لدراسة النصوص الإعلامية مثل تحليل الإدراك، ودراسة الصورة بتنظيم نتائج

هذه الدراسات وتقديم إطار جدلى جديد (مركب مفاهيمى) أو Synthesize لبناء نموذج معرفى أو Paradigm يقود عملية البحث فى النصوص الإعلامية - بتقديم إطار شامل ينير الطريق لمعرفة كيف يتم التأثير على الوعى الإنسانى عبر الإعـلام مـن خلال القصص الخبرية والتحقيقات والأحاديث وأعمدة ومقالات الرأى (١).

وكلمـات إطار وتأطير Frame, Framing, Framework شائعة الاستخدام خـارج سـياق الخطاب العلمى ودلالتها تقارب دلالة الاستخدام الأكاديمى ألا وهو تحديـد راصـد للاتجاهات المختلفة لاستخدام اللغة (الكلمات، الجمل) واقتراح فهم شـامل ودقيق لها. ويرى إنتمان Entman أنه لتحقيق هدف جمع الفروض المبعثرة للمداخل البحثية المختلفة يلزم وعى ذاتى من باحثى الإعلام يجمع نتائج مجموعات الأبحـاث وهـو الوعـى الذى لابد من أن يتم تنظيمه مؤسسياً على مستوى مراكز البحوث والجامعات والباحثين الأفراد أيضاً.

وربمـا كانـت دراسة جامسون Gamson عام ١٩٩٢ من أوائل الدراسات الـتى أسست لاقتراب التأطير بتطبيقه على تغطية الحرب الباردة التى سادت أخبار الولايـات المـتحدة الخارجـية إذ أعلى الإعلام الأمريكى من شأن بعض الأحداث كالحـروب الأهلـية الـتى كانت تعرف على أنها (اضطرابات) وينسب سببها لـ (المتمرديـن الشـيوعيين) وتقدم أحكام أخلاقية لوصف القوى الفاعلة فيها (العدوان الملحد) ويقترح حلول منها (تدخل الولايات المتحدة فى صالح الجانب الخيّر) (٢).

ويمكن استخلاص أن الأطر هى:

(1) Robert m. Entman. **Framing: towards Clarification of a Fractured Paradigm**, Journal of Communication. Vol. 43, No. 4. Autumn 1993. pp. 51 - 58.
(2) W. Gamson. **Talking Politics** (New York: Cambridge University Press, 1992). p. 41

أ- **تعـريف للمشـكلات:** والـتى عـادة يـتم تشكيلها تبعاً للمصالح السياسية والاقتصادية والقيم الثقافية السائدة.

ب- **تشـخيص للمشـكلات:** وتشـمل تحديـد القوى التى تخلق المشكلة والتقييم الأخلاقى لأدوارها وكذا تقييم العوامل المسببة وآثارها.

ج- **اقتراح الحلول:** تقديم وتبرير حلول المشكلات والتنبؤ بتأثيراتها المتوقعة [١].

والنصـوص الإعلامـية قد تحتوى على جملة أو جمل تقوم بهذه الوظائف مجـتمعة وقد تتضمن جملة أو جملاً لا تقوم بأى من هذه الوظائف .. وهناك أربعة عناصر يركز عليها مدخل الإطار فى عملية الاتصال:

أ- **القـائمون بالاتصال (الصحفيون):** وهم يضعون أطر حكمية بوعى أو بدون وعى فى تحديد ماذا يقال وهم محكومون بدورهم بالأطر التي تنظم أنساقهم المعرفـية والضـغوط المهنية التى يعملون فى ظلها كضغوط نمط السيطرة والملكـية والـتمويل والـتى تحدد السياسة التحريرية وكذا ضغوط المساحة وسرعة العمل الإعلامى.

ب- **الـنص:** الـذى يحـتوى على أطر تظهر فى غياب وحضور كلمات معينة وعبارات معتادة وصور نمطية ومصادر للمعلومات وعبارات تقدم مجموعة من الحقائق أو الأحكام عن موضوع يتم تناوله .. ويرتبط بمفهوم الإطار فى الـنص مفهـوم آخر وهو الإبراز Salience والذى يقصد به جعل جزء من المعلومـات بـارزاً يمكـن ملاحظته وإضفاء المعنى عليه كى يسهل تذكره لجماهير القراء أو المستمعين أو المشاهدين .. بما يترتب علـى ذلك مـن

(1) Robert M. Entman. **Op. Cit**., pp. 51 - 58.

عمليات تخزين واسترجاع وتنظيم إدراك هؤلاء للنص.

ج- **المتلقى**: وهو المتعرض للأطر التى تقود إدراكه وحكمه .. وقد تعكس أطر إدراكه بعد ذلك (الصورة الذهنية بتعبير دراسات الصورة) أطر النص ونوايا أطر القائم بالاتصال أو لا تعكس.

د- **الثقافة**: وهى مصدر الأطر التى يتم الاستناد إليها Invoked Frames، والثقافة يمكن أن تعرف فى هذا السياق بشكل إمبريقى على أنها نظام من الأطر المعبّر عنها، والتى تظهر فى خطاب وتفكير معظم الناس فى تجمع اجتماعى معين فى ظرف تاريخى محدد.

والنصوص المُشكِّلة للخطاب (كمفهوم تحليلى واسع للنصوص) ترتبط عادة برموز ثقافية شائعة لها مدلولها فى النظم الاعتقادية لكل من القائم بالاتصال والمتلقى التى هى عبارة عن عناقيد أو سلاسل من الأفكار التى تنظم تعريف المشكلات وأسبابها وتقييمها واقتراح حلول لها.

٢- استخدام التأطير فى المجال الإعلامى:

يساعد اقتراب تأثير الإطار أو التأطير Framing على إيضاح المفاهيم الإعلامية سواء المعيارية Normative أو الفكرية Conceptual أو الإجرائية الإمبريقية Empirical لأن له أهمية كبيرة فى لفت الانتباه للتفاصيل التى تشكل قوة الخطاب الإعلامى [1].

ولهذا الاقتراب أهمية تطبيقية حيوية فى المجالات الإعلامية المختلفة كان من أهمها بحوث التسويق حيث أن التأطير يمكن أن يؤثر على أحكام المشترين

(1) Ibid.. pp. 51 – 58.

محـــدداً مـــا إذا كانت البدائل المطروحة فى أطر تعبر عن مكاسب أو خسائر، وقد اختـــبر هـــؤلاء الباحـــثون العوامل البيئية فى مجال التسويق مثل اتجاهات التسعير ومميـــزات الســـلع والخدمات واتجاهات العرض المتاح لها كنقاط مؤثرة على النظم المرجعـــية والاعـــتقادية للمستهلكين، فعلى سبيل المثال: يستخدم المعلنون اللغة فى أطـــر متباينة لتشجيع المستهلكين على المخاطرة أو منعهم منها .. أى بشكل إيجابى أو ســـلبى مـــثل **(فرصـــة هائلة للباحثين عن الجديد فى مجال المنتجعات السياحية)** معـــبرة عن سياق إيجابى للمخاطرة أو **(لا داع لإهدار أموالك فى منتجعات بعيدة لم تشيد بعد)** كعبارة دالة عن السياق السلبى للمخاطرة [1].

وكذلك فإن اقتراب التأطير يمكن أن يطبق بفاعلية فى دراسات الرأى العام والسلوك الانتخابى، والدراسات الادراكية فى علم النفس الاجتماعى وفى الدراسات الثقافـــية المـــتعلقة بالطبقات والأجناس. وكذا فإن لهذا الاقتراب فائدته فى دراسات الـــتعرض، والموضوعية الصحفية لدراسة التوازن فى عرض أكثر من إطار داخل المادة الصحفية.

ولكـــن مـــن أهـــم المجالات المستخدمة لاقتراب الإطار الدراسات المعنية بـــالإعلام السياسى والتغطيات الخارجية فالسياسيون الباحثون عن الدعم والمؤازرة يتنافســـون مـــع بعضـــهم البعض فى سياق صحفى، والتأطير فى هذا السياق يلعب الـــدور الرئيســـى فى ممارسة القوة السياسية فالأخبار قوة مطبوعة على حد تعبير (روبـــرت إنـــتمان) تحـــدد هويـــة الفاعليـــن وتهدد مصالحهم السائدة فى النص / النصوص التى تشكل الخطاب.

(1) G. Smith and L. Wortzel. **Prior Knowledge and the Effect of Suggested Frames of Reference in Advertising,** Psychology and Marketing. Vol. 14. No. 2: March 1997. pp. 121 - 143.

وفيما تعكس تمثيل القوة فى الخطاب، فإن كثيراً من النصوص الخبرية على سبيل المثال قد تعبر عن أطر متجانسة فى حالة، وعن أطر متصارعة فى حالة أخرى .. ففى حرب الخليج الثانية (عاصفة الصحراء) دار النقاش قبل الحرب حول سياسة الولايات المتحدة تجاه العراق وكان هناك إجماع ضمني بين حلفاء الولايات المتحدة بعدم طرح بدائل أخرى بخلاف الحل العسكرى حيث استبعدت تماماً المباحثات المباشرة بين العراق والكويت، وكذلك فإن تعريفات المشكلات، وتحليلات الأسباب والتقييمات الأخلاقية كانت كلها متجانسة [١].

وبالطبع فإن إعلام الدول المتحالفة مع الولايات المتحدة كان يسودها الأطر التى ترددها وسائل الإعلام الأمريكية (الإعلام الرسمى فى الدول العربية فى التحالف بالإضافة لمعظم وسائل الإعلام التجارية فى دول أوربا الغربية)، بينما كان الإعلام الشعبى والرسمى للدول العربية المناهضة للتدخل الأمريكى فى المنطقة تسودها أطر متجانسة ولكن معاكسة لأطر المجموعة الأولى.

وكذلك يرى فريدلاند Friedland أن معالجة الإعلام الأمريكى لانتفاضة ميدان السلام السماوى فى بكين ربيع عام ١٩٨٩ كانت أطرها متجانسة ولم تف التطور التاريخى للحريات فى الصين حقه من التحليل وعرض وجهات النظر المتباينة وقدمت الصين على أنها مكان لوأد الحريات والقهر والديكتاتورية دون إشارة متوازنة للنمو الذى حققته الصين على أصعدة أخرى [٢].

ويرى جامسون أن الإطار يمكن أن تكون له قوة اجتماعية مؤثرة عندما

(1) W. Gamson. **Op. Cit.**. pp. 61 – 68.

(1) Leonard Frieland et al. **International Coverage of Beijing Spring 1989: A Comparative Approach** (Columbia. Sc: Association for Education in Journalism and Mass Communication. 1996). p. 60

يوضع فى صيغة عمل إيجابى Affirmative Action إذ بمجرد أن يتقبل القارئ أو المستمع أو المشاهد هذا الإطار يصبح من المتعذر على الوسيلة الإعلامية استخدام إطاراً آخر وإلا سيفقد القائم بالاتصال مصداقيته أمام المتلقى، فيما يتضح أن للإطار قوة اللغة ذاتها [1].

٣- محددات تشكيل الإطار:

تختلف دراسات تأثير الإطار عن دراسات الصورة الإعلامية فى اتساع التحليل الذى يقدمه اقتراب التأطير متجاوزاً وصف القوى الفاعلة وأدوارها والبرهنة على هذه الصفات وتتبع الأطر المرجعية المستقاة منها إلى تعريف المشكلات وأسبابها وحلولها والأحكام الأخلاقية التقييمية للقوى الفاعلة المتضمنة فى الإطار.

رغم ذلك فإن الأسس المعرفية المحددة للإطار تتشابه مع الأسس المعرفية المحددة للصورة إلى حد كبير بداية من تكون الصور / الأطر فى ذهن القائم بالاتصال نهاية للصور / الأطر المدركة عن طريق المتلقى مروراً بمرحلة وضع الصورة / الإطار فى نصوص إعلامية تشكل خطاباً متماسكاً مقنعاً.

فالأسس المعرفية لوضع الإطار فى ذهن القائم بالاتصال أو الجمهور تشمل العامل الإدراكى Cognitive وهى مجموعة المعارف التى يستطيع الفرد عن طريقها أن يفهم موضوع أو شأن ما بشكل منطقى وهى بنية الإطار من حيث التعريف والأسباب والحلول وكذا الصفات المتضمنة داخله.

والعامل الوجدانى Affective وهو الميل لحب أو كراهية موضوع معين

(1) W. Gamson, **Op. Cit.**, p. 70.

بـــناء على الأطر المدركة عنه، وكذا العامل الإجرائى Action ويقصد به رد الفعل الذى يراه الفرد ملائماً لما أدركه عن موضوع ما بأطر معينة محفزة أو مثبطة [(١)].

ويمكـــن أن نـــرى إفادة من سكوت وسيلزكوك أن المجتمع الذى يعيش فيه الفرد يهيئ له أساليب وضع الإطار ومنها:

الاتصـــال بـــالدول أو الجماعـــات أو الأفراد موضوع الإطار عبر الخبرة الشخصـــية، المعايـــير الاجتماعـــية المتصـــلة بموضوع الإطار وما إذا كانت قيمه المجتمعـــية متســـقة أو متنافرة مع واضع الإطار وكذا العلاقة بين موضوع الإطار وواضعه سياسية كانت أم اقتصادية وهو ما يقع داخل تخصص العلاقات الدولية أو ثقافـــية وهـــو مـــا يقع داخل تخصص التاريخ بشكل عام، وكذلك دور المؤسسات الاجتماعـــية المخـــتلفة كالأســـرة والمدرسة والحزب السياسى والمؤسسات الدينية ووســـائل الإعـــلام الـــتى تشكل أطراً مسبقة تحكم وضع الإطار الجديد فى صورة خطاب يتم تداوله [(٢)].

وقـــد توســـع فنســـنت موسكو Mosco فى فهم الاقتصاد السياسى لوسائل الإعلام فى الدول الغربية فى عصر العولمة ودوره فى عمليات وضع الإطار الذى رأى أنهـــا تـــتم مـــن خلال آليات ثلاثة أساسية هى: التسليع Commodification، مجاوزة الزمان والمكان Spatialization، والتركيب البنيوى Structuration [(٣)].

(١) إيناس أبو يوسف، مرجع سابق، ص ٣٦.

(٢) المرجع السابق، ص ص ٣٨ – ٤٢.

(3) Christopher Martin & Hayg Oshagan. **Disciplining the Workforce: The News Media Frame of General Motors Plant Closing**. Communication Research. Vol. 24, No. 6, December 1997, pp. 669 – 697.

ويقصـــد بالتسليـــع: عمليـــة تحويل القيم الاستعمالية Use Values إلى قيم تبادلية Exchange Values وهى آلية تتعلق بمدى مساهمة الإعلام فى هذه العملية ويـــرى (موسكو) أن الإعلان هو الشكل المباشر لذلك ولكن الإعلام تجاوزه ليحول الخبرات والقيم إلى "سلع" يجرى تداولها فى السوق فيما يُعرف بالتسويق الاجتماعى والسياسى.

ويقصـــد بمجاوزة الزمان والمكان: العملية التى تعبر عن الامتداد المؤسسى لقـــوة صـــناعة الإعلام التى تدير مؤسسات تقدر بمئات الملايين تمد تأثيرها خارج الحدود القومية.

أمـــا التركيب: فإنه أقرب لتعبير لوسيان جولدمان الناقد والمفكر الاجتماعى الفرنســـى - رومـــانى الأصـــل - (رؤية العالم) حيث تعتبر وسائل الإعلام امتداداً لحـــواس الإنســـان التى تدرك العالم وتفهمه عبر إعطاء منظور سائد يقدم الحقائق المتضـــمنة فـــى المادة الإعلامية على أنها الأكثر بديهية والأصدق والأكثر عقلانية والأرجـــح والأكثر حياداً .. وهى رؤية تتعمق فى الأخبار التى يفترض فيها الحيدة والموضـــوعية.. وعـــبر العملـــيات الفعالة للهيمنة Hegemony يحفظ من يملكون المؤسســـات الســـائدة فـــى المجـــتمع القوة بكسب القبول وتحقيق الموافقة واحتواء المعارضة.

وقـــد أوضـــح مـــارتن وأوشجان Martin & Oshgan أن وسائل الإعلام الغربية عامة والأمريكية خاصة عبر تأطيرها الروتينى المتواصل للحياة الاجتماعية تخـــدم فى التحليل النهائى القيم المهيمنة الأصيلة للنظام الرأسمالى فعلى سبيل المثال عالجـــت وســـائل الإعلام الأمريكية أحداث إغلاق المجمع الصناعى لشركة جنرال

موتورز في ميتشجان وتقليل حجم العمالة في المجمع الصناعي بولاية تكساس ببيان أن أمـــر تخفيض العمالة قسري وهي وإن تعاطفت مع العمال فقد همشت المعارضة الجماعـــية.. وروجـــت لقـــيم التحكم والرشاد الاقتصادي كقيم عليا للمجتمع، ولعب انتشـــار وســـائل الإعلام على المستوى القومي الأمريكي وخارج الولايات المتحدة دوراً في إقناع المتلقين بذلك.

فعلـــى حد تعبير ماك شيزني McChesney كانت هناك أوجه تشابه كثيرة بيـــن شركة جنرال موتورز وبين المؤسسات الإعلامية الأربع والعشرين المتحكمة فـــي الإعـــلام الأمـــريكي إذ أن تخفيض العمالة قد طال أيضاً العاملين في الإعلام خاصـــة الصـــحافة بيـــنما بقيت النجوم الإعلامية مثل لاري كنج في CNN، أوبرا وينفري في CBS لا تمس لأنها هي التي تجذب الإعلانات للشبكات الكبرى.

أمـــا التركيبات البنيوية للخطاب في القضية فقد تشابهت في أسبابها وحلولها والأحكام القيمية الأخلاقية التي أطلقتها على الفاعلين في الأحداث.

وهـــذه العوامـــل / الآلـــيات الثلاثة مجتمعة قللت من مساحة الأخذ والرد والحـــوار فـــي الأخبار وأفرغت عبارة (جو ديمقراطي حقيقي) الشائعة في الحديث عن الإعلام الأمريكي من مضمونها.

فـــيما قرر مارتن وأوشجان استدراكا أن طيفاً من الآراء الفردية المتحفظة علـــى الإغـــلاق ظهر في الأطر المكونة لخطاب الإعلام الأمريكي، فرغم محافظة وســـائل الإعـــلام على مصالح الطبقة السائدة فإنها مثلت بدرجة ما مصالح الطبقة الهامشية حتى لا تفقد مصداقيتها الجماهيرية .. تماماً كما تقدم السينما الأمريكية نقداً للواقع الأمريكي دون أن تطرح بديلاً لتجاوز النظام الرأسمالي.

وهــو نموذج للتحليل يمكن أن يطبق على تغطية شئون العالم الإسلامى فى الإعــلام الغربى الذى يمكن أن تظهر فيه أصوات هنا وهناك تقدم رؤية منصفة لما يجــرى فــى بلــدان الإســلام ولكــن دون الابــتعاد عن مصالح الطبقة المهيمنة والمجموعات المتضامنة معها التى يهمها أن يظهر الإسلام كعدو.

● ● ●

ثانياً : العلاقة بين الخطاب والإطار

أصــبحت الخبرة الاجتماعية والثقافية للفرد فى عالمنا المعاصر Mediated أى مــن صــنع وســائل الإعلام، فلم تعد الحياة الاجتماعية مقتصرة على أحاديث المــنزل والعمــل والجــيران مــن خلال الاتصال المواجهى بل عن طريق وسائل الإعــلام الــتى يقضــى فــى صحبتها المرء فترة كبيرة من حياته إذ لم تعد الثقافة مــتمحورة حــول خبرات الأفراد المحيطين بنا ولكنها متمحورة حول ثقافة الوسيط الإعــلامــى أو Culture of Mediation. فالعالم داخلنا يتشابك ويتعايش مع العالم خارجــنا ويتفاعل معه.. وقد كان عالم الاتصال الكندى مارشال ماكلوهان هو أول من نبــه فــى حــدس مدهش للقرية العالمية Global Village وعناصر الخطاب الإعلامى هى التى تشكل وعينا بهذه "القرية" التى نعيش فيها بل ووعينا بأنفسنا [١]. هذا رغم نقد المؤلف لفكرة القرية العالمية أو الكوكبية لكونه تعبيراً إنشائياً أكثر من كونه حقيقة واقعة.

ولذلــك اصبح من الحيوى الاهتمام بنصوص وسائل الإعلام بوصفها حاملة المعــانى للقــراء. ورغم أن القراء قد يكون لهم تفسيراتهم وتأويلاتهم المختلفة لهذه

(1) Andrew Tyolson, **Mediations: Text and Discourse in Media Studies** (London: Arndd Inc., 1996). p. x.

النصـــوص فإن هذه المعانى أيضاً تكون مستقاة من نصوص أخرى لوسائل إعلامية أخـــرى مـــتقاطعة معهـــا فـــيما يعرف بظاهرة التناص أو Intertextuality .. أى بتعبـــيرات التأطـــير فإن الأطر المشكلة لوعى القائم بالاتصال تدفعه لتأطير الحياة الاجتماعـــية فـــى شكل خطاب ينظم نصوصاً إعلامية بشأن الموضوعات المختلفة وهـــذا الخطـــاب بـــدوره يؤطر وعى المتلقى .. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن خطابات وسائل الإعلام تتقاطع بدورها مع بعضها أى عبارة عن "أطر متقاطعة".

ولكـــن مـــا الأســـاس الفلســـفى الذى يمكن أن يفسر العلاقة بين الإطار والخطاب والمجتمع؟

يمكن أن نقـــرر أن النمـــوذج الأساســـى Basic Paradigm الذى اقترحه الفيلســـوف والناقـــد الأدبـــى الفرنسى الجنسية الرومانى الأصل لوسيان جولدمان (١٩١٣ - ١٩٧٠) تحـــت عـــنوان (رؤيـــة العالم) يمكن أن يصلح نموذجاً معرفياً لتفسير هذه العلاقة المتشابكة.

ورؤيـــة العـــالم هـــو مفهـــوم تاريخى يصف الاتجاه الذى تأخذه الطبقة أو المجموعـــة الاجتماعية فى فهم واقعها الاجتماعى ككل بحيث يصل هذا المفهوم ما بين قيم هذه الطبقة أو المجموعة الاجتماعية وأفعالها فى وحدة تصورية من ناحية، ويميز فيما بينها وبين غيرها من ناحية أخرى.

وهذا المفهوم / النموذج نابع من المنهج الذى صاغه نفس الفيلسوف بعنوان البنيـــوية التوليدية Structuralism Conetique الذى نشأ أساساً فى حقل الدراسات الأدبية متناولاً النص الأدبى بوصفه بنية إبداعية متولدة عن بنية اجتماعية وذلك من

مـنطلق التسـليم بأن كل أنواع الإبداع الثقافى تجسيد لرؤى عالم متولدة عن وضع اجتماعى محدد لطبقة أو مجموعة اجتماعية بعينها [1].

وكـان الهجـوم اليسارى على البنيوية اللغوية مسئولاً بأكثر من معنى عن توجـيه الأنظـار إلى البنيويه التوليدية بوصفها بديلاً يسارياً عن قرينتها التى شاع وصفها بصفة الشكلية فى الكتابات اليسارية بوجه عام وفى كتابات لوسيان جولدمان بشـكل خاص، وكانت أعمال جولدمان امتداداً لإسهامات جورجى لوكاس وإرنست فيشـر وهربـرت ماركيوز وفردريك جيمسون فى التأثر بالنزعة الهيجيلية المثالية والانطـواء على تقارب مع التيارات الليبرالية المخالفة للنزعات الاقتصادية الحدية التى انطوى عليها الفكر الماركسى وإن كان أقرب إلى مدرسة فرانكفورت الألمانية وبخاصـة تـيودور أدورنو وفالتر بنيامين وهى الدائرة التى عارضت بين لوكاس وممثلى فرانكفورت الذين انحازوا إلى أفق جديد من الواقعية.

والفكـرة المحوريـة الـتى ستساعدنا على تحقيق فهم جيد لعلاقة الخطاب بالمجتمع فى لحظة تاريخية ما، هى ما عبر عنه جولدمان من فتح مفهوم البنية على الـتاريخ والـذى لم يكن متواجداً فى بنيوية شتراوس التى عادت التاريخ فأصبحت سـجناً لحضورها وكياناً ميتافيزيقياً مفارقاً لا علاقة له بالزمان والمكان، حيث قرر جولدمـان أن لأفراد الطبقة أو المجموعة الاجتماعية وعى ضمنى اجتماعى محدد يتمـثل فـى نسـق من التصورات المتلاحمة تجمع بين أفراد الطبقة أو المجموعة فتجعلهم يشعرون ويفكرون ويسلكون بطريقة معينة فى لحظة تاريخية محددة وليس فى مطلق الزمان وتبعاً لعلاقات اجتماعية محددة وليس تبعاً لنماذج عليا ذات طبيعة

---

(١) جابر عصفور: **نظريات معاصرة** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨)، ص ص ٩٢ – ٩٤.

مطلقـة .. ومن ثم يتقرر لهم خطاب متعين فى لحظة تاريخية ما ولكنه مفتوح على أزمـنة الـتاريخ الثلاثة الماضى والحاضر والمستقبل [1] وهو ما نراه واضحاً فى الخطـاب الإعلامـى الغربى المتناول لشئون العالم الإسلامى كما سيتم شرحه فى تشكيل الطبقة الرأسمالية عابرة القومية وخطابها.

وهـو مـا يرتبط بما أورده عبد العليم محمد نقلاً عن كارل مانهايم من أن "لكـل جماعـة سياسة أو اقتصادية محتوى أيديولوجى معين فى لحظة تاريخية ما يـتطور بتطور الهيكل الاجتماعى والاقتصادى السياسى، هذا المحتوى ينعكس فى الخطاب المعبر عن هذه الجماعة، وهو ما يتناقض مع التعريف الآخر للأيديولوجيا الخاص بتشككنا فى صحة أفكار ووجهة النظر التى يقدمها الخصم فى اللحظة التى يتشكل لدينا انطباع بتناقضها مع مصالحنا" [2].

وكذلـك فإن أعمال لوسيان جولدمان بانفتاحها المعرفى على أعمال ميشيل فوكو عالم النفس الفرنسى تفارق انعكاس البنية الاجتماعية فى الخطاب وهى الفكرة الماركسـية التقليدية ولكنها تعتقد أن المجتمع كامن فى الخطاب ولا يعتبر الخطاب انعكاساً مباشراً له [3].

وإذا كـان الإنسـان نتاج شروطه الاجتماعية والاقتصادية فإنه كذلك ليس مجـرد معطى مباشر وكفى لبيئته وإنما هو قادر بوعيه وعقله على تغييرها والتأثير

---

(١) المرجع السابق، ص ١١٤.

(٢) عبد العليم محمد: **الخطاب الساداتى** (القاهرة: سلسلة كتاب الأهالى، أغسطس ١٩٩٠)، ص ٢٤.

(٣) سيد البحراوى: **محتوى الشكل فى الرواية العربية** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦)، ص ١٦. انظر فى ذلـك أيضاً: تيرى أجلتون: **مقدمة فى نظرية الأدب**، ترجمة محمد حسان (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسة كتابات نقدية، سبتمبر ١٩٩١)، ص ١٦٢.

فيها وقد ذهب جرامشى إلى القول بأن العلاقة بين البنيتين الفوقية (الفكر)، والتحتية (علاقات وقوى الإنتاج) ليست علاقة تبعية ولكنها علاقة تشابك وتداخل وأن موقع المثقف يقع فى المنطقة التى تتشابك فيها علاقات البنية الاقتصادية والاجتماعية والبينة الثقافية والفكرية [١].

١- مستويات تحليل الخطاب:

الخطاب مجموعة متماسكة من المقترحات النظرية المجردة تتضمن منطقاً ونظاماً خاصاً وتتضمن إمكانية التواجد وإعادة الإنتاج والتطور طبقاً لقوانينها الداخلية وهى مقترحات مجردة لأنه يتشكل من مفاهيم أولية عقلية ينتجها الإنسان بهدف التعرف على الظواهر المحيطة به وتتنوع هذه الخطابات بتنوع الظواهر الاجتماعية فهناك الخطاب الدينى والفلسفى والاقتصادى والسياسى والقانونى والأدبى والأخلاقى وجميعها تتداخل وتتشابك وقد تتناقض وهو ما يجعل دراسة أى منها على انفراد مهمة ليست سهلة [٢].

وأصبح لمصطلح (تحليل الخطاب) استعمالات عديدة تشمل مجالات واسعة من الأنشطة فهو يستعمل للحديث عن أنشطة تقع على خط التماس بين دراسات مختلفة كاللسانيات الاجتماعية واللسانيات النفسية واللسانيات الفلسفية واللسانيات الإحصائية وهؤلاء يركزون على جوانب شتى من تحليل الخطاب[٣]. والخطاب يتسع ليشمل كل كلام يتخذ الثقافة موضوعاً، وكل كلام يتحدث عن أى مضمون

---

(١) عبد العليم محمد: مرجع سابق، ص ٩٩.

(٢) عبد العليم محمد: **الخطاب الساداتى**، مرجع سابق، ص ص ١٤، ١٥.

(٣) ج. براون، ج. يول: **تحليل الخطاب**، ترجمة د. محمد لطفى الزليطى، منير التريكى (الرياض: النشر العلمى والمطابع، جامعة الملك سعود، ١٩٩٧)، ص ط.

حديـــثاً يؤثــر فـــي مفهوم الثقافة وحيثياتها، وكل كلام تأوله الناس على أنه مندرج ضمن أحد تلك الأصناف سواء قصد صاحبه إلى ما تأوله الناس أو لم يقصد.

وعـــن موقـــع محلـــل الخطـــاب وسط المهتمين بالمعرفة يقرر عبد السلام المسدى أن المحللين أصناف ثلاثة:

أولهـــم الـــذى هاجسه اللغة، والمحلل اللغوى يبحث فى دلالة الأقوال وهمه الأول العلاقـــة المستوية بين الدوال والمدلولات وخلفيته المرجعية مقامة على سؤال افتراضـــى يحـــدد مـــنهجه: مـــاذا قيل، وكيف قيل الذى قيل، وقد يتوسل فى ذلك بالتساؤل عمن قال وبالاستفسار أين ومتى ولمن وبحضرة من؟

وثانيهم الذى ينطلق من العمران ويعود إليه، فالمحلل الاجتماعى ينكب على دلالـــة الأفعـــال فهـــو لذلك يتوسل بضلعين من أضلاع المثلث الدلالى وهما الدال والمدلـــول كى يبحث فى الضلع الثالث الذى هو المرجع. إن مقاصده لئلا الإحداث والوقـــائع لذلـــك كانت مرجعيته قائمة على السؤال الافتراضى المحدد لمنهج عمله وهـــو: مـــاذا حصل، وكيف وقع الذى حصل، ممن ولأى علة وصوب أى غاية أما أداة التعبير فوظيفتها عند المحلل الاجتماعى أنها معينة على كشف مضامين الأفعال وإجـــلاء محتويات الوقائع والأحداث ولذلك تراه يخترقها اختراقاً ولا يقف عندها إلا بقدر ما تثيره من انفصام بين ما يأتيه صاحب الفعل وما يقوله أو يروى عنه.

والثالـــث من المحللين هو الذى ينعطف على الثقافة، فالباحث الثقافى ينقب عـــن تطـــابق دلالة الأقوال على دلالة الأفعال. إنه يشرئب نحو تحليل السلوك بكل ضـــروبه، مـــن السلوك الفكرى إلى السلوك اللغوى ثم إلى السلوك العملى وقضيته

الكبرى هى المواءمة أو الانفصال .. فمرجعية المحلل الثقافى تتلخص فى المساءلة: بم يتحدث الإنسان عما يفعل وماذا يصنع بعد أن تحدث عما يعتزم صنعه [1].

تلــك هـــى المناضــد الثلاث: الكلام والوقائع والسلوك القيمون هم اللغوى والاجتماعى والثقافى.

ويــأتى دور المحلــل العلامـــى (محلل الخطاب): فلا اللغة غاية له .. ولا الواقعـــة بمبــتغاه ولا السلوك بقائم على مرماه، وإنما همه المقصود هو البحث فى القرائــن الرابطة بين المناضد الثلاث، فغايته هى اكتشاف شبكة العلاقات القائمة فى مســتوى القرائن وذلك بغية تحويلها هى ذاتها إلى دلالة أخرى تغطى على الدلالات الســوالف وربما تتجاوزها فتسكن بها فى مراكن العبور .. فالعبارة اللغوية والحدث الوقــائعى والســلوك القيمى جميعها إذا تدبرنا أمرها وأمطنا اللثام عن المخفى من الصــلات الجامعة بينها تنقلب بكلياتها إلى سمات وإلى إشارات تتهيأ لنا كى نقرأها .. وتتصـــاع أمـــام نواظرنا كى نبصر بها ما نعجز عن إبصاره إذا عزلنا المناضد عن بعضها البعض.

فالبحث فى قرائن الثقافة يلاحق اللغة والوقائع والسلوك لا بقصد ترتيب سلم القــيم ولكن بقصد الكشف عن الدلالات قبل كل شىء، لذلك فإن فضاء الخطاب هو أرحب الفضاءات فى الرصد العلامى لأنه كمحطة الأنفاق فى شبكة من الطرق تمتد تحــت الأرض لا يلغـــى وجودها وجود الشبكات الفوقية وهنا يأتى مفهوم الخطاب بديــلاً عن مفاهيم اللغة واللسان والكلام بوصفها متصورات تحكى قصص الظاهرة فى تشكلها الكلى فالنوعى فالفردى.

---

(١) عبد السلام المسدى: اللغة وآليات الخطاب، سطور، ديسمبر ١٩٩٧، ص ص ٧٦، ٧٧.

المحلل العلامى يبحث فى آليات الخطاب ويتوسل فى إنجازه لعمله بالأفعال والأحـداث والوقائع، أما المؤرخ أو عالم الاجتماع والمحلل السياسى فإنهم يبحثون فى الأفعال والأحداث والوقائع ويتوسلون فى إنجاز عملهم بالخطاب وآلياته (١).

ومـا فصـله عـبد السلام المسدى فى روعة من السبك وآية فى الصياغة أجملـه ميشيل فوكو بقوله أن أساس الفعل الثقافى بشكل عام هو الخطاب الذى يعد مدخلاً كاشفاً للعمليات الاجتماعية ومكامن القوة المجتمعية فى لحظة تاريخية ما (٢). ويضـيف أنـدرو تولسـون Tolson للتحليل السابق قوله بأن الخطاب يقدم طريقة جديـدة لإعـادة التفكير فى العلاقة بين المعانى والبنى الاجتماعية وفى قلبها القوة الاجتماعية.

فـنظرية الأيديولوجـيا تـتحدث عن وضع الأنظمة الدلالية السائدة وتهتم بالطـريقة الـتى ينضوى الناس تحت هذه الأنظمة السائدة وربما يعارضونها فالقوة التى تؤسس سيادة هذه الأنظمة عبارة عن قوة اجتماعية خارجية هى الطبقة الحاكمة فـى التحلـيل الماركسى، ولكن فى نظرية الخطاب فإن القوة ليست خارجية وإنما داخلـية متضمنة فى نظام المعانى لأن نظم المعانى ليست نظم بنيوية كاللغة ولكنها نظم تعبر عن ممارسات (٣).

ويرتبط صعود الاهتمام بالخطاب وتحليله بمسالة تفجر النظرية بأنساقها (ما بعـد الحداثـة، وما بعد الاستعمار، وما بعد البنيوية) الأمر الذى كان له دلالة بالغة علـى الدور الذى تؤديه الإنسانيات فى المجتمعات الرأسمالية إذا كانت هذه المداخل

---

(١) عبد السلام المسدى: مرجع سابق، ص ص ٧٦، ٧٧.

(٢) جـون ستروك: البنيوية وما بعدها: من ليفى شتراوس إلى دريدا، ترجمة د. محمد عصفور (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، رقم ٢٠٦، ١٩٩٦)، ص ص ١١٣ – ١١٥.

(3) Andrew Tolson, Op. Cit., pp. 191 – 194.

النظرية مرتبطة بصعود خطاب معارض وثقافة ضدية تدفع إلى المراجعة الذاتية ثائرة على الثقافة التقليدية.

وكان الاهتمام بالخطاب وتحليله فى أوربا لاحقاً لانطفاء التوهج الثورى الذى صاحب حركات الطلبة عام ١٩٦٨ وتعثر الرأسمالية الأوربية فى الأزمة الاقتصادية التى بدأت فى أوربا مع مطلع السبعينيات والتدهور الذى أصاب دولة الرفاة [١]. بينما كان فى الولايات المتحدة موازياً للاحتجاجات على التحولات الرجعية للسياسة الأمريكية وتصاعد النزعة الريجانية (نسبة للرئيس الأمريكى الأسبق رونالد ريجان) التى أعادت صياغة مشروع الاستعمار (الكولونيالية) تحت أقنعة جديدة والذى كان لها استجابات كثيرة منها أعمال منظرى مدرسة فرانكفورت: تيودور أدورنو. وفالتر بنيامين، وأعمال اليسار الأمريكى الجديد ممثلة فى إدوارد سعيد الذى ألح على فتح الخطاب على النظريات الما بعدية لمواجهة التحول الكبير إلى اليمين المحافظ سياسياً واقتصادياً والذى كان له أبلغ الأثر على التمثلات الثقافية ومنها النزعات العدمية التى صاحبت أفكار التفكيكية بما فيها انتحار المعنى وموت المؤلف والتى كانت استجابة وجودية (أنطولوجية) وابتسمولوجية (معرفية) لتوحش الرأسمالية العالمية .. وهو ما يمكن رصده أيضاً مع تصاعد خطاب العولمة [٢]. وكان هذا دافعاً لاهتمام إدوارد سعيد بالذات بالإعلام بوصفه واحداً من أهم الأنساق التى تصنع الثقافة فى العالم كاشفاً عن زيف الممارسات الخطابية الغربية الأمريكية بالأساس فيما يتعلق بالإسلام.

●●●

(١) تيرى إيجلتون: مرجع سابق، ص ص ١٧٥، ١٧٦.

(٢) جابر عصفور: مرجع سابق، ص ص ٣٢٥ – ٣٢٩.

ثالثاً: الجذور الاستشراقية والاستعمارية لتشكيل أطر العالم الإسلامى:

١ - المرحلة الاستشراقية:

الاستشـــراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقى وكلمة مستشرق بالمعنى العـــام تطلـــق على كل عالم غربى يشتغل بدراسة الشرق كله أقصاه ووسطه وأدناه فـــى لغاتـــه وآدابـــه وحضاراته وأديانه .. ولكن المعنى الخاص بالاستشراق يعنى بالدراســـات الغربـــية المتعلقة بالشرق الإسلامى فى لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشـــريعاته وحضـــارته بوجـــه عام وهذا المعنى هو الذى ينصرف إليه الذهن فى عالمـــنا العربى الإسلامى عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق وهو الشائع أيضاً فى كتابات المستشرقين المعنيين.

وكـــان الدافع لفهم العالم الإسلامى (البدايات المبكرة للاستشراق) هو ذلك الصـــراع الـــذى دار بيـــن العالمين الإسلامى والنصرانى فى الأندلس وصقلية كما دفعـــت الحـــروب الصـــليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوروبيين بتعاليم الإسلام وعاداته ولهذا يمكن القول بأن تاريخ الاستشراق فى مراحله الأولى تاريخ للصراع بيـــن العـــالم الغربى فى القرون الوسطى والشرق الإسلامى على الصعيدين الدينى والأيديولوجـــى فقـــد كان الإسلام كما يقول (ساذرن Southern) يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم النصرانى فى أوربا على المستويات كافة [١].

ويرصـــد محمـــد عمارة تاريخ الصراع بين الإسلام وأوربا أو الغرب منذ ســـيطرة الإغريق والبطالمة والبيزنطيين على أقطار الشرق حتى ظهر الإسلام فى

(١) محمـــود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، سلسلة كتاب الأمة، رقم ٥، (رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، قطر، ط ١، ١٩٨٤)، ص ص ١٨ – ٢٠.

القـــرن الســـابع الميلادى فقاد المسلمون عبر نحو قرن من الزمان فتوحات التحرير التى أزاحت هذه الموجة الغربية عن كاهل هذه الأقطار وشعوبها لكن القسطنطينية- عاصمة الدولة البيزنطية - استمرت منذ هرقل (٦١٠ - ٦٤١ م) وحتى فتحها على يد السلطان العثمانى محمد الفاتح (١٤٥٣ م) تجيش الجيوش ضد الحدود والأطراف والولايات الإسلامية وتغذى الدسائس فى أوساط الأقليات.

ثـــم قادت البابوية من جنوبى فرنسا أمراء الإقطاع الأوروبى فى سلسلة من الحمـــلات الصـــليبية التى مولتها المدن التجارية الأوروبية والتى شاركت فيها كل الشـــعوب الأوروبـــية فأقاموا الدول والإمارات الاستيطانية فى قلب العالم الإسلامى خاصـــة فلســـطين والشام على امتداد قرنين من الزمان (١٠٩٦ - ١٢٩١ م)، ولم يتورع الغرب النصرانى إبان تلك الحروب الصليبية عن التحالف مع التتر الوثنيين ضـــد الإســـلام وأمته وعالمه فجاءت حملات الدمار التترية لتجتاح العراق والشام وفلســـطين يقود جيوشها النصارى النساطرة بتخطيط وتنسيق مع الكاثوليكية الغربية ولـــم يوقف دمارهم الذى هدد الوجود الإسلامى إلا الانتصار الذى أحرزه المسلمون فى عين جالوت.

فما طوت انتصارات الفروسية الإسلامية صفحات قرنى الحروب الصليبية وجـــذب الإســـلام التـــتار إلى التدين به زاد سعار الغرب وتصاعد عداؤه للإسلام خاصـــة بعـــد فتح القسطنطينية ودخول الإسلام إلى أرض البلقان فى النصف الثانى مـــن القـــرن الخامس عشر الميلادى فبدأت مرحلة جديدة فى مسلسل التحديات فى

غزوة القرون الخمسة التى استهدفت الالتفاف حول عالم الإسلام بعد امتداد الإسلام لقلب أوربا تمهيداً لضرب قلبه العربى من جديد (1).

ويمكـن القـول بصـفة عامة بأنه كان هناك فى الفترة المبكرة للاستشراق اتجاهـان مختلفان فيما يتعلق بالأهداف والمواقف إزاء الإسلام الأول: اتجاه لاهوتي مـتطرف فى جدله العقيم ناظراً إلى الإسلام من خلال ضباب كثيف من الخرافات والأسـاطير الشعبية أما الاتجاه الثانى فقد كان نسبياً بالمقارنة بالاتجاه الأول أقرب إلـى الموضـوعية والعلمية ونظر إلى الإسلام بوصفه مهد العلوم الطبيعية والطب والفلسفة، ولكن الاتجاه الخرافى ظل حياً حتى القرن السابع عشر وما بعده ولا يزال هـذا الاتجـاه للأسف حياً فى العصر الحاضر (2). وخطورة ذلك يتمثل فى وصول هذا الصوت إلى وسائل الإعلام الغربية وتداول خطابه من خلالها.

يمكن حصر أهداف الاستشراق فى هذه الفترة كالآتى:

- **هدف دينى:** كان يسير منذ البداية فى اتجاهات ثلاثة متوازية تعمل معاً جنبا إلى جنب وتتمثل هذه الاتجاهات فيما يلى:

- محاربـة الإسـلام والبحث عن نقاط ضعف فيه وإبرازها والزعم بأنه دين مـأخوذ من النصرانية واليهودية والانتقاص من قيمته والحط من قدر نبيه ... الخ.
- حماية النصارى من خطره بحجب حقائقه وإطلاعهم على ما فيه من نقائض مزعومة وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.

---

(1) محمد عمارة: الغرب والإسلام، (القاهرة: مكتبة نهضة مصر، 1997)، ص ص 9 –11.

(2) Ibid., P. 59.

- التبشير وتنصير المسلمين وقد كان قرار مجمع فيينا في ١٣١٢ بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات وقرار إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كمبردج بعد ذلك بأكثر من ثلاثة قرون [(١)].

- **هدف تجاري:** وقد ظهرت تلك الأهداف التجارية في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين فقد كان الغربيون مهتمين بتوسيع تجارتهم والحصول من بلاد الشرق على المواد الأولية لصناعتهم التي كانت في طريقها للازدهار ومن أجل هذا وجدوا أن الحاجة ماسة للسفر إلى البلاد الإسلامية والتعرف عليها ودراسة خواصها البيئية والزراعية والبشرية حتى يحسنوا التعامل مع تلك البلاد وتحقيق ما يصبون إليه من وراء ذلك من تحقيق فوائد كثيرة تعود على تجارتهم وصناعتهم بالخير .. لذلك كانت المؤسسات المالية والشركات وكذلك الملوك في بعض الأحيان يزودون الباحثين بما يحتاجون إليه من مال كما كانت الحكومات تمنحهم الرعاية والحماية.

٢- المرحلة الاستعمارية:

بعد مرحلة التطويق لعالم الإسلام بدأت مرحلة الغزو لقلبه في وطن العروبة على وجه التحديد فحملة بونابرت على مصر ١٧٩٨ تلتها بعد فشلها الحملة الإنجليزية على رشيد ١٨٠٧ وبعد فشلها نجح الفرنسيون في غزو الجزائر ١٨٣٠

---

(١) محمود حمدي زقزوق: مرجع سابق، ص ص ٧٢، ٧٣.

لمزيد من التفاصيل انظر:

أحمد محمد جمال: مفتريات على الإسلام، ط ٤، (مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٩٨٥).

ندى الزركلي: أوربا والقرآن في العصور الوسطى، سطور، عدد (١)، ديسمبر ١٩٩٦.

وكان الإنجليز قد هيمنوا على الخليج العربى بمعاهدة ١٨٢٠ ثم احتلوا عدن ١٨٣٨ ثـم جـاء احـتلال الفرنسـيين لتونس ١٨٨١ واحتلال الإنجليز لمصر ١٨٨٢ م والإيطاليون لليبيا ١٩١١ وفرنسا للمغرب ١٩١٢ ثم كان توزيع القوى الاستعمارية لبقايا العالم العربى بمعاهدة سيكس بيكو ١٩١٦ ثم وعد بلفور ١٩١٧ م ليأتى إلغاء رمز الوحدة الإسلامية فإسقاط الخلافة الإسلامية ١٩٢٤ (١).

وكان للخطاب السائد عن العالم الإسلامى فى تلك الفترة عدة أهداف:

أ- **أهــداف سياسية:** ظهرت تلك الأهداف السياسية واضحة جلية واتسع مداها باتســاع رقعــة الاستعمار الغربى للعالم الإسلامى فى القرنين التاسع عشر والعشــرين واضطرت الدول الاستعمارية أن تعلم موظفيها فى المستعمرات لغــات تلــك البلاد وأن تدرس لهم آدابها ودينها ليعرفوا كيف يسوسون هذه المســتعمرات ويحكمونها وقد اتجهوا فى هذه المرحلة إلى العناية باللهجات العامية والعادات السائدة كما عنوا بالدين والشريعة.

وكانــت الــنظرة الأوروبية فى القرن التاسع عشر نظرة متعالية متغطرسة وظهــرت نظريات تقسم الشعوب إلى أجناس راقية وأجناس متخلفة فالأولى شعوب آرية والثانية شعوب سامية وانبرى المستشرق رينان ومن سار على نهجــه مــن المستشــرقين والمفكريــن الأوربــيون لبيان ما يزعمونه من خصــائص للآريــن صــناع الحضــارة وحملة الإبداع الخلاق والساميين السطحيين فى تفكيرهم وفلسفاتهم.

وهناك من المستشرقين الذين وضعوا أنفسهم فى خدمة الاستعمار مثل كارل

---

(١) محمد عمارة: مرجع سابق، ص ١٢.

هــيرنش بــيكر Becker مؤسس (مجلة الإسلام) الذى قام بدراسات تخدم الأهــداف الاســتعمارية الألمانــية فى أفريقيا، وبرتولد مؤسس (مجلة عالم الإسلام) الروسية فقد قام بتكليف من الحكومة الروسية بإجراء بحوث تخدم المصالح الروسية فى آسيا الوسطى وكذلك فعل ماسينيو ودى ساس لفرنسا، فالمعــرفة بالأجــناس المحكومة أو الشرقيين هى التى تجعل حكمهم سهلاً ومجديــاً، فالمعــرفة تمنح القوة ومزيد من القوة يتطلب مزيداً من المعرفة فهناك باستمرار حركة جدلية بين المعلومات والسيطرة المتنامية.

وهكــذا اتجــه الاستشراق المتعاون مع الاستعمار بعد الاستيلاء العسكرى والسياســى على بلاد المسلمين إلى إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية فى نفــوس المســلمين وتشــكيك المســلمين فــى معتقداتهم وتراثهم حتى يتم للاســتعمارى فى النهاية إخضاع المسلمين إخضاعاً تاماً للحضارة والثقافة الغربية [١].

ب- **أهــداف علمــية:** وقد كانت مقصد بعض من ظهروا فى عصر التنوير فى أوربــا فمنهم من قرأ الكتب الدينية وفحصها وأدرك أن رسالة الإسلام قريبة مــن الرســالات الســماوية ومؤيدة لما جاء فى كتبها من إيمان بالله وكتبه ورســله ودعــوة إلى الحق والخير والصلاح ولكن هؤلاء كانوا قلة.. وكان ذلك متزامناً مع ظهور العلمانية وسيادة النزعة العقلية فى أوربا والتى كانت فى عمومها مخالفة للكنيسة [٢].

---

(١) محمود حمدى زقزوق، مرجع سابق، ص ٧٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٥.

وقـــد ظهر نتيجة التفاعل بين الإسلام والاستعمار الأوروبى تيارات فكرية فى العالم الإسلامى يمكن أن تنقسم للآتى:

التحديـــث الإســـلامى: وهـــى المدرســـة التى أرسى قواعدها المصلح الاجتماعى المصـــرى محمـــد عـــبده الذى عاش فى نهاية القرن التاسع عشر والتى تدافع عن الأحـــياء الإسلامى الملهم بسيرة المسلمين الأوائل وهى مدنية لأن مؤسسيها تأثروا بالاتجاهات الثقافية الأوروبية فى تلك الأيام.

الأصـــولية الإسلامية: تشير للاتجاه المحافظ فى الإصلاح استناداً لتفسير بيورتانى متشدد وهى متأثرة بالفكر الوهابى.

الأصولية الإسلامية الجديدة: وتستعمل بالتبادل مع العسكرية الإسلامية تشير لحركة معاصـــرة تبغى تسييس الإسلام وتسعى لإقامة حكومة إسلامية وتطالب بمحو معظم أو كل التأثيرات الثقافية والسياسية الغربية فى المجتمعات الإسلامية (١).

ويقسم المفكر الباكستانى منذور أحمد التيارات الإسلامية المعاصرة إلى:

أ- **المحـــافظون The Conservatives:** وهـــم ينطلقون من أن الإسلام عبارة عـــن ميـــثاق جـــيد للحـــياة ويقـــدم إطاراً شاملاً ومثالياً للنواحى السياسية والاقتصـــادية والأخلاقية للحياة، ويعتقدون أن الإسلام كعقيدة وممارسة نما وتطـــور خـــلال عصـــر الرســـول ﷺ واستقر فى ثلث قرن، ويعتقدون أن استخدام المصطلحات المعاصرة مثل الديمقراطية، العدالة الاجتماعية، النظام الاقتصـــادى والسياسى موجودة فى القرآن .. والرؤية المحافظة تفترض أن

(1) Alan Taylor. **Islam and the West in the Middle East, Political Thought** (New York: Penguin. 1988). P. 5.

الــنظام الاجتماعى فى العالم الإسلامى لا يعانى من أى مشكلات اجتماعية مــنذ عصــر الرســول وأن البنى الاجتماعية الإسلامية التى تطورت خلال الأيام الأولى من عهد الرسول مازالت صالحة حتى الآن.

ب- **الانتقائـــيون Eclectics**: ومــن الصعب وجود حدود فاصلة بين الانتقائيين والمحدثين Modernistsالذين يبدأون فكرهم بالتأكيد على أن القرآن والسنة همــا المــبادئ الأساســية لهداية البشر، وهم ينظرون برومانسية إلى الفترة الأولى من عهد الإسلام ويرون أن المشرعين الإسلاميين فى صدر الإسلام هم الذين قدموا فهماً وتفسيراً جيداً للإسلام يناسب عصرهم ويقترحون إدخال تغييرات على الفقه الإسلامى فيما يعرف بالاجتهاد .. ومن بينهم أبو الأعلى المودودى ومحمد عبده.

ج- **المحدثــون Modernists**: الذين يؤكدون على أن التعاليم الجوهرية للقرآن وللرســول ﷺ لاشك فى نفعها بالنسبة لإنسان هذا العصر، وتتعدد إنطلاقات هــؤلاء الفلاســفة ولكــن العقلانــية السائدة بينهم تدفعهم بالوعى بمشكلات عصــرهم أكثر من المحافظين والانتقائيين والجميع تأثر بالفكر الغربى مثل محمد إقبال، سيد أحمد خان [1].

وربمـــا لا نوافــق الكاتــب الباكستانى فى إدخال أبو الأعلى المودودى بين الانتقائييــن لقــربه من الفكر السلفى التقليدى المتمثل فى أفكار الخروج على الحاكم وتجهيل المجتمع وتكفيره وكذلك إدراج الأستاذ الإمام محمد عبده فى فئة الانتقائيين وهو الأجدر بتصدر فئة المحدثين.

---

(1) Manzoor Ahmed. **Islamic Response to Contemporary Western Thought**. (Islamabad. Pide Tidings. 1989). p. 10.

ويقـــترب جـــواد بشـــارة من الواقع أكثر فيقول أن المرء يرصد مفارقة بين الإسلام الأوروبى (الغربى - العلمانى) الذى خلّفه المستشرقون وقام بعض من أهل الإســـلام بتبنـــيه ويقـــدم نفســـه على أنه عقلانى ومنطقى، علمى وعلمانى، متجرد ومـــتخلص مـــن الخرافات والأساطير والمحرمات التى لا يستسيغها العقل، يمارس الحـــد الأدنـــى من الطقوس والشعائر كنوع من الممارسات الفلكورية التى تسهم فى تماســـك المجتمع ولم شمله، دين يؤمن بالمثل والقيم الأخلاقية العليا والكونية، يتبنى قـــيم الخـــير ضـــد قـــيم الشر بمعانيها ومعاييرها المطلقة ويسمح للإيمان والإلحاد بالـــتعايش جنـــباً إلى جنب بسلام وحرية وأمان ويرى الكاتب أنه إسلام مدجن فاقد للروح الثورية، مجامل ومتواطئ مع التيار المادى الطاغى فى الغرب.

أمـــا فى الشرق فمازال الإسلام غارقاً فى سبات مكتفياً بالأمجاد يكرر نفسه منذ قرون تنهشه التناقضات التى تعج بها نصوصه المقدسة وغير المقدسة ولا سبيل لـــه للخـــروج منها إلا بإحداث ثورة إصلاحية ومراجعة جوهرية وجذرية لوجوده وتاريخه وخطابه ولغته [1].

٣- الهيمنة: الاستعمار الجديد (الاستشراق الأمريكى):

شـــهدت مـــرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية تصاعد النفوذ الأمريكى فى العـــالم أجمـــع والـــذى طـــال بعـــض أجـــزاء العالم الإسلامى، فكان لابد أن يهتم الأمريكـــيون بدراســـة شـــئون المســـلمين فتداخل الاستشراقى المعرفى بالعسكرى الاســـتيلائى كما يرى هنرى كلود فى كتابه (إلى أين يسير الاستعمار الأمريكى) .. فقـــد اقتصر الاستعمار الأمريكى حسب تحليلاته على المستعمرات التى تملكها دول

(١) جواد بشارة: الإسلام الشرقى والإسلام الغربى وجها لوجه، القدس، ١٩٩٨/٧/٢٦.

أوربية هرمة كأسبانيا وعلى جزر ذات أهمية استراتيجية لم تستعمر بعد أما الأمم المستقلة ظاهراً والمتخلفة اقتصادياً فى آسيا وأفريقيا فقد كانت سياسة الولايات المتحدة نحوها تنحصر فى مرحلتين: الأولى تحاول منع إلحاق هذه البلاد بأوربا والثانية تعنى بتأمين سيادتها هى فيما يقول فرانكلين روزفلت عام ١٩٤٠ عن الدور الذى سيناط بالولايات المتحدة الطالعة وهو دور البوليس الدولى:

"كل بلد حسنت سيرة أبنائه يستطيع الاعتماد على صداقتنا الودية وليس لأمة أن تخشى أى تدخل أمريكى إذا برهنت على تعقلها ولياقتها فى الشئون السياسية والاجتماعية وتمكنت من حفظ النظام فى أراضيها ووفت بالتزاماتها غير أن أى اضطراب أو تراخ يمكن أن يستدعى تدخل أمة متقدمة ورغم تقيد أمريكا بمبدأ (مونرو) فقد تضطر إلى ممارسة حكم بوليس عالمى فى مثل تلك الأحوال" (١).

وهو ما عبر عنه تيودور روزفلت بقوله عام ١٨٩٨ (قدرنا أمركة العالم) الذى يتولد عنه خطاب مزدوج حامل لخلاص البشرية، وحامل لنظرية لاهوتية توسعية باستراتيجية كونية مقصودة (٢).

وفيما يتعلق بالاستشراق الأمريكى فقد ساده تياران:

الأول: متأثر بالاستشراق الأوروبى القديم ويمثله المستشرق الأمريكى اليهودى

---

(١) خيرى منصور: **فى الاستشراق الأمريكى .. بدأ تبشيرياً وانتهى وريثاً لتركة بريطانيا الهرمة**، القدس العربى، ١٩٩٨/٧/١٧.

(٢) خيرى منصور: **فى الاستشراق الأمريكى .. العربى، سادى خزون، تاجر رقيق، راكب جمال!**، القدس العربى، ١٩٩٨/٧/١٦.

ماكدونالد والذى انتهى لدراسة عبقرية الفلسفة العبرية والأدب العبرى وانساق وراء الفكرة القائلة بأن الفارق بين العقل الشرقى والغربى يكمن فى عجز الشرقى عن بناء نظام للأشياء المشهودة وليس فقط فى سرعة تصديق هذا العقل للأمور الغيبية [1].

والثانى: حاول فيه المفكر الأمريكى (مارشال هودجسون) أن يعيد قراءة التاريخ الإسلامى مدركاً مخاطر ونواقص أعمال سلفيه السابقين أرنولد توينبى الإنجليزى والألمانى أوزوالد شبنجلر ساعياً إلى التخفيف قدر المستطاع من وطأة التأملات والتصورات الميتافيزيقية والأيديولوجية، ويقترح هودجسون نوعاً من القطيعة المعرفية المثلثة مع التمثيلات الغربية المتداولة والمألوفة عن سيرورة التاريخ العالمى وعن مكانة الإسلام فيها.

القطيعة الأولى مفهومية: التحرر من مقولات وإرث الاستشراق ومن النزعة المركزية الأوروبية التى تضع أوربا الغربية فى قلب ومركز التاريخ العالمى منذ أقدم الأزمنة، القطيعة الثانية: جغرافية الطابع إذ أن هودجسون يعتبر التقسيمات الجغرافية المعتمدة فى أوربا لخريطة العالم وتوزعه بين شرق غامض وشاسع وبين غرب محدد ومحصور يعتبرها غير دقيقة وغير صحيحة والقطيعة الثالثة تتعلق بالتحقيب التاريخى للأدوار والمراحل التى عرفها التاريخ العالمى والتاريخ الإسلامى خصوصاً [2].

ورغم أعمال بعض المستشرقين المنصفين فإن الاستشراق فى العصر

---

(١) صادق جلال العظم: **الاستشراق معكوساً**، (بيروت: دار الحداثة، ١٩٨١)، ص ١٧.

(٢) حسن الشامى: إعادة نظر فى التصورات الشائعة عن الإسلام والتاريخ والعرب، الحياة، ١٩٩٨/٣/٨.

الحديــث لــم يستطع أن يحرر نفسه تماماً من الخلفية الدينية للجدل اللاهوتى العقيم وتخـــدم وسائل الإعلام المتعددة فى الغرب هذا الوضع التقليدى الذى لا يزال ينظر إلـــى الإسلام بمنظار القرون الوسطى، والغريب أن الهيئات العالمية مثل اليونسكو وهـــى هيــئة دولــية تشـــترك فيها الدول الإسلامية تستكتب المستشرقين بوصفهم متخصصـــين فى الإسلاميات للكتابة عن الإسلام والمسلمين فى الموسوعة الشاملة الـــتى تصدرها اليونسكو عن تاريخ الجنس البشرى وتطوره الثقافى والعلمى .. وقد أثـــارت كتاباتهم حفيظة المسلمين على مؤسسة اليونسكو لما فيها من مجافاة للحقائق التاريخـــية وتهجم على نبى الإسلام وهو عمل كان ينبغى لمؤسسة علمية كبرى ألا تقع فيه [1].

---

(١) محمود حمدى زقزوق، مرجع سابق،ص ١١٥.

٤- وجهة النظر السياسية الاستراتيجية : هل هناك صراع بين الإسلام والغرب؟!

تتباين وجهات نظر المفكرين السياسيين والاستراتيجيين بشأن الصراع بين أوروبـــا والولايـــات المتحدة من جهة وبلدان العالم الإسلامى من جهة أخرى، بين كاشـــف عن زيف هذا الصراع باعتباره خرافة وبين مؤكد أن الصراع له كثير من العوامل الموضوعية التى تثبت وجوده.

فريد هاليداى الأستاذ بمدرسة لندن لعلوم الاقتصاد كان من أكثر الناس كشفاً لهذا الزيف قائلاً: قليلة هى قضايا العلاقات الدولية التى ولدت من الخرافات قدر ما ولـــدت قضية الخطر الإسلامى المزعوم فمنذ أواخر السبعينيات وبشكل أخص منذ الـــثورة الإيرانية ١٩٧٨ - ١٩٧٩ أصبحت قضية الإسلام وتحديد العدو المفترض للغـــرب شـــاغلاً دولياً مستمراً .. وهو شاغل اختار إبرازه ساسة فى الدول الغربية فضلاً عن عدد من القادة الإسلاميين.

غـــير أن صـــورة خطر إسلامى هى صورة مضللة بطرق أخرى ففى قلب هذا التحدى أو النزاع ذاته يكمن تشويشان: فقد تم خلط حقيقة وجود شعوب إسلامية بمعـــنى دينى وحضارى عام بحقيقة اعتناق معتقدات وسياسات توصف بالدقة بأنها إسلامية أو أصولية وبعبارة أخرى فقد أدعى أن معظم المسلمين يسعون إلى فرض بـــرنامج سياســـى يفترض أنه مستمد من دينهم على مجتمعاتهم وتطمس حقيقة أن معظم المسلمين ليسوا أنصاراً للحركات الإسلامية وكذلك الظروف التى يتحول فيها الـــناس إلـــى هذا الخيار المحدد، وينسب كل شىء ببساطة زائدة إلى تأثير الإسلام العـــام، وكمـــا هـــو شأن الخرافات السياسية الأخرى فإن مجرد ترويج هذه الأفكار يعطينا واقعاً ما لدى مَنْ ترمى إلى تعبئتهم ولكن أيضاً لدى من توجه ضدهم.

وهــذه الأفكــار سائدة فى ساحة الهيمنة (أوربا والولايات المتحدة) بل وفى ســاحة الإســلام الــتى من المفترض أنها مقهورة وخاصة للسيطرة على الجماهير البســيطة ومــن ثم فإن أى محاولة لوضع هذه القضية فى منظورها سيشمل عملية مــزدوجة لــتحدى أفكــار ليســت سائدة فحسب فى أوربا الغربية ولكن فى العالم الإسلامى ذاته [1].

يــتفــق جراهــام فولــر Foler الخبير بمؤسسة راند الأمريكية (الجــناح الأكــاديمى للمخابــرات المركزية الأمريكية) وأحد كبار المتخصصين فى السياسة الدولــية مع فريد هاليداى فى أن الصراع بين الطرفين ليس صراعاً دينياً وإنما هو صــراع سياسى واقتصادى وحضارى، فكثير من الصراعات تنشب بين أبناء الدين الواحــد وبيــن الــدول المســيحية وبعضها وبين الدول الإسلامية وبعضها بل إن المسيحية الشرقية تعرضت لقهر من المسيحية الغربية، وكذلك فإن العنف ليس سمة لجماعــات سياسية ترفع راية الإسلام بمفردها بل هناك جماعات مسيحية وهندوسية تفعل الشىء نفسه، وأن الغرب كان مسئولاً ولا يزال عن إذكاء الصراعات.

كما يتفق الاثنان فى أنه ليس هناك إسلام فى ذاته يمكن أن نتناوله باعتباره كيــنونة منفردة متماسكة ومندمجة وشاملة وأحادية التكوين، إذ ثمة مصادر متباينة لفقه الإلهيات الإسلامى وللشريعة الإسلامية بما فى ذلك القرآن والسنة (ولكل منهما العديــد من المذاهب الفرعية) والعديد من مدارس الفقه وثروة من الطرق الصوفية والأعــراف الإقليمــية والشخصــيات والخبرات التاريخية المتباينة داخل عشرات

---

(١) فريد هاليداى: الإسلام وخرافة المواجهة، الدين والسياسة فى الشرق الأوسط، ترجمة: محمد مستجير، (القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩٧)، ص ١٣٢.

الأقطـــار الإسلامية المنتشرة فى ثلاث قارات كبرى .. ومجموعة كاملة متنوعة من الأقاليم المناخية التى تشكل فى جملتها الإسلام [1].

أما المعسكر الآخر الدوجماتى المتوزع ما بين أنصار الحركة الإسلامية فى دار الإسلام وخصومها فى دار الحرب فيرى أن الإسلام نظام كلى غير متغير وأن تعالـــيمه عملت طيلة قرون فى كل أنواع المجتمعات وحددت مواقف شعوب مختلفة مـــن السياسة والجنس والمجتمع، والجانبان يتقاسمان فكرة إسلام ماهوى (له ماهية محـــددة) حـــدد تاريخياً يفترض أنه قادر على تفسير كل ما يقوله المسلم ويفعله .. فالخميـــنى والـــترابى والأخـــوان المسلمين وغيرهم يصرون على هذه النقطة كأى متعصـــب معاد للإسلام فى الغرب فصورة إسلام لازمنى ليست مجرد فبركة أذهان غربية محمومة فقط [2].

ولكن هؤلاء الكتاب والمتخصصين لا ينكرون أن ثمة عناصر ستفضى إلى بروز العالم الإسلامى فى العلاقات بين الإسلام والغرب منها:

أولاً: الأمن والأزمات المرتبطة بالأمن والتى يفرضها العالم الإسلامى على الغرب وأيضاً تلك التى يفرضها الغرب على العالم الإسلامى ستكون مصدراً للاحتكاك.

ثانـــياً: تدهور الأوضاع الاقتصادية والسياسية فى كثير من الدول الإسلامية سوف يهيئ للحركات "الإسلاموية" سيادة وسلطة كبيرين.

(١) جراهام فولر، إيان ليسر: **الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة**، ترجمة: شوقى جلال، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٦)، ص ص ٧ ، ٨.

(٢) فريد هاليداى، مرجع سابق، ص ١٣٢.

ثالـثاً: نظـراً لأن الشـرق الأوسـط وغيره من المناطق يتعرض لتغيير سياسى واقتصادى متسارع خلال العقد القادم فإن التوترات الناجمة عن التغيير ستؤدى ولو علـى المدى القصير إلى زيادة جاذبية الجماعات الإسلامية فى دول كثيرة. ونظراً لأن المعايـير المسـتوحاة مـن الغرب عن الديمقراطية وحقوق الإنسان ورأسمالية السـوق الحـرة تواجـه مقاومة فى المدى القصير والمتوسط على أقل تقدير داخل مـناطق الاضطرابات فى العالم فقد تزيد المطالبات بالتضامن المرتكز على رفض القـيم الغربـية والـنظام الدولـى القائم تأسيساً عليها .. وهنا على الأرجح سيكون الإسـلام المـتطرف طرفاً مشاركاً فى هذا النوع من الحركة الشاملة ومستفيداً منها أيضاً (١).

ولـذا يقترح هاليداى لحل أو تخفيف ما يصور على أنه نزاع ما بين الغرب والعالم الإسلامى برنامجاً مزدوجاً.

أولاً: فصـل الصـعوبات الواقعية من تدهور اقتصادى وسياسى وأزمات اجتماعية عـن تعبيراتها الدينية المشوشة ثم التصدى لهذه المصاعب ذاتها، باختصار لابد أن ينظر لهذه المشكلات فى ظل مفهوم كلى للعلمانية والتنمية.

ثانـياً: علـى أوربا الغربية أن تضع سياسة متوازنة ذات جانبين إزاء القضايا التى يلخصـها تعبـير الإسـلام بتكوين وعى أكبر وعداء للعنصرية والتحيزات العرقية الدينـية العامـة الموجهة ضد المهاجرين المسلمين وضد البلدان الإسلامية خاصة الشعوب التى تواجه القمع فى فلسطين وكوسوفو (٢).

---

(١) جراهام فولر وإيان ليسر، مرجع سابق، ص ص ١٨٥، ١٨٦.

(٢) فريد هاليداى، مرجع سابق، ص ١٥٢.

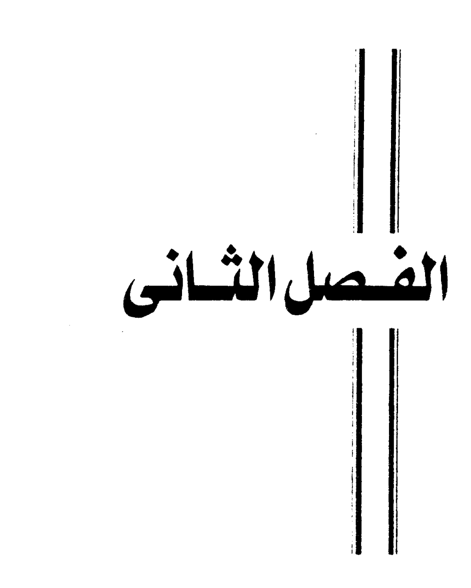
كمـــا يقترح البعض أن يتم دراسة الشرق الأوسط خاصة والعالم الإسلامى عامـــة لفهـــم التفاعلات السياسية فيه حتى يحاكمها الغرب بمعايير السياسة العربية الإسلامية أو الشرق أوسطية وليس بالمعايير الغربية (١).

وهـــناك الفـــريق الـــثانى الذى ينظر للعلاقة بين الإسلام والغرب على أنها صدام بين حضارات. وربما سبق حميد مولانا Mowlana الخبير فى مجال الإعلام الدولى ذو الأصل الإيرانى صمويل هنتنجتون فى تنبؤه بصراع حضارات فقد كتب يقـــول عام ١٩٩٢: إذا كانت الخلافات الاقتصادية والسياسية بين الولايات المتحدة والعـــالم الإسلامى يمكن رصدها فى التاريخ المعاصر للعلاقات الدولية فإن الخلاف أو الصدام الثقافى له جذور فى نظرة كل منهما للعالم والاتجاهات الحديثة للمسلمين فى نظرتهم للغرب راجعة لأنه الطرف المهيمن عليهم رغم تباين نظرته للحياة (٢).

وســـيتم مناقشـــة نظـــرية (صـــدام الحضارات) التى وضعها عالم السياسة الأمريكى صمويل هنتنجتون فى الفصل الثاني الخاص بالخطاب السياسى للعولمة.

●●●

(1) Alberto Talavoro et al. file//D/LATEST/Xoo12-MA.htm.
(2) Hamid Mowlana. **The United States and Islam: A Cultural Clash?**, (Bonn. Zeitschrift für Kulturaustausch. V·1 42, No. 2. 1997). pp. 435 – 439.



الفصل الثانى

العولمة : منطق التدفق ومعنى الإطار

مدخل : العولمة .. محاولة للاقتراب والتقنين

يناقش هذا المدخل: خصائص عملية العولمة وصلاً لتحديد المؤلف للعولمة وخطابها الأرثوذكسي أو الأصولي، وهو في ذلك يضع محاور ثلاثاً لخطاب العولمة: اقتصادي وسياسي وثقافي تروجه الطبقة الرأسمالية عابرة القومية والمجموعات المتضامنة معها.

• • •

إذا كان الغموض والشك والحيرة وعدم اليقين مفاهيم تصلح لتعريف ظاهرة أو عملية .. فإنها أصلح ما تكون لتعريف هذه اللفظة التي ستنضم إلى أخواتها الحرية، والعدل، والديمقراطية: أعني العولمة أو الكونية أو الكوكبة.

والغموض والشك وعدم اليقين – في يقيني – يرجع لأسباب عدة منها أنها عملية يصعب صياغة تعريف دقيق بشأنها، نظراً لتعدد تعريفاتها وتأثرها أساساً بانحيازات الباحثين الأيديولوجية، واتجاهاتهم إزاء العولمة رفضاً وقبولاً، ومنها أنها عملية وبالتالي تنطوي على صيرورة وتطور فلا يمكن – معرفياً – حصرها في عدة كلمات تحمل منطقاً صورياً لا يؤسس الوعي الكامل بها، ومنها أنها عملية متقلبة قد يتأسس بصددها بعض من اليقين المرحلي سرعان ما يتكشف زيفه فاتحاً المجال للتعديل والاختلاف وربما للتناقض، ومنها أنها عملية شديدة التنوع في مجال معطيات ظواهرها التي تشمل كل جوانب الحياة، اقتصاداً وسياسة، ثقافة وإعلاماً.

ولذا فإن الكلمة بحد ذاتها أثارت في مجمل الخطابات التي كتبت عنها أو تناولتها

تساؤلات أكثر منها إجابات .. وهى نتيجة منطقية بالطبع إذا نظرنا للحجج المقدمة سلفاً .. وإذا أدركنا أن معظم من تناولها كان يبغى – أظهر أم أضمر – أن يحيط بها علماً ويركـزها فـى صـياغة نظرية بسيطة يفهمها المتخصص والقارئ العادى لكثرة ما كتب عنها فى جرائد ومجلات.

ولكـن الهـام – فى نظرى – سبباً لهذا الغموض والشك وعدم اليقين –وهو سبب نفسـى اجتماعى– هو أن الجماعة أو الطبقة التى وجدت فى مصلحتها فى لحظة تاريخية ما إطلاق هذه اللفظة على الناس (العولمة) .. قد وضعت من يتعرض لها أمام المجهول.. أو اصـطنعت مجهولاً إن شئنا الدقة .. والتخبط منطقى أمام شىء تخاله مجهولاً، تحاول استشـفاف كـنهه .. وسـبر أغـواره .. لا أقلل بالطبع من أهمية التحولات الاقتصادية والسياسـية والتكنولوجـية العالمية وتسارع إيقاعها فى جعل هذه الظاهرة "مجهولاً" ينبغى بحـثه والتعرف على خفاياه .. لكن الاقتراب المعرفى منها كان يحمل شحنات من الخوف وعـدم الـثقة فـى مواجهة الجديد الذى بعد سنوات تكشف أنه ليس جديداً إذ أن العولمة كعملية ربما كانت لها قدم البشرية وتعاظمت فى القرن العشرين فقط.

ولنلـتقط مـن بين التعريفات ما يؤيد ما تقدم .. قبل أن ننتقل لنتعرف على المرسى المعرفى وسط بحر العولمة الهائج.

يقـول جيمس روزناو أحد أبرز علماء السياسة الأمريكيين "وإن كان مبكراً – عام ١٩٩٧ – وضـع تعريف كامل وجاهز يلائم التنويع الضخم لهذه الظواهر المتعددة، فعلى سـبيل المثال، يقيم مفهوم العولمة علاقة بين مستويات متعددة للتحليل: الاقتصاد، السياسة، الـثقافة، الأيديولوجيا، وتشمل إعادة تنظيم الإنتاج، تداخل الصناعات عبر الحدود، انتشار أسـواق الـتمويل، تماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول، نتائج الصراع بين المجموعات المهاجـرة والمجموعـات المقيمة"، ويعقب قائلاً "فى ظل هذا كله، فإن مهمة إيجاد صيغة

مفـردة تصف كل هذه الأنشطة تبدو عملية صعبة، وحتى لو تم تطوير هذا المفهوم، فمن المشكوك فيه، أن يتم قبوله واستعماله بشكل واسع" [1].

وحـاول إسـماعيل صـبرى عـبد الله طرق باب اللغة لتحديد المعنى بقوله: "نبدأ بالـترجمة الصـحيحة للاسـم الإنجليزى للظاهرة وهو Globalization وهو مشتق من Globe بمعنى الكرة والمقصود بها هنا الكرة الأرضية، الكوكب الذى نعيش على سطحه، والنسبة إليها توحى بمشاركة الناس جميعاً فى انتشار الظاهرة محل الدراسة. كما يرى أن الكوكـبة هـى أصلح ترجمة بدلاً من العولمة فأسماء العالم World أو الكون Universe لـيس مـن مفرداته فعل فى اللغة العربية، وقد وجد فى المعاجم فعل (كوكب) بمعنى جمع أحجـاراً وضـع بعضها مع بعضها الآخر فى غير شكل محدد، وهو يقابل كوم فى تجميع التراب".

ويضـيف: "رأيت الاحتذاء بسلفنا القريب حين نقلوا فعل ثقف من صقل السيف إلى صـقل العقل وأدخلوا فى لغة العرب (الثقافة) بالمعنى المتداول بيننا حالياً، ومهما يكن من أمـر فلابـد مـن تحديد المسمى فى ما وراء الخلاف حول الاسم، فالمقصود بالكوكبة هو الـتداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو انتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة ودون حاجة إلـى إجراءات حكومية" [2]. وفيما يتعلق بإشارتى لهذه الظاهرة فإننى استخدم لفظ العولمة لشيوعه وحين النسب سأشير للثقافة مثلاً بصفتها كوكبية .

ويذهب جون توملنسون Tomlinson إلى أن "العولمة فى أكثر معانيها عمومية

(١) نقلاً عن جيمس روزناو، السيد يس: **فى مفهوم العولمة**، المستقبل العربي، السنة (٢٠)، عدد (٢٢٨)، فبراير ١٩٩٨، ص ص ٤ - ١٣.

(٢) إسـماعيل صـبرى عـبد الله: **الكوكبة: الرأسمالية العالمية فى مرحلة ما بعد الإمبريالية**، المستقبل العربي، عدد (٢٢٢)، أغسطس ١٩٩٧، ص ص ٤ - ٢٥.

وعـــدم خلافـــية تشـــير إلـــى العملية المتغيرة والسريعة والمعقدة للتقارب بين المجتمعات والـــثقافات والمؤسســـات والأفراد على مستوى العالم، وهى عملية تتضمن ضغطاً للوقت والمســـافة ســـواء فيزيقـــياً أو تخيلياً لجعل العالم صغيراً والبشرية أقرب لبعضها البعض، وهـــى عملـــية لتطوير العلاقات الاجتماعية التى تحكم حياتنا اليومية من السياقات المحلية إلـــى الســـياقات الكوكبـــية، أو على حد تعبير أنتونى جيدنز (الفعل عبر المسافة)، وبغض الـــنظر عـــن مـــدى عمومية أى تعريف يقدم لنا، تبقى العولمة عملية صعبة أن نمسك بها نظـــرياً أو إمبريقـــياً، فـــيما يعتبرها البعض مركزاً لأى توصيف وتحليل للأحوال الثقافية والسياسية والاجتماعية المعاصرة" [(١)].

وفيما يتعـــلق بالغموض وعدم التحديد وصعوبة التنبؤ، يرى روبرت هيلبرونر أن

« لا أحـــد يستطيع أن يتنبأ بمستقبل المجتمع الاقتصادى والسياسى الكونى على نحو دقيق، فلـــم يستطع أحد فى الغرب أن يتنبأ بالأحداث الكبرى فى السبعينيات مثل ظهور الشركات مـــتعددة الجنسيات، وصعود اليابان كقوة اقتصادية كبرى، وبزوغ التضخم باعتباره مشكلة مزمـــنة فى كل البلدان الصناعية، وفى فترة أقرب عهداً وقع عدد من الأحداث المماثلة فى الأهمـــية علـــى النطاق العالمى مثل هبوط الإنتاجية الذى عانت منه كل الدول الغربية فى مطلع السبعينيات، أو خسارة الولايات المتحدة الأمريكية للقيادة الاقتصادية للعالم على نحو لافـــت للـــنظر، وكذلـــك لم يستطع أحد التنبؤ بما يشكل أكبر نقطة تحول فى نهاية القرن العشرين وهى انهيار الاتحاد السوفيتى ولم تتوقع أى منظمة رأسمالية انهيار اقتصاده" [(٢)].

---

(1) John Tomlinson. **Cultural Globalization and Cultural Imperialism**, in Ali Mohammadi (ed.). International Communication and Globalization (London: Sage Publications. 1997).pp. 170 – 181.

(٢) روبرت هيلبرونر:: **رأسمالية القـــرن الحـــادى والعشرين**، ترجمة: كمال السيد، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٥)، ص ١٣.

وعـن عمـوم وشيوع تأثير عملية العولمة ينقل جميل مطر عن المؤرخ الأمريكى رونـالد ستيل قوله "أنه لم يعد بالإمكان أن يحيا الإنسان بعيداً عن الكوكبية أو ينعزل عنها لأنـه إذا أغلـق أمامهـا باب غرفته دخلت من النافذة، وإذا أغلق النافذة دخلت من شاشة التلـيفزيون وإذا قطع أسلاك التليفزيون دخلت عن طريق الإنترنت وإذا رفض التعامل مع الإنترنـت وهـو الأمر الذى وإن بدا اليوم ممكناً - ١٩٩٧ - فلن يكون كذلك بعد سنوات فإن الكوكبية لن تعدم وسيلة لتصل بها ليس فقط داخل غرفته بل إلى داخل معدته فهى فى الغذاء والشراب وفى الدواء وفى كل ما يتعامل معه الإنسان" [١].

وعـن التقلـب الـذى يمكـن أن يعـترى جانباً هاماً من جوانب الحياة الإنسانية: الاقتصاد، يدرس مصطفى كامل السيد أزمة الدول الصناعية الجديدة فى جنوب شرق آسيا وهـو ما تم التعارف على تسميتها بالنمور الآسيوية، ويقرر أن الدرس المأخوذ من أزمتها هـو ضرورة الحذر من الاستسلام لأنصار الرؤى الساذجة حول العولمة واقتصاد السوق فليسـت العولمة خيراً كلها وليس اقتصاد السوق هو دائماً الأداة الأمثل لتخصيص الموارد الاقتصـادية وهـو يكشـف عن خلل عميق فى النظام الرأسمالى على الصعيدين الوطنى والعـالمى" .. ويـرى " أن نموذج التنمية بالاعتمـاد على التصـدير يمكن أن ينجـح إذا مـا اقتصر على عدد محدود من الدول وكان هذا هو الوضع فى شرق آسيا فى البداية .. أمـا إذا زادت عـدد الـدول فـإن التنافس بين هذه الدول على التصدير إلى دول الشمال الصـناعية لابد وأن ينتهى إلى حرب تجارية تخسر فيها معظمها إن لم يقترن ذلك بتوسع هـائل فى التجارة الدولية ورفع للقيود على صادرات الجنوب للشمال وليس هذا ما يحدث الآن، وممـا يـزيد مـن صعوبة استمرار إتباع هذا النموذج أن الزيادة فى صادرات هذه الـبلدان لا تعكـس فـى كل الحالات نمواً صافياً للتجارة الدولية وإنما تعكس انتقال بعض

---

(١) جميل مطر: **للكونية وجوه متعددة**، الأهرام، ١٩٩٦/١٢/٢٨.

الأنشـطة الإنتاجية التى تديرها الشركات الدولية العملاقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة من دولة إلى دولة أخرى" (١).

وفـيما يتعلق بالتساؤلات التعريفية أو التعريف بالتساؤلات والتى تعكس جانباً من الحـيرة تجـاه عملية العولمة يتساءل روزناو "ما هى العوامل التى أدت إلى بروز ظاهرة العولمـة فى الوقت الراهن، وهل هذا يرجع إلى انهيار نظام الدولة ذات الحدود المستقلة؟ وهـل العولمـة تتضـمن زيادة التجانس أم تعميق الفوارق والاختلافات؟ وهل الهدف هو توحـيد العالم أم فصل النظم المجتمعية عن طريق الحدود المصنوعة؟ وهل العولمة تنطلق مـن عوامل اقتصادية وإبداع تقنى أم من خلال الأزمة الإيكولوجية؟ وهل هى عبارة عن اتحـاد لكـل هـذه العوامل أم أنه لا تزال هناك أبعاد أخرى؟ وهل العولمة تتميز بوجود ثقافـات عامـة أم مجموعـة من الثقافات المحلية المتنوعة؟ وهل العولمة غامضة أم أنها تحـولٌ بارز على المدى الطويل بين العام والخاص، وبين المحلى والخارجى وبين المغلق والمفـتوح؟ وهـل هى استمرار لنمو الفجوة بين الفقراء والأغنياء على جميع المستويات؟ وهل العولمة تتطلب وجود حكومة عالمية؟ (٢).

وجميع الإجابات على كل التساؤلات متباينة، ومتضاربة، وملتبسة ويرى توملنسون Tomlinson أن هذا ليس مفاجأة إذا أخذنا فى الاعتبار الإطار التحليلى الواسع للعولمة.. ويركـز علـى الاسـتدلالات المحطمـة للتقاليد فى عملية العولمة قائلاً: "أول التحطيمات للأصـنام التقلـيدية كانت فى الجانب المعرفى، وهذا طبيعى فى أى نظام جديد فى العلوم الاجتماعـية والإنسـانية، هـذا الموقف المعرفى المتعلق بما يمكن تسميته بخطاب ما بعد الحداثـة حيـث يفارق هذا الخطاب خطابات التنوير والماركسية.. العلم الإمبريقى وحتى

---

(١) مصطفى كامل السيد: **أزمة الدول الصناعية الجديدة فى شرق آسيا وقضية التنمية**، الأهرام الاقتصادى، ١٦ مارس ١٩٩٨.
(٢) السيد يس: مرجع سابق، ص ص ٤ – ١٣.

الـــنزعة الذاتـــية الإنســـانية أو الظاهراتية .. أو مجمل الخطابات الحداثية، ويؤلف لنفسه خطاباً بعدياً Meta-discourse ، بضرب ثوابت الموقف النظرية المؤسسية قبلاً.

وتحطـــيم العولمـــة للتقاليد يتجاوز المعرفى إلى السياسى ليحطم فكرة الدولة القومية بفضـــل عملية إعادة توطين رأس المال عبر شبكات من الدول والشركات والثقافات، وهو مـــا يمثل تحدياً للعلاقات الدولية ونظرياتها السابقة، ويحطم شكل الدولة القومية عبر أفكار الشرعية، والسلطة، والسيادة بما يؤدى إلى عدم قدرة الدول القومية على إدارة اقتصادياتها الداخلـــية فى ظل السوق العالمى، وأبلغ مثال على ذلك الأزمات الاقتصادية المترتبة على الهجمـــات الـــتى تعرضت لها العملات الوطنية فى الأسواق العالمية كما فى حالة النمور الآســـيوية، كمـــا يمتد التحطيم إلى أبنية ثقافات الدول لصالح ثقافة واحدة تقدم نفسها كثقافة عالمية تتدفق فيها القيم الغربية – الأمريكية بالأساس – كما تتدفق السلع والخدمات (١).

ومـــع الهيمـــنة والاستسلام لعملية الاستتباع الحضارى يأتى فقدان الشعور بالانتماء لوطـــن أو أمة أو دولة، وبالتالى إفراغ الهوية الثقافية من كل محتوى، إن العولمة عالم من دون دولـــة، مـــن دون أمة، من دون وطن. إنه عالم المؤسسات والشبكات العالمية، عالم الفاعليـــن، وهـــم المســـيرون والمديرون، والمفعول بهم وهم المستهلكون للسلع والصور والمعلومـــات والحركات والسكنات التى تعرض عليهم. أما وطنهم فهو الفضاء المعلوماتى الـــذي تصـــنعه شـــبكات الاتصـــال، الفضـــاء الذى يحتوى – يسيطر ويوجه – الاقتصاد والسياسة والثقافة" (٢).

---

(1) John Tomlinson. **Op. Cit.**. pp. 170 – 181.

(٢) محمـــد عـــابد الجابرى: **العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات**، المستقبل العربى، عدد ٢٢٨، فبراير ١٩٩٨، ص ص ١٤ – ٢٢.

مدخل المؤلف لدراسة العولمة :

لمـا كانـت الخطابـات المتداولة حول العولمة، كثيرة، متباينة ومتضاربة مؤيدة ورافضـة، فإنـه فى هذا البحر المعرفى متلاطم الأمواج الذى – فى كثير من الأحيان – يخـتلط فـيه الحـابل المعرفى بالنابل المنهجى، كان لابد وأن يؤسس المؤلف لنفسه رؤية بصـدد العولمـة تـتواءم ابتداء مع أهداف بحثه، ويتسم طرحها بقدر معقول من الاتساق والتماسك.

ورأى المؤلـف – فيما قدر له من قراءة وتحصيل عن هذه العملية الكوكبية – أن هـناك خطاباً يمكن أن يطلق عليه الخطاب الأصولى للعولمة .. أو الخطاب الأرثوذكسى للعولمـة: خطاب يحمل قدراً من التلاحم العضوى بين مقولاته تؤسسه مجموعات نخبوية فـى هوامـش العـالم (دول العالم الثانى سابقاً والدول الصناعية الحديث فى آسيا، ودول العـالم الثالـث) متضامنة مع مجموعة رئيسية فى مراكز الدول الصناعية الكبرى وعلى رأسـها الولايـات المـتحدة، تتوحد بينهم المصالح، ويعتنقون أنساق من القيم الاجتماعية والنفسـية المتقاربة ليتغلب مشروع المتحكم القوى المُتبَع على المتحكم فيه الضعيف التابع. وهـى مجموعـات اقتصـادية لها عمليات إنتاج محددة فى ظل قوانين الرأسمالية العابرة للقومـية، تتشابك مصالحها مع مجموعات سياسية تملك صناعة القرار وتنفيذه فى المراكز والهوامـش، وتتحدد لها استجابات نفسية بأقل قدر من التناقض أو على الأقل الاختلاف .. هـذه المجموعات كونت ما يمكن الاصطلاح على تسميته بالطبقة الرأسمالية عابرة القومية أو TCC أى Transnational Capitalist Class وكـذا الطامحين للانتماء إليها وحذو جزء من كعكة المصالح الاقتصادية والسياسية، والتخلق بخلقها والتزيىّ بزيها.

ويتمـيز الخطـاب الأصولى أو الأرثوذكسى للعولمة كإنتاج ثقافى وعقلى عن غيره مـن الخطابات التى عالجت العولمة وقبلت جزءاً ورفضت آخر بكونه جزءاً لا يتجزأ من أيديولوجية الطبقة الرأسمالية عابرة القومية، وهو يعنى الطريقة أو النظام الفكرى الذى يتم

به تسويغ - أى إضفاء المشروعية - على مصالحها وتقديمها بطريقة تضمن لها قدراً من الإقناع لدى المنتمين لها والطامحين للانتماء لها، وكذا الرافضين لها فالخطاب الذى يحمل داخلـه المصـالح السياسـية والاقتصادية والقيم النفسية والاجتماعية يقوم بتقديم المصالح الخاصـة لهذه المجموعات على أنها المصالح الجمعية للعالم وهو بهذه الصفة يتكفل بمهمة إزالة المتناقضات فى المصالح بين فئات المجتمع الكونى المختلفة والتى تتناقض مصالحها بالضرورة بطبيعة دور كل منها فى عملية الإنتاج الرأسمالى عبر القومى، أو حتى بطبيعة استبعادها كلية من هذه العملية.

فـى هذا الإطار يصبح الخطاب الكونى الأصولى موضوعاً لعملية معقدة ومتشابكة تحدد طريقة إخراجه وطبيعة مضمونه الشروط التالية:

١- مصالح المجموعات الكوكبية للطبقة الرأسمالية عابرة القومية فى لحظة تاريخية ما، هذه المصـالح تحـدد التوجهات السياسية والاقتصادية على الصعيد الداخلى والدولى بهدف تدعـيمها وتثبيـت سـيطرتها، ومـن ثم تتحدد السياسة التى يتم تطبيقها، ويتحدد أيضاً معسكر الأصدقاء ومعسكر الأعداء منظوراً لهم من زاوية المصالح.

٢- طبـيعة المشـكلات الكوكبـية المطروحة فى نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادى والعشـرين والـناتجة بطبيعـتها عن التناقض بين مصالح الأقلية الاقتصادية والسياسية المـتحكمة والأغلبـية المحـرومة فى العالم، ويتفاوت حجم هذه المشاكل من لحظة إلى أخـرى وكـذا درجة خطورتها. وكان الشأن الإسلامى، أو شئون العالم الإسلامى جزءا مـن هـذه المشـكلات الكوكبية المطروحة والتى حددت استجابة هذه الطبقة الرأسمالية عابـرة القومـية تجاهها .. وبالطبع تفاوتت حدة هذه المشكلات من دولة إلى أخرى كل بحسب قدر التناقض مع مصالح هذه الطبقة المهيمنة.

٣- ويرتبط بما سبق، القلق والاضطراب الكونى العام الناتج عن أوضاع اقتصادية وإنتاجية وسياسـية عالمية جديدة، والناتج من الخوف من أنواع الخطابات المناوئة لهذه المصالح

والــتى تمثل خطورة على تسويغ العملية الكوكبية الدائرة، وفى هذه الحالة فإن الخطاب الأصــولى للعولمــة لابــد وأن يقــدم إجابــة أو مشروعاً لإزالة هذا القلق وامتصاصه والحــيلولة دون تفجــره خارج الأطر الشرعية القائمة (نخب المركز المتحالفة مع نخب الهوامــش)، بــل وضرورة إدماجه فى قنوات العولمة الأرثوذكسية لإقناعه بأنها البديل الأنسب لحل مشكلاته.

وتجــدر الإشــارة إلــى أنه فى هذا الإطار التاريخى، ينبغى تفسير اختلاف شكل ومضــمون الخطــاب الكونــى على صعيد اللغة والأسلوب وكذلك أيضاً على صعيد القيم والــرموز المتضــمنة. إذ أنه – مثلاً – لمواجهة الخطاب الإسلامى المحافظ كان يقتضى اســتخدام أســلوباً ولغــة تختلف عن مواجهة الخطاب الاشتراكى فى الصين، أو مواجهة خطــاب نقــاد العولمة داخل المراكز، ومنهم – إن لم يكن أبرزهم – مجموعة الأكاديميين المنتمين لليسار الجديد فى الولايات المتحدة وبريطانيا على سبيل المثال.

٤- الــتحديات الكــبرى الــتى تواجه الطبقة الرأسمالية عابرة القومية على الصعيد السياسى والاســتراتيجى والعسكرى، والتى تقتضى تحديد أولويات المخاطر، وكذا وسائل التنفيذ وتوزيــع الأدوار، وهو ما يصدق على مواجهة المشكلات الاقتصادية التى قد تنفجر فى المراكز أو الهوامش التى يجرى إدماجها.

٥- وغــنى عــن البــيان، إذا اعتبرنا النظرة التاريخية لتكوين هذه الطبقة أن نأخذ فى الاعتــبــار تــاريخ المجتمع الذى نشأت فيه ومكوناته المادية والاجتماعية، وأنماط الــثقافة المرتبطة به ، فإذا حللنا خطاب الطبقة الرأسمالية، فيجب النظر لنمط الثقافة الحداثــية الــذى كان سائداً فى فترة ما من تاريخها، وفيه بالطبع نمط الثقافة الشعبية السائد وكذا قوة نزعة التدين والإيمان لدى جماعات هذه الطبقة لاسيما ونحن بصدد

مناقشـــة الحلـــول الـــتى طرحـــتها لمواجهة الخطابات الدينية – ومنها الخطاب أو الخطابات الإسلامية – التى تهدد مصالح هذه الطبقة أو لا تهددها [1].

ويرتـــبط بمـــا تقدم ويكمله رؤية لوسيان جولدمان عن رؤية العالم، وهى الرؤية البنـــيوية الـــنقدية لكيفية تشكل الجماعة أو الطبقة إذ يركز جولدمان "على الذات الجماعية الـــتى تـــتحقق بيـــنها وبين موضوعها وحدة جدلية من ناحية وتنطوى على علاقة بذوات مماثلـــة مـــن ناحية ثانية فتتشكل نتيجة لذلك ذات جماعية أعم من الفرد، وهذا كله طبيعى لأن جولدمـــان يرى أن النشاط الإنسانى يتم بواسطة الـــ (نحن) وليس (الأنا)، صحيح أن بنـــية المجـــتمع المعاصـــر تميل إلى إخفاء الـــ (نحن) وتحويلها إلى مجموعة من الذوات المـــنعزلة لكـــن تظـــل العلاقة الجماعية قائمة بين الذوات، فتصنع علاقة الـــ (نحن) التى تتجلى فيما تمارسه الجماعة فعلاً من الأفعال على مستوى الموضوع.

وعـــند هـــذا المستوى يترك جولدمان مفهوم الذات الفردية ليؤكد الذات المجاوزة للفـــرد Transindividual Subject، ويعنى بهذا المصطلح أن الطبقـــة أو المجموعـــة الاجتماعـــية حاملة رؤية العالم وخالقتها، وأن البنية المتلاحمة لهذه الرؤية ليست من صنع الفرد المفرد وإن كانت متضمنة فى وعيه بالضرورة" [2].

ففـــيما يـــتعلق بالخطـــاب الأصولى للعولمة فإنه يتجلى فى الأعمال الفكرية للطبقة الرأســـمالية عابـــرة القومية ويولد مجموعة من التجليات الأخرى التى تتجاوب بنيوياً من حيـــث تعبـــيرها عـــن هذه الرؤية، وفى هذا الصدد تتأكد قيمة خطابات القادة الاقتصاديين والسياســـيين والتقنيـــين والاجتماعيين فى حالتنا وذلك من منطلق أنهم المعبرون عن بنية

---

(١) أفاد المؤلف من البنية المنهجية لباحث عبد العليم محمد فى وضعه لتصور الطبقة الرأسمالية عابرة القومية. انظر عبد العليم محمد: **الخطاب الساداتى**، ص ص ٣٢ – ٣٦.

(٢) جابر عصفور: **نظريات معاصرة**، ص ص ١١٤ – ١١٥.

رؤيـــة العـــالم عند الطبقة أو المجموعة الاجتماعية التى ينتمون إليها، ويرجع تميزهم عن غيرهم إلى أنهم يصوغون هذه الرؤية فى أقصى درجات تلاحمها البنيوى، وما يميز واحد مـــنهم عن غيره هو مدى تباين صياغة التلاحم البنيوى للرؤية، ودرجة التجانس العلائقى الذى يبين فى صياغته لخطابه.

ويطلـــق لوسيان جولدمان على منهجه النقدى هذا مصطلح (البنيوية التوليدية) الذى يكتـــف عـــن بعدين مهمين غير منفصلين فى المنهج، أما البعد الأول فيتمثل فى (بنيوية) المـــنهج: علـــى مســـتوى الـــنموذج التصورى الذى يحكم إجراءات المنهج وممارساته أو تطبـــيقاته، وعلـــى مستوى الواقع التجريبى للمادة سواء من حيث النظر إليها فى علاقاتها الـــتى تحكـــم شتاتها الظاهر أو تحول هذا الشتات إلى كلية أو بنية تحقق وحدة شاملة من مقـــولات مـــتلاحمة، ويعـــنى ذلـــك أن الواقع التجريبى ليس مجرد ركام من الظواهر أو الأحـــداث وإنمـــا مجموعـــة من الأبنية ولا سبيل إلى فهمه لو نظرنا إليه متجاهلين منطقه البنيوى.

فضلاً عن ذلك فإن أية محاولة لإلغـــاء الذات (الباحث) تنتهى إلى نزعة تجريبية إمبريقـــية ضـــارة كما أن أية محاولة لإلغاء الموضوع تنتهى إلى ذاتية ضارة، وإذا سيطر القطـــب الأول مـــن هذين القطبين سادت الشكلية، وإذا سيطر القطب الثانى ساد الإسقاط، والنتيجة هى ضياع المعنى فى الحالين.

والبنيوية التوليدية مفهوم علمى وإيجابى عن الحياة الإنسانية، مفهوم يتصل مفكروه الأساسيون بفرويد على أساس سيكولوجى، ويتصلون بهيجل وماركس وبياجيه على أساس معرفى، مثلما يتصلون بماركس وجرامش ولوكاس على أساس تاريخى اجتماعى [1].

(١) المرجع السابق، ص ١١٦.

وفـــى هذا الصدد يمكن تفسير حركة الإحياء الدينى فى العالم الإسلامى وفى غيره مـــن مـــناطق العـــالم علـــى أنها رؤية بديلة للعالم تقدم آليات دفاعية ضد العولمة بعد أن تـــزايدت حـــدة التناقض بين ما فى يد الإنسان وبين المعروض عليه من سلع وخدمات لا يســـتطيع إلـــيها سبيلاً وتشغيل هذه الرؤية الادراكية للعالم يتم عبر نصوص مقدسة مريحة ومُـــثبـــتة .. نصوص فيها هدى وموعظة وشفاء لما فى الصدور.. بعد أن تعبت الصدور وأثقلها ما تشاهده وتسمعه وتدركه .. ولا تملكه!

●●●

خطاب العولمة الاقتصادى

يناقش هذا الجزء من الفصل أسباب أزمة الفكر التنموى فى عالم التسعينيات تحت ضغوط العولمة، يعقبه شرح لخطاب الشركات عابرة القومية والبيروقراطيات الاقتصادية المتضامنة معها كالبنك الدولى وصندوق النقد الدولى ومنظمة التجارة العالمية.

• • •

أولاً : أزمة الفكر التنموى

فى تحليل الخطاب الأصولى أو الأرثوذكسى لخطاب العولمة الاقتصادى ظهر نوعان متلاحمان من الخطاب هما: خطاب الشركات متعددة الجنسيات، وخطاب البيروقراطيات الاقتصادية الكوكبية المتضامنة معها وقد وجد المؤلف أنه من الأفضل منهجياً فصل الخطابين فى شرحه لأساليب الإقناع التى يلجأ إليها كل من الخطابين، ومحاور اهتمامهما الرئيسية.

ولعل السبب المحورى فى تدعيم المنطلقات الفكرية والآليات العقلية لخطاب العولمة هو الأزمة الخطيرة التى تعرض لها الفكر التنموى مع أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات بتأثير عدة عوامل متداخلة سيتم شرحها بالتفصيل ولذلك سيبدأ المؤلف بشرح أزمة الفكر التنموى، يعقبه عرض تفصيلى لخطابى الشركات متعددة الجنسيات، والبيروقراطيات الاقتصادية الكوكبية الكبرى المتضامنة معها ممثلة فى صندوق النقد الدولى، والبنك الدولى، ومنظمة التجارة العالمية، والتى تخدم مصالح رأس المال عبر القومى بسياسات إعادة الهيكلة والخصخصة والاندماج، فى الوقت الذى فيه تتبادل المنافع فتخدم القوى عابرة القومية منظمات التمويل العالمية والحكومات التى تسيطر عليها وعلى رأسها بالطبع الولايات المتحدة الأمريكية فى شكل تعيين مستشارين للشركات متعددة

الجنسيات من خبراء البيروقراطيات الكوكبية، فضلاً عن الجانب السرى لهذه الأنشطة والذى ينشر عنه من حين لآخر عندما يحدث الاختلاف حول تقسيم المغانم فيلجأ أى من طرفى الاستفادة للإعلام فى محاولة للنيل من الطرف الآخر.

لفهم أزمة الفكر التنموى فى بلدان العالم الثالث والعالم الثانى (سابقاً) والتى يعد العالم الإسلامى جزءاً منهما، سبق أن أوضحنا أنه تم تشكيل طبقة كمبرادورية جديدة يمكن أن نطلق عليها الطبقة الرأسمالية عابرة القومية أو (TCC) Transnational Capitalist Class وتتكون هذه الطبقة من هؤلاء الناس الذين يرون مصالحهم أو مصالح أمتهم يمكن أن تتحقق بالتحالف مع النظام الرأسمالى الكونى، وتحديداً مصالح الدول الرأسمالية فى المركز، والشركات متعددة الجنسيات التى تتخذ من هذه الدول مقراً لها، وتقوم هذه الطبقة بأنشطة اقتصادية خارجية أكبر من الأنشطة الداخلية، والحقيقة أن عدم الاستقرار المتضمن أو الذى يعد جزءاً لا يتجزأ من النظام الكونى Built-in Instability راجع - من وجهة نظر المستفيدين من العولمة وغير المستفيدين منها - إلى أن الأيديولوجية المهيمنة للطبقة الرأسمالية عابرة القومية كان يداخلها تحد ثابت خارج العالم الأول ممثلاً فى الفكر التنموى المفارق للطرح الرأسمالى ممثلاً فى الفكر الاشتراكى بدائله المتعددة والذى أنتج كثيراً من النظريات المنبثقة عن الماركسية: مثل الإمبريالية والإمبريالية الجديدة، التبعية، النظام العالمى لتقسيم العمل، ونظرية طرق الإنتاج هذا رغم الاختلافات بينهم.

هذا الطرح النظرى يواجه أزمة شديدة بسبب مجموعة من الأسباب يمكن أن نعدد منها :

١- فقدت معظم أقطار العالم الثالث بانتهاء الحرب الباردة كل أهمية مستقبلية استراتيجية ففى ظل المواجهة العالمية فى حقبة الحرب الباردة كانت أرضنا كقطعة الشطرنج إذا خرجت منها دول الغرب سارع إليها الاتحاد السوفيتى السابق وحلفائه والعكس

صـــحيح، وكذلك فقدت ملكية الموارد الطبيعية أهميتها وانخفضت أسعارها فى بعض الأحوال إلى مستوياتها إبان الكساد الأعظم (١٩٢٩ – ١٩٣٤) وذلك نتيجة التطورات الاقتصـــادية والتقانـــية فـــى الـــبلدان الصـــناعية، لم تحقق التنمية فى الخمسين سنة المنصـــرمة ما كان مأمولاً فيه فى معظم دول الجنوب، بل تراجعت أوضاع عدد من الـــبلدان إلـــى أقـــل ممـــا حققته فى الستينيات من معدلات نمو وما زال الفقر والجهل والمـــرض ســـمة أغلبية السكان من الجنوب، ووصلت الأمور فى بعض الأقطار إلى انهـــيار الدولـــة القومية وبازدياد عدد السكان وزيادة الفقر لم تعد أسواق معظم بلادنا سوقاً كبيرة تغرى الشركات الكوكبية.

٢- معونـــات التنمـــية الرسمية فى طريقها إلى الاختفاء فيما عدا ما يمكن أن يقدم كمعونة إنســـانية فى ظروف بالغة القسوة ومؤقتة وهذا التخفيض المتوالى حتى الإلغاء الكامل يدخـــل ضمن إجراءات تخفيض الإنفاق العام وضرورة تصفية عجز الميزانية المزمن أو تصـــغيره بصفة عامة، وما قصة الشراكة التى تبشر بها دول من الشمال إلا تعبير عـــن بديـــل معونـــات التنمية يتمثل فى قدر أدنى من المعونة الفنية وترك الإسهام فى تمويـــل مشروعات التنمية للاستثمارات الأجنبية المباشر، وقد بدأت الشركات الكوكبية تفرض وجهة نظرها فى التعامل مع مختلف الدول النامية على وجهة نظر الحكومات ووزارات الخارجـــية فالمصـــالح العليا للدولة بتعبيرها السياسى تتراجع أمام المصالح الاقتصادية للشركات الكوكبية وتختلف معايير التعامل بالتالى.

ففـــى الأصل كان النفوذ السياسى والاقتصادى لدولة معينة هو المفتاح إلى أسواقها بمـــا يحقـــق الربح للشركات التى تحمل جنسية تلك الدولة أما الآن فإن الشركات الكوكبية هـــى الـــتى تقيم أوضاع كل دولة فى الجنوب وتزن احتمالات وحجم الأرباح التى تتحقق للشركات التى تمد نشاطها إليها [١].

---

(١) إسماعيل صبرى عبد الله: مرجع سابق، ص ٢٤.

ويكمل رؤية إسماعيل صبرى عبد الله ما يراه رزق الله هيلان من ظواهر مرضية هـددت التنمـية وشـوهتها ودفعـتها إلى مأزق لا مخرج منه ومنها: المديونية المتراكمة وأزمـتها، وهجـرة الفـائض الاقتصـادى إلى البلدان المتقدمة، وتهريب الأموال من قبل الأثـرياء، وهـدر قسم هام من الدخل النفطى فى نمط استهلاكى سفيه، وعدم تكوين قاعدة وطنـية للتراكم، تزايد اللا مساواة الاجتماعية، ونشوء بنى سياسية تسلطية – قمعية وتفشى أنـواع الفسـاد والرشـوة وسـوء الإدارة وضـآلة فاعليـتها بالإضافة لأزمة اجتماعية وأخلاقية[1].

وإذا كـان هذان الكاتبان قد تطرقا للأوضاع الداخلية فإن رمزى زكى رصد آليات الفوضى فى الاقتصاد العالمى الراهن ومنها :

١ – اقتصاد من دون قيادة :

فمنذ أن نشأت الرأسمالية وهى تحتاج إلى قيادة مركزية على صعيد العالم أى دولة نواة مسيطرة، تنظم وتوجه وتقود حركة المنظومة الرأسمالية وهى التى تتولى إدارة البيئة الاقتصـادية العالمية والبيئة السياسية والاجتماعية المواتية لتراكم رأس المال على الصعيد العـالمى .. وبمقدار ما يعترى الضعف قوة هذه الدولة أو تتنازعها فى القيادة دولة أو دول أخـرى تـتعرض المنظومة للاضطرابات والأزمات وهذا هو الحاصل الآن فقد تعرضت دول النواة وهى الولايات المتحدة لضعف نسبى واضح فى العقود الثلاثة الأخيرة أثر على قدرتهـا فـى قيادة المنظومة بسبب تراجع الوزن النسبى للاقتصاد الأمريكى فى الاقتصاد العـالمى نتـيجة لـبروز وصعود قوة اليابان ودول الاتحاد الأوروبى والنمور الآسيوية، وتحول الولايات المتحدة إلى دولة مدينة ابتداء من ١٩٨٥، وتفاقم الاختلال الداخلى وعجز

---

(١) رزق الله هـيلان: **نمط تنمية بديلة كمشروع لحوار حضارى**، المؤتمر الدولى حول صراع الحضارات أم حوار الثقافات، (القاهرة: ١٠ – ١٢ مارس ١٩٩٧).

الموازنـــة الفيدرالـــية والاختلال الخارجى (عجز ميزان المدفوعات)، وتقلب قيمة الدولار الأمريكى وعدم استقرار سعر صرفه وسقوطه من ثم من على عرش العملات الدولية بعد أن أصبحت عملات أخرى تتنافس معه على دور العملة العالمية وعملة الاحتياط الدولية.

٢ – انفلات أحجام السيولة الدولية:

فمـــن المعلوم أن تشغيل الاقتصاد العالمى يحتاج إلى سيولة نقدية كافية، أى مقادير ملائمـــة من الأموال السائلة اللازمـــة لإتمام صفقات التصدير والاستيراد العالمية وتمويل حـــركة رؤوس الأمـــــوال قصـــــيرة الأجـــل التى تلزم لعلاج مشكلات العجز بموازين المدفوعـــات. وقـــــد أصـــبح الاقتصاد العالمى يعوم على أمواج عاتية من السيولة الدولية الـــتى تشكـــل فيضاً هائلاً من رأس المال المالى. فهناك الآن كتلة من الأموال السائلة التى تتحرك فـــى العالم عبر مدار العام تقدر فى حدود ١٠٠ تريليون دولار، فى حين أن حجم الـــتجارة الدولية لا يتجاوز حدود ٣,٥ تريليون دولار، أى ما يعادل ٣,٥% من تلك الكتلة. هـــذه الكتلة الهائلة من الأموال الهائجة قصيرة الأجل أصبحت هى مصدر تمويل حركات المضاربة العالمية، ومصدر قلق شديد لمختلف دول العالم – وبالذات الدول النامية – التى انساقت وراء العولمة ففتحت أسواقها النقدية والمالية أمام نشاط هذه الصناديق [١].

ويرصـــد رمـــزى زكـــى بعـــداً آخـــر مـــن أبعاد أزمة الفكر التنموى فيما يتعلق بالتكنولوجـــيا وتحديـــداً تكنولوجيا الثورة الصناعية الثالثة لاسيما على الطبقة الوسطى فى العـــالم الـــتى زلزلـــت هذه الثورة حياتهم وأحالتها إلى ما يشبه الجحيم نظراً لما جاء فى ركابهـــا مـــن إحلال واسع وسريع للآلات الحديثة المتطورة محل العمل الإنسانى، والذى أدى إلـــى خلـــق بطالة واسعة النطاق تتفاقم عاماً بعد آخر وإلى حدوث تغيرات هائلة فى

---

(١) رمـــزى زكـــى: **آلـــيات الغوص فى الاقتصاد العالمى الراهن**، العربى، عدد (٤٨٢)، يناير ١٩٩٩، ص ص ١١٠ – ١١٤.

أســـواق العمل وخفض بليغ فى مستوى معيشة العمال والطبقة الوسطى وإلى وجود تفاوت هائل فى مستويات الدخول بين الطبقات والشرائح الاجتماعية المختلفة ويمكن القول أنه ما من إنسان من بلدان عالم اليوم فى مأمن من تأثير تلك الثورة عليه.

وهـــناك الآن ما يشبه الرعب الذى يستولى على قطاعات واسعة من العمال وأبناء الطـــبقة الوســـطى من حالفهم الحظ وظلوا – حتى الآن – فى وظائفهم وهذا الرعب ناجم عن الخوف من احتمالات تسريحهم من العمل أو لاضطرارهم لقبول ساعات عمل أقل أو خفـــض أجورهـــم فى الأجل القريب .. فبالإضافة إلى الإحلال الذى تم بين الآلة والإنسان فـــى العقـــود الثلاثة الماضية من جراء تسارع الثورة العلمية والتكنولوجية وإدخال الرجل الآلـــى المـــبرمج (الربوت Robot) فى العمليات الإنتاجية فضلاً عن أتساع نطاق الأتمتة Automation فـــإن هـــناك الآن عمليات إعادة هندسةRe-Engineering تجرى على نطـــاق واسع فى مجال العمل الإنسانى وعلى كافة الأصعدة فى مختلف الشركات الكبرى فى مختلف قطاعات الاقتصاد القومى وقد نجم عن هذه العمليات:

-إدماج كثير من الوظائف فى بعضها البعض.

-إلغاء وظائف الإدارة التقليدية.

-تكويـــن ما يسمى بمجموعات العمل Work Teams ذات الكفاءة العالية التى وفرت كثيراً من الوظائف.

-تبسيط عمليات الرقابة والإدارة.

-تدريب الموظفين على أعمال ذات مهارات متعددة وبحيث يقوم الموظف الواحد بأكثر من عمل واحد.

وقـــد أدى ذلك إلى خفض نسبة ٤٠% ومن المحتمل أن ترتفع النسبة إلى ٧٥% من الشـــركات الـــتى قامت بإعادة هندسة أوضاعها وعناصر العمل فيها، وعكس ما حدث فى

الـثورة الصـناعية الأولـى والـثورة الصناعية الثانية فإن ثمار ومكاسب زيادة الإنتاجية الناجمة عن تكنولوجيا الثورة الصناعية الثالثة توزع الآن بشكل استقطابى حاد جداً، فبينما أدت تكنولوجـيا الـثورة الأولـى والـثورة الثانية إلى أن يكون للعمال والأعضاء الطبقة الوسـطى نصـيب فى الزيادة التى حدثت فى الإنتاجية من خلال زيادة أجورهم الحقيقية وتقصـير وقـت العمل وزيادة الأجازات السنوية والرعاية الصحية والتأمين ضد البطالة والشـيخوخة. فـإن الـنمو الهائل الذى حدث ويحدث الآن فى الإنتاجية من جراء الثورة الراهـنة فـى التكنولوجيا قد استأثر بثماره فئة قليلة جداً من الأفراد الذين ينحصرون فى رجال (الإدارة العليا) وحملة الأسهم، وعمال المعرفة (التكنولوجيا والمعلومات).

ونتـيجة اسـتثمار هؤلاء الأفراد أو الفئات الثلاثة المحظوظة بمعظم ثمار ومكاسب نمـو الإنتاجـية، فقد زاد عدد البليونيرات زيادة كبيرة فى العقدين الماضيين وعلى نحو لم تشهد لـه الرأسمالية مثيلاً من قبل، وبدأت الفجوة بين أغنى ٥% من السكان وأفقر ٢٠% مـن السـكان فـى الاتساع المذهل على نحو جعل كثيراً من المفكرين يتحدثون الآن عن ظهـور الاقتصاد المزدوج Dual Economy فى البلدان الصناعية الذى ينقسم إلى قطاع النخـبة المسـتفيدة من الموجة الثالثة للتكنولوجيا وعددهم قليل جداً، وقطاع بقية المهمشين من العمال وأعضاء الطبقة الوسطى الذين هووا إلى الحضيض.

بـل أنه فى ظل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للعمال والموظفين وأبناء الطبقة الوسـطى ومـا رافق ذلك من آثار (انتشار الجريمة والعنف والعنصرية وحوادث السرقة والاغتصـاب وتـناول المخـدرات والكحـول وتفشى الخلافات العائلية وتزايد الأمراض النفسـية وحالات الانتحار .. إلى أخره) حذر بعض المفكرين مثل (جيريمى ريفيكين) من

خطـورة استمرار الوضع الذى يشبه فى بعض جوانبه العالم الكئيب الذى صوره تشارلز ديكنز فى روائعه التى كتبها عن مرحلة الثورة الصناعية الأولى (١).

والهـامش الضـئيل من العمال الذين أفادوا من ثمار هذه الثورة ساعدوا على خلط الأوراق الطبقـية مزيدين أزمة الفكر التنموى الموازى، فالعديد من العمال لم يعودوا عمالاً وحسب، وإنما بوسع عامل أن يكون فى الوقت ذاته رأسمالياً، بمعنى أن يمتلك بعض أسهم المؤسسـة الـتى يعمـل بها، إن هذه الظاهرة باتت شائعة ولو بغرض الحد من الصراع الطـبقى، وإغراء العمال على التخلى عن اللجوء إلى الأساليب الثورية فى انتزاع حقوقهم ثـم إن انتشار التعليم والثقافة يؤهل الكثيرين للانتماء إلى نوعيات من المعرفة ترفعهم فوق مسـتوى الطـبقة الـتى انبثقوا منها فى الأصل. فمجتمع المعلومات ينشئ عاملين صفتهم المميزة العمل العقلى بينما المجتمعات المتخلفة ما زالت تنتج عاملين صفتهم المميزة العمل العضـلى، وهكـذا تتـنوع وتتباين صفات العامل وشخصيته وتتباين توجهاته الاجتماعية والسياسية وتطلعاته الثقافية، ويصعب فى هذا الإطار الحديث عن طبقى عاملة واحدة ذات صـفات ممـيزة منسـجمة علـى صـعيد العالم مع ما بين العمال المعاصرين من فروق وتمايـزات، ومن الممكن أن يكون العامل اليابانى أو الأمريكى أكثر ثراء وقادراً على أن يعـيش فـى مسـتوى أرقى من الرأسمالى فى بلد أفريقى، ولذلك لم يعد من السهل تطبيق الشعار الشهير الذى ختم به ماركس وإيخار مؤلفهما الأشهر (البيان الشيوعى) الذى احتفل فى مايو ١٩٩٨ بمرور ١٥٠ عاماً على تأليفه (يا عمال العالم .. اتحدوا) (٢).

---

(١) رمـزى زكى : **وداعاً للطبقة الوسـطى** ، (القاهرة : دار المستقبل العربى ، ١٩٩٧) ، ص ص ٢٢ – ٣٨.

(٢) محمـد سيـد أحمـد : **عصـر المراجعات، ظاهرة الانتماء إلى أكثر من طبقة**، الأهرام، ٢٤/١١/١٩٩٨.

وقـد سـاعد أكـثر وأكثر على تعميق أزمة الفكر التنموى تراجع بعض المفكرين البارزيـن الذيـن قضـوا مرحلة كبيرة من عمرهم فى نقد الطريق الرأسمالى للتنمية عن معظـم ما كتبوا، فعلى سبيل المثال دافع البروفيسور الأمريكى ديفيد لاندز فى كتابه (ثروة الأمم وفقرها) عن فكرته الأساسية وهى أن الطريق إلى التقدم إنما يكمن فى متابعة الغرب فـى نهضـته ونمـوه وفى الاندماج فى النظام العالمى، ويضرب (لاندز) مثالاً على ذلك بالـبرازيل وبـأحد مفكـريها القدامـى (كاردوزو) الذى كان فى الماضى من كبار كتاب (مدرسـة التبعية)، وهى المدرسة التى دافعت دائماً عن فكرة أن تخلف بلدان العالم الثالث إنمـا يعود إلى تبعيتها للغرب وأن الطريق إلى تقدم هذه البلدان إنما يكمن فى الخروج من هـذه التبعـية، لكن كاردوزو غيرَّ موقفه الفكرى بعد ذلك فعين وزيراً للمالية فى البرازيل عـام ١٩٩٣ وبدأ ينادى أنه ليس للبرازيل خيار آخر غير الاندماج فى الاقتصاد الرأسمالى العـالمى إذ أنـه بـدون ذلـك لـن يكون لها طريق حقيقى للمنافسة وبعد سنتين انتخب (كـاردوزو) رئيسـاً للبرازيل فأعطى دولته- كما يقول لاندز - عملة قوية لسنوات طويلة وكـل ذلـك بسـبب تخلـيه عن أفكاره القديمة وبسبب سياسته الواقعية الجديدة. وما زال (كـاردوزو) رئيساً للبرازيل، لكن البرازيل تعانى من أزمة اقتصادية عاصفة تهدد أسواق المـال فـى العـالم كلـه وخصوصاً أسواق الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية، وبسـبب اندماجهـا الكـامل فـى الاقتصاد الرأسمالى العالمى اندفع المستثمرون الدوليون يهربون بـأموالهم إلـى خـارج الـبرازيل بمجـرد استشعارهم بوادر أول أزمة ثقة فى الاقتصاد البرازيلى حتى أنه فى يوم واحد هرب من البرازيل ١٢٠٠ مليون دولار أمريكى.

واضـطر كـاردوزو إلـى خفض قيمة العملة البرازيلية أولاً ٨% ثم أكثر من ذلك اضـطر إلى الذهاب إلى صندوق النقد الدولى يدق أبوابه بعنف طالباً حمايته بقرض يصل إلـى ٤٠ ملـيار دولار وبالطبع فرض الصندوق شروطه وأولها خفض الإنفاق الحكومى علـى التعليم والصحة ... الخ القصة المعروفة والتى طبقت فى إندونيسيا، وتايلاند وكوريا

الجنوبـية من قبل فأدت إلى الانهيار الكامل فى الخدمات الأساسية كالصحة والتعليم وإلى ارتفاع معدلات البطالة إلى أكثر من ٢٠% فى تلك النمور الآسيوية التى تحولت إلى قطط آسـيوية فى غمضة عين، ومثل إندونيسيا، بدأ تلاميذ المدارس فى البرازيل يتركون مقاعد الدراسـة بحثاً عن عمل وهكذا يتحقق للبرازيل طريق التقدم باتباع نصيحة لانذر بالاندماج الكامل فى الاقتصاد الرأسمالى العالمى باسم الواقعية الجديدة (١).

ورغم أن هذا المدخل لا يعنى بشـرح النظريات النقدية التى تفسر أوضاع النظـام الكونـى الرأسـمالى بالتفصـيل، فإنـه يجب القول أن معظم النظريات هى محاولات أو اجتهادات للتفسير لا تقدم بديلاً للنظام الكونى السائد. فنظرية الإمبريالية الجديدة لها أساس مـاركس أرثوذكسـى بالطبع هو أبعد ما يكون عن "إعادة التطبيق" فى المستقبل المنظور علـى الأقل، ونظرية التبعية التى تركز على مفهوم المركز والأطراف لم تقدم الكثير الذى يمكن تطبيقه بديلاً للعولمة.

وإذا نظـرنا للاجـتهادات الجديدة مثل نظرية النظام العالمى World System التى قـال بها إيمانويل والرشتين Wallerstein كانت المآخذ عليها كثيرة مثل تجاهلها للصراع الطـبقى، وتشـويه تـاريخ الرأسمالية ودورها فى التنمية، فضلاً عن المآخذ التى وصمت مدرسـة التبعية وهو صعوبة تعاملها مع مفاهيم التنمية والتصنيع والدول المهيمنة الجديدة، وقـد نحتت نظرية والرشتين مفهوم الدول شبه الطرفية أو Semi – Periphery لوصف الـدول الصناعية الآسيوية الجديدة NIC's أو New Industrialized Countries، وقد أوضـح نقـاد النظرية أن مفهوم الدول شبه الطرفية هو مفهوم مصطنع لوصف الحالات الـتى لا يمكـن أن تـلاءم ثنائية المركز – الأطراف لمدرسة التبعية، وفى محاولة لدرء المآخذ على هذه النظرية ظهرت نظرية التقسيم الدولـى الجـديد للعمل (NIDL) New International Division of Labour الـتـى طـورها فروبل (Fröbel) وآخرون،

---

(١) عبد العظيم أنيس: **الدفاع المجيد عن التبعية**، الجيل، ١٩٩٩/١/٢٤.

ويشـــارك فـــرويل والرشتين الفكرة القائلة بأن العمل وتقسيمه بين مراكز وأطراف وشبه أطـــراف جـــاء لتعظـــيم مصـــلحة الشركات متعددة الجنسيات وحل مشكلات المجتمعات الرأســـمالية الكـــبرى، ولكـــن نظرية تقسيم العمل فشلت فى إدراك العلاقة بين الممارسات الاقتصادية – السياسية – الثقافية عبر القومية.

ولعـــل الـــنظرية الجديـــدة التى تم تطويرها لتفسير الأحوال الاقتصادية – السياسية الكوكبـــية كان وضعها على يد مجموعة من البنيوين الفرنسيين (تايلور ومجموعته) والتى ركـــزت على العوامل الداخلية فى الدول النامية وأطلقوا عليها Modes of Production أو شـــكل تنظيمات الإنتاج، حيث يقولون أن التصنيع الرأسمالى هو المجال الوحيد للتنمية، وبعـــد ذلك تجئ الثورة الاشتراكية فى البلدان النامية، وفى هذه النظرية يكون الإنتاج عبر القومـــى هـــو المحفز الأساسى للثورة، فعلى حين يؤكد الماركسيون الجدد على أن القوى الـــثورية فـــى العـــالم الثالث لا تحتاج لانتظار رأسمالية على النمط الغربى لأحداث ثورة شـــيوعية، يـــبقى البنـــيويون الفرنسيون على الفكرة الأرثوذكسية الماركسية أنه لابد لطبقة العاملـــة مـــن أن تـــثور لتحطم الطبقة البرجوازية (راجع تبدل مفهوم الطبقة العاملة نفسها كمعوق أساسى للنظرية).

ويـــتفق هـــؤلاء مـــع مـــنظرى التبعية أن أزمة التنمية فى العالم الثالث هى نتيجة معوقـــات داخلـــية يجـــرى وضعها من الخارج للتصنيع الرأسمالى، ويقولون أن التصنيع الرأســـمالى يمكـــن أن يـــنجح فـــى بلـــدان العالم الثالث، وهو يتفقون مع المدافعين على الرأسمالية عابرة القومية والاندماج فى أن هذا هو الطريق الوحيد للتنمية وبالطبع يختلفون حـــول طبيعة ونتائج العملية برمتها .. وقد ارتأوا مراجعة الفكرة الرئيسية عبر البرجوازية الكمبرادورية لأنها لم تستطع تفسير كل أنماط إنتاج دول العالم الثالث فى السنوات الأخيرة وأطلقـــوا عليها اسم جديد هو البرجوازية الإدارية أو Managerial Bourgeoisie وهى مخـــتلفة عن مفهوم الطبقة الرأسمالية عابـــرة القومية TCC لأن البرجوازية الإدارية لها

مصـــالح قوية داخل بلدانها وربما تهادن حكوماتها من الداخل على حين أن الـــ TCC هى طبقة لحفظ الهيمنة وإعادة تشكيل الهيمنة الرأسمالية فى العالم الثانى والثالث [1].

وتشـــير هـــذه الـــنظريات كلها مشكلات عدة أهمها عدم قدرة أى من هذه النظريات الجديـــدة على نسخ القديمة، وكذا عدم قدرتها على رد الانتقادات بما جعل عدد من الكتاب يقولـــون أن الفكر التنموى النقدى فى أزمة حقيقية بينما يعرف المنتمون للطبقة الرأسمالية الكوكبـــية عابرة القومية – أو البرجوازية الإدارية أو أيا ما كان – هدفهم جيداً ويسيطرون بـــالفعل علـــى العالم .. واصفين نقاد العولمـــة بأنهم Inward – Oriented أو انغلاقيون تجـــاوز الزمن خطابهم أما من يرون المستقبـــل للعولمة فهم Outward – Oriented أو منفتحون على العصر ولغته.

(1) Leslie Sklair. **Sociology of the Global System.** (Baltimore: The Johns Hopkins University Press. 1991). pp. 26 – 44.

ثانياً : خطاب الشركات متعددة الجنسية :

تعتمد الشركات متعددة الجنسيات فى مرحلتها الكوكبية الراهنة منطلقاً فكرياً يمكن أن نطلق عليه الداروينية الاقتصادية أى للبقاء للأصلح الذى هو الأقوى والأسرع، يحقق هدفها فى ذلك مجموعة آليات هى الاندماج والتشبيك التى تساعد على حل تناقضات المصالح وتقلل من تضاربها بما يعنى أقل قدر من الخسائر للأطراف الأقوياء فى اللعبة الرأسمالية، بينما تستمر الآلية القديمة القائمة على المنافسة لإخراج الأضعف من السوق وتحطيمه لأخذ أسواقه، وتختار كل شركة ما يلائمها تبعاً للموقف الاقتصادى الذى ينطوى على عوامل شديدة التعقيد بدورها، ولكن يمكن أن نلخص الآلية التى تعمل بمقتضاها الشركات متعددة الجنسيات فى مرحلتها الكوكبية "إن لم تستطع إخراج خصمك من السوق، تحالف واندمج معه لتخرجوا آخر من السوق".

ولا نبالغ إذا قلنا أن الرأسمالية الكوكبية أصبحت "ديناً" جديداً قوياً وأعلى درجات الكهنة فيه هم الشركات متعددة الجنسيات.

إذ أنه بما يشهده العالم الآن من اندماجات وتحالفات كبرى تشكل آلية واضحة للشركات متعددة الجنسيات، فقد انتفت مقولة آدم سميث بأن يداً خفية Invisible Hand ستوجه تقدم الحضارة، ويكون كارل ماركس قد صدق فى شىء واحد فقط وهو أنه كان يشك فى طبيعة خيرة للجنس البشرى، ففى كتابه الشهير رأس المال Das Kapital وصف الرأسمالية بأنها عملية متطورة قاسية يصعب السيطرة عليها أو التحكم فيها، وأضاف أن عدداً من الشركات فى العالم سيزيد بقدر ما سيعترى الاقتصاد العالمى الأزمات، ومع كل أزمة ستجبر عدداً من الشركات على إعلان إفلاسها وستباع أصولها لشركات أخرى أكثر قدرة على البقاء، والتوجه نحو الأعمال الكبيرة Big Business بالتالى هو جزء لا يتجزأ من بناء الرأسمالية، وسيقتل رأسمالى واحد جميع الباقين ولدى الرأسماليين كما يقول – لينارد سيلك – قدرة على الاحتفاء بالكفاءة والابتكارية التى تخدم

الســـوق بينما فى الأغلب يتم تجاهل الصفات الجمالية والثقافية والأخلاقية اللازمة لمجتمع صـــالح، هناك – مرة أخرى – عدد من الأدلة التى تؤيد نبوءة ماركس بأن العالم سيهيمن عليه عمالقة اقتصاديين كبار [١].

فاقتصـــاديات الشـــركات العملاقـــة أكبر من اقتصاديات أغلب دول العالم فمن بين ٢١٣ دولـــة فـــى العـــالم، توجد ثمانية دول فقط يتعدى الناتج المحلى الإجمالى لها أصول البنوك الكبرى فى العالم، وهى الولايات المتحدة، اليابان، الاتحاد السوفيتى السابق، فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، بريطانيا، كندا، وقد خرج الاتحاد السوفيتى بالطبع من الثمانية بعد انهياره، فعلـــى ســـبيل المثال فإن أصول بنك (Dai-Ichi Kangyo) فى عام ١٩٨٩ هى ٣٥٨,٢ بلـــيون دولار بيـــنما أصـــغر دول فـــى الثمانية وهى كندا الناتج المحلى الإجمالى لها هو ٣٦٣,٦ بلـــيون دولار، وشـــركة جنرال موتورز على سبيل المثال تتعدى عائداتها (١١٠ بليون دولار) أى أكثر من عائدات ١٩١ دولة أو حوالى ٩٠% من دول العالم.

وقـــد كان لابد من وضع نوع ما من تنظيم الأعمال بين هذه الدول، فبعد تعاظم نمو الشـــركات متعددة الجنسيات كانت أول محاولة لوضع معايير لسياسة دولية واحدة تجاهها فـــى أواخـــر الأربعينـــات بإنشاء الغرفة الدولية للتجارة International Chamber of Commerce (ICC) وهـــى مؤسسة مكونة من عدد من المستثمرين الكبار فى الشركات متعددة الجنسيات الذين توصلوا إلى ميثاق دولى للتعامل النزيه فى مجال التجارة الخارجية تضم توصيات لكل من الشركات متعددة الجنسيات والحكومات التى تتعامل معها "ولم يكن لهـــذا الميثاق جهة تنفيذ أو محاسبة إذا تم خرقه، ولكن كان خطوة هامة لأنه طور الحوار بيـــن الحكومـــات والشركات فى مجالات الملكية والإدارة والتمويل والعمالة والتكنولوجيا والسياسات التجارية، وبعد ذلك – فى الثمانينيات – طور الحوار بشأن الإعلان والبحوث

(1) Janet Lowe: **The Secret Empire: How 25 Multi-nationals Rule the World.** (Illinois, Business One Irwin, 1992), pp. 4, 5.

التســويقية، ترويج المبيعات، حماية البيئة والرشوة واستغلال النفوذ، وكل هذه التوصيات كانت اختيارية وليست إجبارية.

والنوع الثانى من التنظيم الدولى جاء بعــد إنشاء (منظمة التعاون الدولى للتنمية)

OECD كــتطوير لمنظمة التعاون الاقتصادى الأوروبى OEEC والتى تم إنشاؤها أساساً لإدارة مشــروع مارشال لإعمار أوربا بعد الحرب العالمية الثانية وبعد ذلك تم دخول كندا والولايــات المــتحدة واســتراليا ونيوزيلندا واليابان، وأصبحت منتدى دولى لإدارة شئون العــالم الاقتصـــادية وبمرور الوقت انقسمت إلى الاتحاد الأوروبى ومجموعة السبعة G٧ لـــتكون متداخلة أكثر مع عدد من المنتديات الأخرى مثل الأونكتاد UNCTAD أو مؤتمر الأمـــم المتحدة للتجارة والتنمية، ثم اتفاقية الجات التى تلاها إنشاء منظمة التجارة العالمية، وصـــندوق الـــنقد الدولـــى لمناقشة القضايا الاقتصادية المختلفة لاسيما بعد انهيار الاتحاد السوفيتى السابق.

ورغـــم أن محاولـــة أعضاء منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية (OECD) لوضع مجموعـــة مـــن القواعد تنظم العلاقة بين الشركات متعددة الجنسيات والحكومات الوطنية ســـواء بلـــد المنشـــأ أو بـــلاد الفروع كان لها بعض الفوائد، فإن كون القاعدة اختيارية قد صـــعب مـــن تطبـــيق بعضها مثل الإفصاح عن المعلومات ودفع الضرائب وذلك لدوافع تنافسية (١).

وفيما يتعلق بالداروينية الاقتصادية، فلننظـــر لخطـــاب فيليب كوتلر Kotler فيما يتعلق بالصناعة الكوكبية والاقتصاد الكونى، وهو أحد المراجع العالمية فى مجال التسويق فهـــو أســـتاذ التســـويق الدولـــى بكلية كيلوج Kellogg للدراسات العليا بجامعة (نورث

(1) Lee E. Preston & Diane Windsor. **The Rules of the Game in the Global Economy: Policy Regimes for International Business** (Boston: Kluwar Academic Publishers. 1992). pp. 76 – 79.

وسيترن) وخريج ومحاضر في هارفارد، وعمل عميداً لكلية التسويق بمعهد العلوم الإدارية (TIMS) ومدير الجمعية الأمريكية للتسويق ومدير مجموعة (MAC) التجارية، ومستشار AT & T، Bank of America، Ford، General Electric، IBM، Marriott وكاتب فى (هافارد بيزنس ريفيو)، Journal of Marketing و Futurist.

يعرف كوتلر Kotler الصناعة الكوكبية Global Industry على أنها هى الصناعة التى تتأثر فيها أوضاع المتنافسين الاستراتيجية فى الأسواق الوطنية أو الإقليمية بأوضاعهم الكوكبية العامة، والشركة الكوكبية A Global Firm هى الشركة التى تعمل فى أكثر من بلد وتستحوذ على ميزات إنتاجية لوجستية وتسويقية ومالية فى تكلفتها وسمعتها التى لا تتحقق للمنافسين المحليين الخالصين.

والشركات الكوكبية تخطط وتعمل وتنسق أنشطتها على نطاق كونى، فعلى سبيل المثال: يتم تصنيع هيكل الشاحنة (فورد) فى أوربا والشاسية فى أمريكا الشمالية، ويتم تجميعها فى البرازيل تباع فى الولايات المتحدة. وبالنسبة للمصاعد (أوتيس) تصنع الأبواب فى فرنسا والتروس فى أسبانيا والإلكترونيات فى ألمانيا، والموتورات الخاصة من اليابان ويتم استيراد الخبرة الأمريكية لتكامل النظام. ولا تحتاج الشركة لأن تكون كبيرة كى تبيع على نطاق كونى، ولكن الشركات الصغيرة ومتوسطة الحجم يمكن أن تمارس نوعاً من التكامل مثل الشركات الاسكندنافية [1].

وهناك عوامل تجعل أى شركة تتجه للسوق العالمية :

١- الشركات الكوكبية تقدم منتجات أفضل بسعر أرخص يمكن أن "تهاجم" السوق المحلية لشركة ما. ولكن هذه الشركة ستريد رد الهجوم على منافسيها فى أسواقهم لتقلص حجم عائداتهم.

(1) Philip Kotler: **Marketing management: Analysis Planning, Implementation and Control** (New Jersy, Prentice Hall, 1997), pp. 403 - 405.

٢- يمكن أن تكتشف الشركة أن بعض الأسواق الأجنبية تقدم فوائد أكثر من السوق المحلى.

٣- ربما تحتاج الشركة لقاعدة مستهلكين أكبر لتحقيق الحجم الاقتصادى للمشروع.

٤- ربما تريد الشركة تقليل حجم اعتمادها على سوق واحد لتقليل المخاطرة.

٥- مستهلكو منتجات الشركة ربما سيذهبون للخارج ويطلبون خدمات دولية.

ويجـــرى هـــذا الفرز الاقتصادى فى إطار الاندماج والتداخل والتشبيك فيرى لوى Lowe على سبيل المثال أن هناك ٣ طرق تنمو بها هذه الشركات :

١ ــ بالوســـائل الداخلــية مثل الدخول فى سوق جديدة، وتطوير منتجات جديدة من خلال البحوث.

٢ ــ بحـــيازة أصـــول إضافية مثل شركات بأكملها، أجزاء من شركات أو ممتلكات ذات عوائد.

٣ ــ بالدخول فى مشروعات مشتركة وهى مزج بين الطريقتين الأوليين [١].

ويضـــيف جـــيلورى Gilory أن ظاهرة الشركات متعددة الجنسيات لم تعد ظاهرة بســـيطة كمـــا كانت فى السبعينيات والثمانينيات على أنها تمركز فروع منها خارج حدود دولـــة المنشـــأ بـــل تعدى ذلك لأنواع جديدة من التنظيم الإدارى وتقسيم العمل .. فلم تعد الشـــركة أصل وفروع .. ولكن شبكة ليس لأى نقطة منها ميزة عن الأخرى سوى بكفاءة أساليب الإنتاج والتوزيع والتسويق.

والأمـــم الـــتى خاضـــت حربين عالميتين داميتين وجدت أنه من الأفضل كما حلت متناقضـــاتها علـــى المستوى السياسى أن تحل أيضاً متناقضاتها على المستوى الاقتصادى

(1) Janet Lowe: **Op. Cit.**. p. 53.

وأن تـتعاون بـدلاً من أن تتنافس وعلى ذلك يجب ألا تدهشنا البيانات التالية للاندماجات والتشبيكات للشركات متعددة الجنسيات الكبرى :

- جنرال موتورز – تويوتا – هيتاشي – اسوزو – سوزوكي – دايو.
- كرايزلر – ميتسوبيشي.
- فورد – مازدا – نيسان – فولكس فاجن.
- ديملر بنز – كرايزلر.
- فولفو – رينو.
- جنرال إلكتريك – سامسونج – (SNECMA) الفرنسية.
- AT&T، أوليفتي،NEC، ميتسوبيشي.
- كونيج – سيبا – جايجي.
- فوجي – زيروكس.
- نيوبون – أوتيس.
- هانويل – إريكسون.
- سيمنس – IBM.
- تكساس – هيتاشي.
- كانون – كوداك إيستمان .
- تومسون – JVC – سيمنس.
- موتورولا – توشيبا.

وعلى ذلك فإن شركات عالمنا المعاصر إما شركات مندمجة أو شركات على شكل شـبكات، والشبكات هى بنية صناعية – إدارية – استراتيجية مؤسسة على تشكيل علاقات طويلة الأجل بين الشركات Intra – Enterprise، وعلى مستوى الشركات كلها Inter – Enterprise الـتى تدعـم الأصـول الثابتة والعائدات المتحولة على حد سواء فى شكل تنافسى عالى المستوى بين الأقطاب الكبرى.

فـإذا نجحـت شركة ما فى خلق حلفاء استراتيجيين من بين الموردين الأكثر كفاءة للخدمـات والسلع الوسيطة حتى نهاية سلسلة الإنتاج، ونجحت أيضاً فى تعيين مدراء أكفاء يحققـون لهـا ميزات تنافسية اقتصادية استراتيجية فإن ذلك يجعل عمل الشركات متعددة الجنسيات مزدهراً، والهدف من نظام التشبيك هذا هو تعظيم الأرباح للجميع.

وإن كانـت العولمـة تـتعامل مع طبقة رأسمالية عابرة للقومية – كما أسميناها – لـتجعلها طبقة سائدة، فإن التحقق الفردى المحفز لجهودهم يبقى الدافع الأساسى فالمديرين اليابانييـن فـى شركة (تويوتا) يضعون أمام عامليهم شعار (Beat Benz) وهو ما جعل السـيارات اليابانية تغزو الأسواق الأمريكية أكثر من مرسيدس، وكذلك قامت شركة فورد الأمريكـية بعرض شريط فيديو لعمالها يوضح عمل خط تجميع مازدا لحفزهم على التفوق علـيهم، وكذلـك فـإن من المألوف أن يرفع المديرون التنفيذيون شعارات لها دلالة باللغة لوصـف تكتيكات تسويقية بعينها مثل شعار Shot – in – the – Dark أو رصاصة فى الظلام، وباغت الشركة المنافسة فى آخر مكان تتوقعك أن تتوسع فيه [1].

ولحمايـة الـذات الجماعـية الطبقـية فـى مواجهة النقاد المثاليين أو الأخلاقيين للرأسـمالية، يـرى روبرت هيلبرونر أن ما يفرق المجتمع الرأسمالى عن بقية المجتمعات الأخـرى هـو سيطرة السوق على المجتمع الرأسمالى فى مقابل سيطرة التراث وإصدار

(1) Percy Barnevik. **Global Strategies: Insights from the World's Leading thinkers** (Boston: A Harvard Business Review Book. 1994). pp. 5 – 10.

الأوامـــر على المجتمعات الأخرى البدائية أو غير الرأسمالية، فالسمة الأساسية للرأسمالية لـــيس نزوعها غير العادى للتغيير الذاتى فحسب، بل السعى وراء رأس المال الذى يحقق بعضـــاً من الأهداف اللاشعورية مثلما فعل المجد العسكرى والجلال الشخصى فى عصور سابقة (١).

● ● ●

ثالثاً: البيروقراطيات الاقتصادية الكوكبية :

لا يمكـــن للعملـــية الكوكبـــية الاقتصـــادية أن تتم بدون مجموعة من المنظمات أو الهيئات الدولية التى تقلل أو تحاول أن تقلل من الظروف الاقتصادية المتردية التى يعيشها مـــن هـــم خـــارج الطبقة الرأسمالية عابرة القومية TCC والطامحين إلى التعلق بها للفوز بنصـــيب مـــن كعكـــة العولمة أو الاستياء الناجم عن إدراكهم مدى فداحة التفاوت بين من يملكـــون ومـــن لا يملكون عن طريق تأسيس خطاب يتكامل مع خطاب الشركات متعددة الجنســـيات فى إقناع المهمشين خارج العولمة بأن آلياتها ومنطلقاتها الفكرية هى الأصوب لتحقيق التنمية وبالتالى كفالة وضع اقتصادى أفضل لفقراء العالم.

فـــلا يمكـــن أن تـــتم هـــذه العملية الكوكبية إلا فى ظل اتفاقيات بين الدول "لتحرير الـــتجارة"، ذلـــك لأن المعارضة السياسية الداخلية عادة تمنع الدول من رفع القيود الداخلية مـــن طرف واحد، إذ تكافح القوى غير الكوكبية لحفظ مصالحها لذا فإن الإصلاح التجارى يقتضى تحريك المصالح قبل التجارية Pre-Trade Interest والاقتصاد السياسى لتحرير الـــتجارة لا يمكـــن أن يتأسس على دول منفردة متناثرة بل يجب أن يواكبه تحرير موازى فى معظم الدول النامية.

والوسيلة الأكـــبر فاعليـــة لتحقيق هذا العمل المتوازى هو التأكيد على التبادلية من

---

(١) روبرت هيلبرونر: **رأسمالية القرن ٢١**، مرجع سابق، ص ٣٥.

خـلال الـتفاوض حـول اتفاقات داخلية للأسواق المتواجدة أو المحتملة والمدخل الكونى أفضل من التجمعات الإقليمية لتعظيم عدد الأسواق الخارجية وأرباحها [1].

وقـد اسـتخدمت العملية الاقتصادية الكوكبية بيروقراطيات اقتصادية كونية كبرى تأسسـت قبل تسارع إيقاع العولمة مثل البنك الدولى وصندوق النقد الدولى، كما استحدثت بيروقراطـية حديـثة هـى منظمة التجارة العالمية التى كانت مرحلة تالية للاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (الجات).

ولذلـك فـإن المؤلـف سيحاول أن يرصد خطاب هذه البيروقراطيات الاقتصادية الكوكبـية الكـبرى كونها أحد أهم الفاعلين فى شئون العالم النامى وداخله الدول الإسلامية من جهة، وكذا كون خطابها جزء لا يتجزأ من خطاب العولمة الاقتصادى الأرثوذكسى.

١ – البنك الدولى :

البـنك الدولى هو أكبر مصدر لدعم التنمية فى العالم، مقدماً ما يقرب من ٣٠ مليار دولار قروضـاً سـنوية للـدول المتعاملة معه. ويستخدم البنك موارده التمويلية ، وطاقمه عـالى التدريـب، وقـاعدة بياناته لمساعدة كل دولة نامية نحو تأسيس قاعدة تنموية قوية ومسـتمرة وعادلة. ونقطة تركيزه الرئيسية هى مساعدة الدول الأفقر ولكن البنك يؤكد لكل المتعاملين معه الحاجة إلى :

- الاستثمار فى البشر تحديداً : الصحة الأساسية والتعليم.
- حماية البيئة.
- دعم وتنمية استثمارات القطاع الخاص.
- دعم قدرة الحكومات على تقديم خدمات عالية الجودة بشكل فعال وشفاف (دون فساد).

---

(1) Fred Bregsten, **Globalizing Free Trade,** Foreign Affairs, Vol. 75. No. 3. May – June 1996, pp. 105 – 126.

- تقديم نماذج إصلاحية لإنشاء بيئة اقتصادية كلية قوية، من خلال تخطيط طويل الأجل.
- التركـــيز على التنمية الاجتماعية، والاستيعاب Inclusion، والسيطرة وبناء المؤسسات كعناصر أساسية لتقليل الفقر.

وإذا حاولـــنا قـــراءة خطاب البنك الدولى فى التسعينيات تستوقفنا الصفحة الرئيسية لموقـــع البـــنك الدولى على الإنترنت، حيث تكشف النصوص الواردة بالصفحة عن الفكرة التى يتمحور حولها خطاب البنك الدولى وهى (العولمة).

تقـــول أحد الفقرات: "بدخول البنك الدولى القرن الحادى والعشرين، فإنه ليس هناك مجـــال للـــيأس أو الرضـــا عن النفس للدول التى نهضت من كبوتها الاقتصادية، فالجزء الأسوأ من مشكلاتها مضى وما يتوقع منها أكثر وعداً، فالنجاح بالنسبة للعالم النامى يعتمد فـــى جـــزء مـــنه على تقدم الولايات المتحدة وأوربا واليابان، ومن المهم أن تكون الدول النامـــية قـــادرة علـــى وضع السياسات والإصلاحات الهيكلية التى تقدم القاعدة لنمو قوى، وســـيكون على هذه الدول تعظيم فرص العولمة فى الوقت الذى يجب فيه إدارة مخاطرها. ومـــن ســـيعجز عـــن اللحاق بقطار العـ لمة ويعدل من أوضاعه الاقتصادية سيسقط أكثر وأكثر فى الهوة التى ستزداد اتساعاً بين الفقراء والأغنياء.

" وبوعـــى بالتحديات التى تواجه الدول النامية، فإن البنك الدولى سيساعد هذه الدول علـــى الوصـــول لمـــنظور أكـــثر تكاملاً لمهمتها التنموية وهذا هو هدف (شبكة التنمية المتكاملة) أو CDF وتدعو هذه الشبكة إلـــى خطة تنموية تصنعها الدولة نفسها بالتركيز علـــى النـــتائج طويلـــة المدى وتدعم الشبكة أيضاً شراكة بين الحكومات والمجتمع المدنى والقطاع الخاص وكل الفاعلين فى مجال التنمية وهذه الخطة له ثلاث محاور :

- **هيكلى** : متمثل فى الإدارة الجيدة والحكومة النظيفة، نظام قضائى فعال، نظام مالى جيد التنظيم، شبكة أمان اقتصادى، وبرامج اجتماعية.

- **مادى** : يتمثل فى البينة الأساسية من مياه وصرف صحى، طاقة، طرق جيدة.
- **استراتيجى** : لتطوير القطاعات الريفية والحضرية والخاصة [1].

وتكشف هــذه النصوص عن تقاطعات كبــيرة مــع النصوص الســالفة للشركات

عابــرة القومية فى التركيز على الأعمال عابرة القومية وضرورة توفير إدارة جيدة وحكومــات خالــية مــن الفساد فضلاً عن تكامل بعض نصوص خطاب البنك الدولى فى توفير بنية أساسية جيدة خاصة فى الاتصالات لخلق بيئة جيدة للأعمال.

ومــا يعرضــه موقــع البنك الدولى على الإنترنت من معلومات عنه يتضمن ما أنجــزه البنك طوال السنوات الماضية فى الدول النامية مثل زيادة متوسط العمر فى البلاد الناميــة مــن ٥٥ ســنة إلــى ٦٥ ســنة، وتضاعف الدخل الفردى، وزيادة نسبة الأطفال المداومــون علــى الدراسة من ٥٠% إلى أكثر من ٧٥% وتناقص وفيات الأطفال بمقدار ٥٠%، وهــى بــيانات فى غاية التبسيط لا تأخذ فى الاعتبار زيادة التضخم الذى جعل من تضــاعف الدخل الفردى إنجازاً لا معنى له، وكذا تجاهل جودة الخدمة التعليمية فى مقابل التركــيز على كم المداومون على المدارس، ولكن البنك لا يغفل التحديات التنموية الكبيرة الــتى تواجــه ٤,٧ مليار نسمة فى ١٠٠ دولة تتعامل مع البنك وهى أن ٣ مليار يعيشون علــى اقــل من ٢ دولار يومياً، و ١,٣ مليار يعيشون على أقل من دولار يومياً، وكذا أن ٤٠ ألفــاً يموتــون سنوياً من جراء أمراض يمكن منعها، فضلاً عن أن هناك ١٣٠ مليوناً ليس لديهم فرصة للذهاب لمدرسة، و ١,٣ مليار ليس لديهم ماء نظيف ليشربونه.

يملــك البنك الدولى ١٨٠ دولة يقدم رؤاها ومصالحها مجلس المحافظين ومجلس المديريــن ومقرها واشنطن، وبشكل تقليدى فإن رئيس البنك الدولى هو – بحكم العادة –

(1) The World Bank Group @ http://www.worldbank.org/html/extdr/about.

ينتمى لأكبر دولة مساهمة وهى الولايات المتحدة، ينتخب لمدة ٥ أعوام قابلة للتجديد، وهو يرأس اجتماعات المدراء التنفيذيين، ويقرر مسئولية إدارة البنك الدولى [1].

وفيما يتعلق بعمليات الاندماج والتشبيك يرى البنك أن :

الأسـواق العالمية تتسارع فى الاندماج جميعاً فى سوق واحدة كونية وبدون استعداد وجـدت الدول النامية نفسها تبدأ من نقاط مختلفة وتتحرك بسرعات متفاوتة فى الانجذاب إلـى هذه العملية. وإذا كانت لديها مؤسسات كافية وسياسات مؤثرة يمكن أن تعبر الطريق بسـهولة إلـى الاندماج المالى وتتحصل على فوائده. ولكن معظم الدول النامية تفتقر إلى أساسـيات هذه المرحلة السهلة. والبعض سيكون فاقد الاسـتعداد لدرجة أنه سيخسر أكثر ممـا سيكسب من الاندماج المالى .. والدول النامية لها خيارات قليلة فى اتباع هذا الطريق لأن التطورات فى مجال الاتصالات وتطورات مجال التنمية جعلت سلوك الطريق حتمى، ولكـن يمكـنها أن تقـرر كـيف ستسـافر على هذا الطريق باختيار السياسات التى تفيد اقتصادها وتتجنب الصدمات المحتملة.

عملـية الاندماج المالى مازالت فى طى الغيب / لم تفض مغاليقها. وسيكون طريق التغيـير سـريعاً بالنسبة للدول النامية ليعطيها أسواق مالية محمية .. وبشكل أساسى حتى فـى الاقتصادات الأكثر تنظيماً، فإن التعقيد الاقتصادى سيعنى أن الاندماج المالى سيكون لـيس من اختيار الحكومات، الأسواق ستختار بدلاً عنهم. وتحت تأثير هذه العملية سيتدفق رأس المـال الخـاص بسـرعة وازدهار ليس فقط من الدول الصناعية إلى الدول النامية وكيف بشكل متسارع بين دول النامية نفسها ومن الدول النامية للدول الصناعية.

وقواعـد تحريـر الـتجارة سيزيد من جاذبية الدولة ومصداقيتها لدى المستثمرين الأجانـب، وسيشجع تدفق رؤوس الأموال المستقرة فى البلاد بدلاً من العاجلة البسيطة ..

(1) The World Bank Group: **Op. Cit.**

وهــذه الظروف السابقة على الانتقال ستجعل استعمال رؤوس المال جيداً، وسيحدد ما إذا كـان فـي مقدور الدولة الإفادة من الاندماج المالى وتفادى مخاطره، وستزداد قدرتها على استيعاب ما يحدث فى سوق رؤوس المال من صدمات وتغيرات سريعة غير متوقعة[1].

ونسـتطيع أن نحلـل أيضاً نصاً آخر دالاً على سياسـة البنك الدولى وهو خطاب رئيس مجموعة البنك الدولى فى سياتل بولاية واشنطن فى ٣٠ نوفمبر ١٩٩٩ عندما دعاه مايـك مـور Mike Moore مديـر المنظمة العالمية للتجارة WTO، فقد بدأ ولفنسون خطابه قائلاً:

"I share ... that this must be "one family", where every one has a seat at the table"

« إن البنك الدولى ومنظمة التجارة العالمية هى أسرة واحدة وأريد أن أتكلم بالنيابة عـن أعضـاء الأسرة الذين لم يكونوا أول من يتكلم ولكن أول من يسمع فى هذا المنتدى وهم الدول الفقيرة ».

يُظهر خطاب رئيس البنك الدولى تعاطفاً مع الدول النامية وحقها فى فرص تنافسية كبـيرة مقارنـة بالدول المتقدمة التى قد تعانى من صعوبات ولكن ذلك فى صالح الجميع على المدى الطويل وخاصة فى مجالات الزراعة والإنشاءات والمنسوجات.

وقـال أن أجندة التجارة لا يمكن أن تناقش بمعزل عن بقية القضايا ولكن يجب أن يـنظر لها فى إطار قضية التنمية والتوازن بين المبادرات القومية والدولية والتجارة على أنها جزء من شراكة تضمن مستقبلاً أفضل لأطفال العالم.

وحـدد رئـيس البنك الدولى عدة نقاط للتحرك والعمل تؤدى وظيفة الخطاب الذى يعكس سلطة سماح أو منع:

(1) The World Bank Group: **Private Capital Flows Developing Countries: The Road to Financial Integration,** @ http://www.worldbank.org/html/extpb/pcf/pcfeng.htm

- يجـب أن نسمح باتساع السوق لكل صادرات الدول النامية، لأن المصدرين يواجهون عوائق تمثل أربعة أضعاف ما يلاقيه مصدرين الدول المتقدمة وهذه العوائق أعلى فى الـتجارة البينية بين الدول النامية وهو ما يؤثر سلبياً على التجارة من الجنوب للشمال والجـنوب - جـنوب وأول خطـوة هى اتباع الخطوة الأولى التى قالها (مايك مور) رئـيس مـنظمة التجارة العالمية وهى التحرير الكامل لدخول صادرات الـ ٤٨ دولة الأقل فى الدول النامية ويدخل فى ذلك خاصة الدول الفقيرة المثقلة بالديون Heavily Indebted Poor Countries (HIPC).
- يجـب وبسـرعة أن نقلل من حماية الزراعة فى الدول ذات المدخولات العالية، لأن التوسـع التجارى فى مجال الزراعة أكثر من مجالات المصنوعات هو ما سبب نقصاً فـى مـوارد الـدول الفقيرة من الزراعة بمقدار ٢٠ مليار دولار فى العام بعد دورة أورجواى .. وهو ما أضر بالمصدرين فى الدول النامية وبمستهلكى الدول المتقدمة.
- يجـب أن نتعاون لدعم الدول الأفقر للمشاركة فى مفاوضات التجارة العالمية .. ليس فقـط للجلوس ولكن للتصويت وسماع رأيها. بعض الدول النـامية لها من الإمكانات مـا يؤهلهـا للمشاركة ولكن البعض الآخر لا يملك تلك لإمكانات .. والبعض الآخر غـير موجود فى جنيف .. والبعض يفتقد للخبرة المحلية اللازمة للمشاركة الفعالة فى المناقشات.
- يجب أن نجعل تحرير التجارة فعالاً للفقراء، ومعرفتنا مازالت محدودة بالتأثير العملى للـنماذج المختلفة لتحرير التجارة .. يجب أن نركز اهتمامنا لمعرفة الروابط بين الفقر والتجارة .. وهذه منطقة سيكون البنك سعيد بالتعاون مع IMF, WTO فيها [1].

ونلاحظ الآتى على هذا الخطاب :

---

(1) James Wolfenson: **Global Trade and the "Development Round": Seizing the Day** @ http://www.worldbank.org/html/extpb/global trade.

١- إنـــه خطاب سلطوى يعكس قوة جهة تملك السماح أو المنع بعد أن ارتأت أن الطريق الكونى للتنمية هو طريق حتمى لابد من اتباعه ومن هنا تنبع أصولية خطاب العولمة.

٢- يظهر التحالف فى التوجهات النظرية بين البنك الدولى ومنظمة التجارة العالمية.

وفى كلمة ولفنسون أمام محافظى البنك الدولى فى هونج كونج عام ١٩٩٧ يرتكز فكر التنمية الذى يطرحه رئيس البنك الدولى على أربعة أعمدة:

- يجـــب أن تكـــون حكومـــات وشعوب البلدان النامية فى موقع السيطرة، تمارس حق الاختـــيار وتحـــدد أهدافهـــا لأنفســـها فالتنمية تتطلب قدراً هائلاً من الإرادة السياسية المســـتمرة فيما لا يمكن السماح بفرضها من الخارج .. ولذا لا يمكن أن تكون مدفوعة من الجهات والبلدان المانحة.
- يجـــب أن تكـــون شـــركاتنا متســـاندة، أي أن تشـــترك فيها الهيئات الثنائية والمتعددة الأطـــراف والأمـــم المـــتحدة والاتحاد الأوروبى والمنظمات الإقليمية ومنظمة التجارة العالمـــية والمـــنظمات العمالية والمنظمات غير الحكومية والمؤسسات الوقفية والقطاع الخاص، ومع قيام كل منا بدور يتمشى مع قوته النسبية يمكننا زيادة أثر جهود التنمية برمتها.
- يجـــب أن نعرض مساعدتنا على كافة البلدان التى تحتاج إليها، ولكن يجب أن نتوخى الانتقائـــية فـــى كيفية استخدام مواردنا، فلا مفر من مواجهة الحقيقة التى لا سبيل إلى إنكارهـــا: ســـيتم انتشال عدد أكبر من الناس من براثن الفقر إذا ركزنا مساعداتنا على الـــبلدان الـــتى تتبع سياسات جيدة أكثر منا لو خصصنا هذه المساعدات بغض النظر عن السياسات المتبعة.

واســـتدرك وقال « أريد أن أكون واضحاً تماماً بشـــأن هذه النقطة، إننى لا أناصر نظـــرية داروينية للتنمية بحيث ننبذ غير الصالح على جانب الطريق بل العكس تماماً عن

هدفنا هو مساعدة الصالح ومساعدة غير الصالح على أن يصبح صالحاً. المسألة كلها تتعلق بالإشراك »[١].

ومن العبارات السابقة لرئيس البنك الدولي نستخلص أن هذا الخطاب :

١- يمثل ذروة الخطاب الأرثوذكسي للعولمة حيث أن هذه الهيئات المذكورة سلفاً هي التي خولت لنفسها تبيان "الصالح" من غير "الصالح" .. وهي تقنع من لا يريد أخذ الروشتة بأن يأخذ الدواء كي يصح ويصبح قادراً على تلقي مساعدات ومعونات أكثر.

٢- والإرادة السياسية التي يتكلم عنها وولفنسون هي الإرادة "التابعة" التي يجب أن تقتنع بوجهة نظر اللاعبين الكبار في مجال الاندماج مع السوق العولمي "حيث أن معظم شعوب هؤلاء الحكام أمية لا تفرق بين العولمة والاندماج وبين أي خيار آخر.

ويقدم البنك الدولي ما اصطلح على تسميته الروشتة الاقتصادية لمعالجة الأوضاع الاقتصادية المتردية في الدول النامية.

فالطريق إلى تعديل المسار الاقتصادي في أفريقيا يشمل ٣ خطوات يجب أن تأخذها الحكومات الأفريقية :

– إصلاح سياسات الاقتصاد الكلي :

إصلاح الميزانيات الحكومية وتقليل عجزها يساعد في التحكم في التضخم والاحتفاظ بسعر صرف حقيقي يعود بالنفع على قدرة تنافسية دولية عالية وتحويلات العملة.

---

(١) جيمس د. وولفنسون: **تحدي الإشراك، كلمة موجهة إلى مجلس محافظي البنك الدولي**، هونج كونج، الصين، ٢٣/١١/١٩٩٧.

@ http://www.worldbanl.org/html/extdr/am97.htm

- **تشجيع المنافسة :**

المنافسة تعنى إنتاجية عالية، والشركات التى تجبر على المنافسة، لها فعالية عالية أكثر من الشركات الحكومية التى تحتكر التعامل الخارجى، والمنافسة الأفريقية تعتمد على إعادة الهيكلة المحلية، وتعديل المسار التجارى بالخصخصة.

- **استخدام القدرة المؤسسية المحدودة بحكمة :**

لأن معظم الدول الأفريقية لها قدرة محدودة على السيطرة والتنظيم فإن أولوية كبرى هى أن تقلل هذه الحكومة من تدخلها غير الضرورى فى الأسواق، وهيئات التسويق لابد أن تلغى، والمؤسسات العامة تخصخص وتقييدات الواردات تستبدل بالتعريفات.

وينحو البنك الدولى باللائمة على الدول الأفريقية فى السياسات التى تنتهجها وتسبب الفقر :

١- **أسعار الصرف المبالغ فيها** : وجود أسواق غير رسمية، وأسواق موازية لتبادل سعر الصرف التى - فى الدول التى تتمتع بأسعار صرف مرنة - ترفع من سعر الصرف الحقيقى.

٢- **الإسراف الحكومى العالى** : فالسياسة المالية تقتضى عجز صغير فى الميزانية وإسراف حكومى صغير والدول الأفريقية جنوب الصحراء لا تمتلك ذلك.

٣- **استخدام التعريفات والجمارك**: يمثل أحد مظاهر العجز لدى الدول الأفريقية.

٤- **عدم الاستقرار السياسى**: فالاستقرار السياسى والاجتماعى مرتبط بمعدلات عالية من النمو.

٥- نقــص الاستثمار في البشر: بزيادة الأمية وعدم انتظام الأطفال في المدارس وتدهور الأوضاع التعليمية للمرأة [١].

وهــي نفــس الأجندة التي سبق أن طرحتها الشركات متعددة الجنسيات في خطابها الناقد للدول النامية للإسراع بفتح أبوابها لعمليات الاندماج والتشبيك الكوكبية.

ولمــا كانت قضية السكان أحد شواغل التنمية الرئيسية للبنك الدولي منذ إنشائه فقد تطور خطابه ليلائم مرحلة العولمة الجديدة ويقدم أجندته الخاصة حيال الزيادة السكانية في البلدان الفقيرة :

- تقليل النمو السكاني مازال أولوية هامة في الدول الأفقر. فمعدلات المواليد العالية، وعدد الســكان العــالمي الــذي مازال أغلبهم في سن صغيرة يجعل من الصعوبة تقليل الفقر، والاستثمار في البشر ومتابعة تنمية اقتصادية متواصلة.
- يجــب أن يــتم التركــيز على صحة الأطفال، تعليم البنات وتحسين أحوال المرأة.. وقد أثبتــت الخــبرات التــنموية أن هــذه الطريقة هي الأصلح لتقليل عدد المواليد بدلاً من السياسات المعتمدة فقط على تقليل الخصوبة.
- لابــد وأن تركز البرامج السكانية على مد الفقراء بالخدمات عالية الكفاءة والموجهة نحو المستخــدم User – Oriented التي توفر مجالاً من الفرص للتحكم فــي الخصوبــة وجميع الاحتياجات الصحية الأخرى.
- الإعلاء من شأن الاستراتيجيات الموجهة للريف يجب أن يأخذ القطاع العام في الاعتبار الاحتياجات في الريف، القيم الثقافية، والعوائق المالية والمؤسسية.

وإذا انتقلنا إلى التعليم تثور تساؤلات حول :

---

(1) The World Bank Group: Adjustment in Africa (New York University Press, 1994), pp. 9–22.

أى نــوع من التعليم يقترحه البنك الدولى فى عصر العولمة؟ وما هى جهة التمويل التى يراها أنسب فى عصر الاندماجات الدولية الكبرى؟

يجيب على ذلك تقرير للبنك الدولى :

« تخلــق التكنولوجــيا المتغيرة والإصلاحات الاقتصادية تحولات درامية فى بنية الاقتصـــاد والصـــناعة وأســواق العمــل. والزيادة السريعة فى مجال التعليم التكنولوجى والمعلومـــاتى تجعــل بإمكـــان الأفراد تغيير عملهم وترك شركاتهم السابقة .. ومن ثم فإن هناك أولويتين للتعليم : دعم الحصول على مهارات جديدة بسرعة، ودعم النمو المتواصل للمعرفة.

ويجـــب أن يضم التعليم الأساسى اللغات والعلوم والرياضيات والاتصال الذى يؤهل بـــدوره لتعليم وتدريب آخر، أما المهارات الأكاديمية فيمكن تعلمها أثناء العمل On – the job – أو فى خلال التأهيل المرتبط بالعمل Work – related.

ويقـــترح البـــنك الدولـــى – مع عجز الحكومات أن تفى بالطلب على التعليم – بأن يقتصر دور الدولة على التعليم الأساسى وأن يفتح الباب للاستثمارات الخاصة بالدخول فى مجال التعليم» [1].

٢– صندوق النقد الدولى :

الـــذى يعد ثانى أكبر بيروقراطية كونية بعد البنك الدولى، وهو يتحكم فى مجال هام للغاية يرتبط بنشاط الشركات متعددة الجنسيات وهو أسعار الصرف والتحويل.

تأســـس الـــنقد الدولـــى رسمياً فى ٢٧ ديسمبر ١٩٤٥ عندما وقعت ٢٩ دولة على ميـــثاق فى مؤتمر بمدينة (بريتون وودز) بولاية نيوهامشير بالولايات المتحدة من ١ – ٢

(1) The World Bank Group: Priorities and Strategies for Education 1995 @ http://www.worldbank.org/html/extpb/prioritieseducation.htm

يوليو ١٩٤٤، وبدا عملياته المالية فى ١ مارس ١٩٤٧. وتبلغ عضويته الحالية ١٨٢ دولة بميزانـــية حوالـــى ٣٠٠ بليون دولار بزيادة ٤٥% فى ٢٢ فبراير ١٩٩٩ (زيادة مرتبطة بالعولمة).

ويديـــر صـــندوق النقد الدولى: مجلس المحافظين، واللجنة الدولية النقدية والمالية، والمجلس التنفيذى. ويعمل به حوالى ٢٧٠٠ موظف من ١١٠ دولة.

وتأســس الصندوق لتطوير التعاون النقدى الدولى، ولتسهيل التوسع والنمو المتوازن للـــتجارة العالمـــية، ولـــتطوير الاستقرار فى أسعار الصرف، وللمساعدة فى إرساء نظام متعدد الدفوعات بضمانات كافية، وتقليل درجة وفترة عدم التوازن فى موازين المدفوعات الدولية لأعضائه.

ويقوم صندوق النقد الدولى بالوظائف التالية:

أ- **المراقــبة** : وهـــى العملـــية لا يقوم فيها البنك بالحكم على مدى كفاءة سياسات أسعار الصـــرف لأعضـــائه فى إطار تحليل شامل للوضع الاقتصادى العام واستراتيجية كل عضـــو. ويقـــوم صندوق النقد الدولى بهذه المسئوليات من خلال الاستشارات السنوية الثنائـــية مـــع كل عضو، ومراقبة كل الأطراف مرتين فى العام فى إطار تقريره عن الوضـــع الاقتصـــادى الدولـــى .. وهـــو يقوم بذلك لتدعيم الثقة العالمية لسياسات كل عضو.

ب- **الدعـــم المالى** : بتقديم قروض وإعانات للدول الأعضاء التى تعانى من اختلالات فى موازيـــن مدفوعاتهـــا لتدعم سياسة إعادة الهيكلة والإصلاح الاقتصادى. وحتى يوليو ١٩٩٩ كان البنك يقدم ما يربو على ٨٧ بليون دولار لعدد ٩٤ دولة.

ج- **الدعـــم الفـــنى** : لتدعـــيم الخـــبرة للأعضاء فى مجالات موسعة مثل، تنظيم وتطبيق سياســـات نقدية ومالية معينة، بناء المؤسسات مثل تطوير البنوك المركزية ووزارات

الخـــزانة، القـــيام بحسابات التعامل مع البنك الدولى وصندوق النقد، جمع المعلومات الإحصائية وتطويرها، تدريب المسئولين فى معهد صندوق النقد الدولى بالاشتراك مع المؤسســـات الدولـــية المالـــية الأخرى من خلال معهد فيينا ومعهد سنغافورة، برنامج الشرق الأوسط للتدريب، ومعهد أفريقيا.

ويدخـــل ضـــمن المهام المالية للصندوق: سياسات الحفظ والضمانات المالية والدعم فى الأزمات وسياسات تخفيض الديون وخدمة الديون [1].

وبتعبـــيرات الخطـــاب الإعلامى فإن صندوق النقد الدولى فى عصر العولمة يعمل بمـــثابة حـــارس بوابة القروض أو Gate Keeper ويقدم استشاراته لكل من البنك الدولى لإعطـــاء القـــروض، ومـــنظمة التجارة العالمية لتحديد الدول المطيعة التى تأخذ « أدوية الروشـــتة » كاملـــة غـــير منقوصـــة وهو معيار – من وجهة نظره – نجاحها أو فشلها الاقتصادى.

ولـــيس هـــناك مـــن عجب أن نجد الحكومات قد صمتت بعد اختراقها وتحالفها مع الطـــبقة الرأســـمالية عابـــرة القومية، ليبقى صوت المنظمات غير الحكومية ضد أساليب وسياســـات صـــندوق النقد الدولى فقد شكت منظمات الإغاثة حول العالم إلى وزير الدولة الـــبريطانى لشئون الضرائب من الطريقة غير الديمقراطية والسرية المشبوهة التى تم بها تعييـــن (جـــوردون بـــراون) مدير صندوق النقد الدولى الجديد، من قبل الدول الصناعية الكـــبرى، إذ أنـــه – على حد قول منظمات الإغاثة – ليس من العدل الاستمرار فى نظام يتـــيح للأقلـــية الغنـــية تعييـــن رئيس مؤسسة تؤثر بقوة قراراتها على الدول النامية دون استشارتها [2].

---

(1) The International Monetary Fund: **The IMF at a Glance** @http://www.imf.org/external/np/facts/ glance.htm.

(2) The World Bank Group : **Press Review** @http://WBLNOOB.worldbank.org/News/Devn/

٣- منظمة التجارة العالمية :

ظهـرت مـنظمة الـتجارة العالمـية إلى الوجود عام ١٩٩٥، كواحدة من أصغر المـنظمات الدولـية، وقد انبثقت عن الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (GATT) التى ظهـرت إلـى الوجـود فى أعقاب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥. وقد احتفل باليوبيل الذهبى لها فى جنيف فى ١٩ مايو ١٩٩٨ فى حضرة قادة العالم.

وأهـداف المـنظمة هـى المساعدة على تدفق التجارة بسهولة وحرية بشكل عادل وقابل للتنبؤ .. وتقوم بهذا الدور من خلال :

- إدارة اتفاقات التجارة.
- العمل كمنتدى للمفاوضات التجارية.
- حل المنازعات التجارية.
- مراجعة السياسات التجارية القطرية.
- مساعدة الدول النامية فى قضايا السياسات التجارية من خلال الدعم التكنولوجى وبرامج التدريب.
- التعاون مع المنظمات الدولية الأخرى.

وتتكون منظمة التجارة العالمية من ١٣٥ عضواً (١٣ نوفمبر ١٩٩٩) تسيطر على ٩٠% مـن تجارة العالم وأكثر من ٣٠ آخرين أعضاء مراقبين والقرارات تتخذ بالإجماع، ويمكن التصويت بالأغلبية ولكن حدث فى الـ WTO ما كان نادر الحدوث فى أثناء فترة (GATT) وتمـت الموافقـة على هذه القرارات فى برلمانات الدول الأعضاء كلها وتبلغ ميزانية المنظمة ١٢٢ مليون فرنك سويسرى.

وأعلـــى مستوى لاتخاذ القرارات هو (المؤتمر الوزارى) الذى يعقد على الأقل مرة واحـــدة كـــل عاميـــن وتحته يقع المجلس العام ويضم بصفة عامة السفراء ورؤساء الوفود المفاوضـــة فـــى جنـــيف ولكن أحياناً يتم إرسال المسئولين من عواصـــم الدول الأعضاء ويحمـــل المجلـــس العام على عاتقه إقرار الميزانية ويختص بمراجعة السياسات التجارية وحل المنازعات.

وفـــى المستوى الذى يليه تأتى مجالس البضائع ومحلس الخدمات ومجلس المنتجات الثقافية (TRIPS) التى ترفع تقاريرها إلى المجلس العام.

وتضـــم مـــنظمة التجارة العالمية عدداً من اللجان المتخصصة، ومجموعات العمل الـــتى تـــتعامل مـــع الاتفاقـــات الفـــردية وقضايا أخرى كالبيئة والتنمية وقبول العضوية والاتفاقيات التجارية الإقليمية.

والمؤتمـــر الـــوزارى الأول فى سنغافورة ١٩٩٦ أضاف ٣ مجموعات عمل لبناء المـــنظمة الـــتى تـــناقش العلاقة بين التجارة والاستثمار، والتفاعل بين التجارة والسياسات التنافســـية والشفافية ففـــى مجال الإجراءات الحكومية وفعالياتها .. وفى المؤتمر الوزارى الثانى فى جنيف ١٩٩٨ قررت منظمة التجارة العالمية دراسة التجارة الإلكترونية.

والســـكرتارية تقـــع فـــى جنيف وتضـــم ٥٠٠ عضواً يرأسهم المدير العام Mike Moore ولـــيس لهـــا فروع خارج جنيف للـــ WTO ميزة خلوها من البيروقراطية التى يمكن أن توجد فى المنظمات الدولية الأخرى فى مجال اتخاذ القرارات.

وعـــبر اتفاقـــيات مـــنظمة التجارة الدولية، يدير الأعضاء نظام تجارى غير مميز Non-Discriminatory الـــذى يحـــدد حقوقهم وواجباتهم. وكل دولة تتلقى ضمانات بأن صـــادراتها سيتم تعاملها بشكل عادل ومنظم ومتساو فى أسواق الدول الأخرى وكذا الوعد

بـــأن تعامل الواردات من الدول الأخرى بنفس الطريقة، ويعطى النظام الدول النامية بعض المرونة فى تطبيق الالتزامات.

وتتمتع البنوك وشركات التأمين وشركات الاتصالات ومجموعات الفنادق وشركات الـــنقل الـــتى ترغب فى إنشاء أعمال فى الخارج الآن بنفس المعايير الحرة والعادلة التى تطبق فى مجال السلع (١).

٤- نقد عمل البيروقراطيات الاقتصادية الكوكبية :

أ- نقد عمل صندوق النقد الدولى والبنك الدولى :

تصـــدى عدد من المنظرين الاقتصاديين النقديين لعمل صندوق النقد الدولى والبنك الدولـــى على اعتبار أن محاولاتهم الإصلاحية هى محض أسطورة تدعو للاستياء، كما أن وعودهم المكذوبة بالدعم متعدد الأطراف قد عمقت من الفساد السائد فى الدول النامية.

وقـــد كان للاقتصاديين دوج باندو Bandow، وأيان فاسكويز Vasquez مساهمة نقديـــة بالغـــة الأهمـــية فى هذا الصدد فى كتابهما الهام (حفظ الفقر) أو Perpetuating Poverty.

يقول الكاتبان :

« لمـــا كـــان البـــنك الدولى وصندوق النقد الدولى يشعران بـــأن ما ينقص الدول النامـــية هـــى القروض فقد أمطروا بها الدول النامية منذ الخمسينيات وحتى الآن، حتى أن البـــنك الدولـــى بمفرده قد أعطى الدول النامية حوالى ٣٠٠ بليون دولار، وكذلك صندوق الـــنقد الدولى الذى بعد زيادة موارده بمقدار ٥٠% من الدول الصناعية الكبرى عام ١٩٩٢ لعب دوراً هاماً فى إعادة هيكلة الاقتصاد فى روسيا.

(1) World Trade Organization @ http://www.wto.org/wto/inbrol.htm.

ولكـــن بعد ٤٠ عاماً من تلقى أمريكا اللاتينية لمعونات وقروض بلغ حجم المديونية ٤٣ بلـــيون دولار، والدخـــل للفرد بالنسبة للدول الأفريقية جنوب الصحراء فى التسعينيات أقل منه فى السبعينيات والـــ ٤٧ دولة الأفقر فى العالم مازالت الأعلى فى تلقى القروض.

وعلـــى ســـبيل المـــثال خلقت القروض الكبيرة التى تلقتها الهند فى مرحلة ما بعد الحـــرب العالمية الثانية بيروقراطية كبيرة فى واحد من أكبر القطاعات العامة غير الفعالة فى العالم، وبقت الهند واحدة من أفقر دول العالم.

وليســـت الهـــند بمفردها، فسياسات صندوق النقد الدولى والبنك الدولى، لعبت دوراً كبـــيراً فـــى اســـتمرار أســـطورة سيطرة الدولة فى المكسيك فقروض البنك الدولى زيادة ســـيطرة الدولـــة على الصناعات الحكومية ورفعها من ٣٠٠ عام ١٩٠ إلى ١,٢٠٠ عام ١٩٨٢ فـــيما أعلنـــت المكســـيك عـــدم قدرتها على دفع الديون الخارجية على الرغم من الإصـــلاحات الكبيرة فى المكسيك لتحرير التجارة .. وهو ما يمكن أن ينسحب أيضاً على بقية دول أمريكا اللاتينية التى هبطت مستويات معيشتها.

وكذلـــك فقـــد قدم البنك الدولى وصندوق النقد الدولى لدكتاتوريات البلدان الأفريقية قروضـــاً كبـــيرة تحـــت زعم (زيادة التنمية) بينما صرفت هذه الدول المال على التسليح، وبناء مكاتب فخمة، ومطارات بالبازل، وشراء أفيال سوداء جديدة.

هل تعتقد هذه المنظمات أنها تساعد بالفعل العالم الثالث؟

تعـــتقد – للأسف – هذه المنظمات ذلك، ولكن من الصعوبة مراقبة أنشطتها السرية فـــى الأغلـــب، فالبنك الدولى لا ينشر تقييمات هذه المشروعات ولا التقارير الوطنية عن كيفـــية تشغيل هذه الأموال (وهل تملك العديد من دول العالم الثالث مؤسسات للمراقبة؟) . وكذلـــك تـــبقى الاتفاقيات التى يتوصل إليها صندوق النقد الدولى مع الدول المقترضة فيما تعرف بخطابات النوايا Letters of Intent كلها سرية.

وتــبدأ وســائل الإعــلام الغربية فى مناقشة عمل هذه المؤسسات فقط عندما تعود مشروعات البنك الدولى إلى اجتماعات عامة تناقش خرق واضح لحقوق الإنسان أو تدمير كبــير فــى البيــئة فى العالم الثالث، أو عندما تقود برامج صندوق النقد الدولى التى ترفع الضرائب أو تقلل قيمة العملة لاحتجاجات فى الدول المقترضة.

وربمــا توصف هذه الصورة بأنها متحيزة ولا تقدم أية رؤية إيجابية لما تحققه هذه المشــروعات. ولكن هذه المؤسسات هى التى اختارت السرية، ففى عام ١٩٩٢ قام البنك الدولــى بمــراجعــة ١٨٠٠ مشــروعاً أقرض فيها الدول الناميــة ١٤٠ بليون دولار .. فيما يعرف بتقرير Wapenhans وقد حكم على ٣٧,٥% من هذه المشروعات بأنها غير مجدية بما يمثل ضعف المشروعات المخفقة خلال عقد مضى.

ومثال آخر : فقد نشر البنك الدولى للإعمار والتنمية والبنك الآسيوى للتنمية تقارير تقطــع بأدائهمــا المعيب. فطبقاً للتقرير السنوى للبنك الآسيوى عام ١٩٩٢ ذكر أن ٦٠% مــن مشروعاته إما فشلت أو حققت نجاحاً جزئياً وكذلك فإن البنك الدولى للإعمار والتنمية خلــص أن البنك فشل فى المساهمة فى التحول الاقتصادى فى أوربا الشرقية، وأن التأثير كان محدوداً إذا ما قورن بما أدرته على هذه المشروعات.

هل يمكن لهذه المؤسسات أن تساعد الدول النامية؟

اعــترف عــدد من المسئولين بأن المشروعات السابقة لم يتوفر لها النجاح اللازم، ولكــن المستقبل سيكون مختلفاً خاصة وأن صندوق النقد الدولى وعدد من مؤسسات البنك الدولى اشترطت تحرير الاقتصاد والتحول للسوق حتى تعطى القروض.

هــذه الــنظرية تــبدو جــيدة تجريداً، ولكنها حققت نجاحات صغيرة على مستوى التطبــيق خاصــة وأن صــندوق النقد الدولى اشترط رفع الضرائب .. ولكن كيف يتوقع صــندوق الــنقد الدولــى من مجتمع أن ينصلح شأنه ويرتقى إذا أجبر حكومته على جباية

جـزء مـن ثـروات الشـعب؟ وهذه الوصفة لم تنفع فى البرازيل التى عجزت موازيين مدفوعاتها فاضطرت إلى طبع العملة وهو ما تجاهله صندوق النقد الدولى، ويرى المؤلفان أن الـنجاح الـذى أحرزته نسبيا المكسيك وشيلى وكوريا الجنوبية والأرجنتين على سبيل المثال جاء على الرغم من قروض المؤسسات وليس بسببها.

ولكن لماذا تستمر هذه السياسات؟

تسـتمر لأن جمـيع الأطـراف – ماعدا مواطنى الدول النامية – مستفيدين منها : بيروقراطـيات الـدول النامية، وبيروقراطية هذه المؤسسات نفسها .. فرغم تحرير سعر الصـرف فى كثير من الدول وهو الهدف الذى عارضه صندوق النقد الدولى لسنوات، فإن البـنك توسع فى الاقتراض .. وخلق الصندوق مهمات أخرى لنفسه ... وهذا ما حدث فى البـنك الآسـيوى للتنمـية إذ قال أحد كبار المسئولين فيه : « إننا لم نقتل مشروعاً، إننا مؤسسـة تنموية، ولكننا بنك أيضاً » [1]. والحل كما يطرحه الكاتبان يكمن فى فتح أسواق العالم الصناعى لمنتجات العالم الثالث.

وتطبـيقاً علـى بـرامج حماية البيئة، شرح بروس ريتش Rich كيف فشل البنك الدولى فى حماية البيئة، وفقد مئات المليارات من الدولارات.

« كان البنك الدولى فى حرب مع نفسه، مظهراً أعرضا فصامية بيروقراطية حادة، فالبـنك تحت قيادة (كونابل) عام ١٩٨٧ قام بعدد من الإصلاحات فى برامجه البيئية، وقام البـنك بتخفـيض عدد العاملين بناء على ضغوط من وزارة الخزانة الأمريكية، مما جعل العامليـن فـى البنك لا يثقون بمستقبلهم والبقاء كان مؤسساً على وجود من يحمى العاملين فى الإدارة العليا وليس بالكفاءة، والتأثير على الروح المعنوية كان مدمراً ».

(1) Doug Bandow & Ian Vasquez : **Perpetuating Poverty: The World Bank, the IMF and the Developing World** (Washington: CATO Institute Publications . 1994) . pp. 1 – 12.

وكــان هناك ما هو أسوأ، فقد أحدث التأثير الرئيسى لإعادة التنظيم فصلاً سيئاً بين مديــرى المؤسسة الذين يحددون من يأخذ القروض وبين أقسام التخطيط والبحث. كما أن إعــادة التنظــيم أعطــى للــدول سلطة أكبر واستقلالاً وهمياً بينما كانت الوظائف البحثية والخارجية مركزة فى مبنى واحد معزول عن عمل كل يوم .. لذا لم يسمع أحد من مقدمى القروض عن الأبحاث فى مجال البيئة ولا كيفية تخطيط هذه القروض. وزاد من الضغوط الــتى تعــرض لهــا البنك الدولى عدم إدراكه للآثار السلبية الوخيمة من جراء إعلاءه من شــأن الكــم على الكيف فى سياسات الإقراض وذلك لأن البنك يراعى الشروط التى يجب توفــرها فى الدول التى يتم إقراضها مثل الهند، إندونيسيا، البرازيل .. وخاصة فيما يتعلق بالتعديل الهيكلى الذى لم يتم [1].

ب- نقد عمل منظمة التجارة العالمية :

وقــد تــم توجيه انتقادات كثيرة لعمل منظمة التجارة العالمية ، ثالثة البيروقراطيات الاقتصادية الكوكبية الكبرى وأحدثها، بأنها منظمة سلطوية غير ديمقراطية، ترعى مصالح الدول الصناعية الكبرى وتتجاهل مصالح الدول الفقيرة، وكذا كونها تسعى لتحرير التجارة بشــكل أعمى وبأى ثمن على حساب التنمية الحقيقية لفقراء العالم، كما أنها أداة للوبى قوى من الشركات متعددة الجنسيات.

وكان لابد للمنظمة أن ترد مدافعة عن نفسها وقد نشرت على الإنترنت تقريراً هاماً بــالغ الدلالة على منطلقات خطابها وآلياته، ويعتبر بحد ذاته خطاباً مضاداً أو Counter-Discourse يــبغى تهدئــة الخواطــر وتسكين أصوات الاحتجاج، أكثر مما يبغى مناقشة أسس العملية التى تديرها المنظمة [2].

---

(1) Bruce Rich : **Mortgaging the Earth: The World Bank, Environmental Improvements, and the Crisis of Development** . (Boston: Beacon Press, 1994) . pp. 8 – 10.

(2) World Trade Organization: **10 Common Misunderstandings about the TWO** @ http://WTO. org/10mis/htm.

- **فقـد قيل أن المنظمة تتسلط على سياسات الحكومات خاصة حكومات الدول النامية :** وقد نفت المنظمة هذه التهمة عنها إذ أنها لا تجبر الحكومات على إتباع سياسات تجارية معيـنة لأنها منظمة يديرها أعضائها أو Member-Driven Organization، فقواعد مـنظمة الـتجارة العالمـية عبارة عن اتفاقيات تنتج عن مناقشات بين الدول الأعضاء، يصـدق عليها برلمانات الدول وغالباً ما يتم اتخاذ القرارات بإجماع الأعضاء وبعبارات أخـرى قرارات منظمة التجارة العالمية ديمقراطية ومسئولة. والحالة الوحيدة التى يمكن أن تـتدخل فـيها المـنظمة فى قرارات الحكومات هى عندما ينشأ نزاع يُحتكم فيه إلى المـنظمة وتحـديداً جهاز فض المنازعات فيهـا الذى يتكون من كل الأعضاء، وأقصى مـا يفعلـه هـذا الجهاز هو أن يرفع تقرير "يهبب" فيه بالدول التى خرقت القواعد التى وافقـت علـيها سـلفاً بالالتزام بها .. إذ عندما تخرق حكومة ما الالتزامات الاقتصادية والمالية يجب تذكيرها بها.
- **وفى رد عن أن منظمة التجارة العالمية تسعى لتحرير التجارة بشكل أعمى وبأى ثمن:** رأت المـنظمة أن هذا الاتهام غير صحيح لأن هذا الأمر - التجارة - هو قضية تتعلق بمساومة كل حكومة مع أخرى لتحقيق مصالحها، وإن كان أحد مبادئ المنظمة هو تقليل الحواجـز التجارية بين الدول، فإن المواقف التفاوضية بين الدول هى التى تحدد إلى أى مـدى يتم تقليل هذه العوائق، كما أن تدرجية اتخاذ قرارات التحرير الاقتصادى وتقرير الجمارك بالنسبة للدول النامية يساعد على رعاية مصالحها.
- **وعن تجاهل المنظمة لقضية التنمية:** قررت هذه البيروقراطية الناشئة أن التجارة الحرة تدعم النمو الاقتصادى وهو أبلغ مؤشر على التنمية، وهو أمر يحمل من المغالطة الكثير فالـنمو الاقتصـادى غير التنمية إذ أن نتائج النمو وعوائده قد لا تتوزع بشكل عادل بين طبقات المجتمع خاصة مع تقليل الإنفاق الحكومى على التعليم والصحة والإسكان.

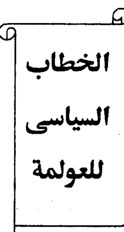
- **وعمـا إذا كانـت منظمة التجارة الدولية تدمر الوظائف، وتوسع الفجوة بين الأغنياء والفقـراء**: رأت المـنظمة أن الاتهـام غير صحيح وسطحى، فالتجارة قوة دافعة لخلق فرص العمل وتقليل الفقر، والدولة التى تحقق أعلى إفادة من هذه العلاقة هى الدولة التى تقلـل عوائقهـا التجارية فالعاملين فى الدول المصدرة يتقاضون رواتب عالية ويتمتعون بتأميـن شـبه كامل، وهو رد يستبعد تاريخية تكون رؤوس الأموال فى الدول الصناعية بفعـل الاستعمار، كما انه يتجاهل حقيقة اقتصادية بسيطة قررها أغلب نقاد العولمة وهى أن وظيفة فى دول نامية لابد وأن تؤثر على وظيفة فى دول متقدمة.

وتقول المنظمة أن التكنولوجيا ستلعب دوراً فى فتح فرص عمل كثيرة، متجاهلة أن من سيستفيد من هذه الفرص هم الملمين بهذه التكنولوجيات وهم قلة فى الدول النامية .. وإن كـان توسع الدول الصناعية فى الخدمات حتى وصل متوسطها إلى ٧% من حجم الأنشطة التجارية سيلعب دوراً فى ترك الوظائف الصناعية للدول النامية.

- **وعمـا إذا كانـت الـدول النامية عاجزة عن تسيير أمور اقتصادها وأنها مجبرة على دخـول منظمة التجارة الدولية**: ردت المنظمة بأن نظامها يسمح لحكومات الدول الفقيرة فـى مقاومـة ضـغوط مجموعات الضغط، ذلك لأن الـ WTO هى منظمة حكومات والقطـاع الخاص والمنظمات غير الحكومية يشاركون فى فعاليات المنظمة فى الندوات فقـط ولـيس فـى اتخاذ القرارات، وفات المنظمة أن الحكومات قد تم – فى الأغلب – اخـتراقها عـن طريق صلات رجال الأعمال الذين هم فى أغلب البلاد النامية من بين المسئولين التنفيذيين الكبار أنفسهم.

ومـن ثـم يتضح لنا تقاطعات خطاب منظمة التجارة العالمية مع خطاب الشركات مـتعددة الجنسـيات باعتبار أن للتجارة الحرة "يداً خفية" سوف تصلح أحوال فقراء العالم، وكذا التركيز على دور التكنولوجيا فى تحسين أحوال العالم الثالث على المدى الطويل.

● ● ●



يعــالج هــذا الجــزء من الفصل مفهوم علم الفوضى أو التركيــب الــذى يؤســس لوعى جديد فى العلاقات الدولية، بعدهــا يتــناول بالتفصــيل دور الطــبقة الرأسمالية عابرة القومــية فى تشكيل سياسة العالم المعاصر من خلال القوة العســكرية والــتقدم التكــنولوجى والمؤسسات الدولية، ثم يــتعرض لــنظرية صراع الحضارات باعتبارها غطاءً إيديولوجياً للهيمنة الاقتصادية.

●●●

يكتشــف الراصد لخطاب العولمة السياسى على إجماله أن كم الاضطراب والحيرة وعــدم اليقين فيه ربما أكثر من الخطاب الاقتصادى .. وهذه نتيجة طبيعية – فى تصورى – إذ أن الطــبقة الرأســمالية العابرة للقومية TCC والمتحالفين معها والطامحين للانتماء إليها قوضوا بفعل دوافع مصالحهم مفاهيم راسخة فى العلاقات الدولية من جانب، وقرروا انتصار مذهب سياسى واحد يجب أن يسود السياسة الداخلية من جانب آخر.

وبالطبع فإن "الحرس القديم" لنمط العلاقات الدولية والنظم السياسة السابقة على عقد التســعينيات كان لابد وأن يتصدى لطرح هذه الطبقة والمتحالفين معها والطامحين للانتماء إلــيها مقرراً خطورة ما سيترتب على ذلك من فوضى فى العلاقات الدولية مع سيادة قطب واحد مهيمن، وما سيلى ذلك من حركات عنف دولية وداخلية تزعزع استقرار العالم.

ولكــن لمّــا كانــت هذه الطبقة – بفعل برجماتيتها التى جعلتها تنظر لمصالحها فى المقــام الأول – لابــد وأن تلجأ لخطاب إقناعى يبشر بانتصار الليبرالية السياسية كما بشر بانتصــار الرأســمالية الكوكبية والاندماج والتشبيك وأن تؤسس خطاباً يبرر عنف تدخلها للســيطرة على الفوضى التى أحدثتها أو كانت على الأقل الطرف الأكثر فاعلية فيها تحت

شـــعارات مثل الشرعية الدولية، حماية حقوق الأقليات، مساعدة الشعوب ضد دكتاتوريات حكامهـــا مســـتخدمة فـــي ذلـــك الدولة الأكثر تفوقاً فى المجال العسكرى وهى (الولايات المـــتحدة) الـــتى تقـــود حركة العولمة لأنها الدولة الأكثر إفادة منها، ومستخدمة المنظمات الدولـــية التى تكونت فى أعقاب الحرب العالمية الثانية وهى الأمم المتحدة فى المقام الأول، أو المؤسســـات العســـكرية (مثل حلف شمال الأطلنطى) قصد من إنشائها مواجهة معسكر أصـــبح فـــي ذمـــة التاريخ مثل حلف وارسو أو حتى للتدخل العسكرى والسياسى المباشر لتسكين مناطق التوتر فى العالم.

ومـــن الجدير بالذكر فى هذا السياق، أن هذا الخطاب كان ولابد أن يطال الحركات الإســـلامية الاحتجاجـــية فى العالم الإسلامى التى تنشد مقاومة سيطرة هذه الطبقة وقيمها، والـــدول الـــتى تســـاندها عـــبر منطوقات: مقاومة التطرف الإسلامى، مكافحة الأصولية المســـلحة، احـــتواء ومقاومة الدول الراعية للإرهاب إلى آخر هذه المنطوقات التى يرددها الجناح الإعلامى للطبقة الرأسمالية عابرة القومية بفعل قوته الكوكبية التى تسمح لمنطوقاته بالانتشـــار والـــتردد وتشـــكيل العقول على مستوى العالم .. ولذلك كما ذكرنا سلفاً كانت (العولمـــة) ونقصد بها هذا النوع من الخطاب الذى تردده الطبقة الرأسمالية عابرة القومية هـــي العدســـات الجديدة التي ترى بها شئون العالم الإسلامى امتداداً للعدسات الاستشراقية والاســـتعمارية الســـابقة تركز على انتصار قطب واحد مهيمن .. فهذه الطبقة الكوكبية لا تعـــادى الدول الإسلامية أو الحركات الإسلامية إلا بقدر ما تعادى هذه الحركات مصالحها وقيمها.

ولعـــل هـــذا ما انعكس على الخطاب الأكاديمى الذى يحاول أن يفهم هذه "الفوضى" الســـادرة فـــي عقـــد التســـعينيات مـــن القرن الماضى للألفية الفائتة، ولعل عالم السياسة الأمـــريكى (جيمس روزناو) يعد الرائد الذى اقتحم علم العلاقات الدولية لكى يعيد صياغته فـــي ضـــوء علـــم الفوضـــى أو التركيـــب، وقـــد نشر نتائج أبحاثه فى كتاب هام عنوانه

(الاضــطراب فــى السياسة الدولية: نظرية فى التغير والاستمرار)، يعبر روزناو فيه عن فكــرة رئيســية مفادها أن نظريات العلاقات الدولية التقليدية قد سقطت وأننا فى حاجة إلى إطــار نظــرى جديــد، ولا يــتردد الكاتب فى صك مصطلح جديد هو (السياسات ما بعد الدولية)، ودوافعه فى ذلك أننا نعيش عصر (الما بعد)، ما بعد الصناعى، وما بعد الحداثة، فما الذى يمنع أن نصوغ مصطلح السياسات ما بعد الدولية خصوصاً أن فى هذه السياسات لــم تعد الدولة القومية هى الفاعل الرئيسى كما كان من قبل، وإنما دخل فاعلون آخرون لا يقلــون أهمية من أبرزها الشركات دولية النشاط والجماعات التطوعية والجماعات السلالية واللغويــة والدينــية والــتى يــنزع بعضــها للثورة على الدولة القومية ذاتها أو يتجه إلى الإرهاب لتقويض مؤسساتها [1].

وليســت المســألة فى نظر روزناو مسألة تغيير مصطلح بآخر قدر ما هى محاولة منهجــية للإحاطــة بجوهر النموذج المعرفى الجديد الذى يقترح تأسيسه والذى يقوم على فكــرة التغير، وهذه الفكرة تقوم على أساس مفهوم آخر هو القطيعة التاريخية مع الماضى، ويعــنى بذلــك أن الظواهر الجديدة التى أصبحت تتحدى الحكومات والنظم السياسية مثل الإرهــاب وعصابات المافيا الدولية، وشبكات الفساد، وعصابات المخدرات الدولية، وبيع الأعضاء وتحدى السلطة السياسية بوسائل مبتدعة، أصبحت ظواهر غير مسبوقة تمثل فى الواقــع درجة مغايرة وتحتاج بالتالى إلى إطار نظرى جديد لفهمها، وهناك أهداف محددة تهدف النظرية الجديدة إلى تحقيقها من أهمها:

-محاولة صياغة نظرية شاملة للسياسة الكوكبية.

- محاولــة استخلاص معنى متماسك فى غمار الفوضى والاضطراب الذى يكمن وراء الأحداث المعاصرة.

---

(١) السيد يس: **نظام الفوضى فى العلاقات الدولية**، الأهرام، ١٦/١٠/١٩٩٧.

- تحـــاول الـــنظرية تحديـــد الطرق والوسائل التى تبرز التغيرات العميقة التى أصابت السياسة الدولية.

وتحـــاول هـــذه الـــنظرية أن تقـــاطع طرق التحليل التقليدية والاقتراب من السياسة والتغـــير علـــى مســـتوى كونى من خلال مفاهيم جديدة، ويرى (روزناو) أن مظاهر هذا الاضطراب متعددة سياسياً واجتماعياً وأبرزها أزمة السلطة السياسية فى عديد من الأقطار وانهـــيار الإجمـــاع فـــى مجـــتمعات كثيرة وتواتر الانقلابات الثورية واحتدام الصراعات الجيلـــية، وإذا بحثـــنا عـــن سمة أساسية تميز هذا الاضطراب الكونى لقلنا أنها عدم اليقين والذى ينعكس مباشرة على عملية صنع القرار السياسى والاقتصادى والثقافى.

ومـــا يمـــيز المواقف المضطربة: الاستجابات السريعة للأحداث والتى قد لا تكون مدروســـة بالقدر الكافى فتؤدى إلى تعقيد المشكلات بدلاً من حلها، والتحالفات المؤقتة بين قـــوى سياســـية سرعان ما تسقط وأخيراً الانقلابات فى السياسات من النقيض إلى النقيض ممـــا مـــن شـــأنه أن يزيد من سرعة الأحداث وتلاحقها، غير أن الاضطراب مهما كانت ســـماته – وهـــذه نقطة هامة – لا يمنع من استخدام أداة تحليلية كما هو الحال فى نظرية المـــنظمات خصوصاً حين تتسم البيئة بدرجة عالية من التركيب والديناميكية التى قد يكون مـــن مؤشـــراتها شـــدة الاعتماد المتبادل بين الفاعلين، وهو يركز على المستوى الجزئى فـــيدرس اتجاهـــات الأفراد والجماعات، وعلى المستوى الكلى ليحلل بنية المجتمعات من زاوية توزيع القوة وأخيراً على العلاقات بين المستوى الكلى والجزئى.

ويرصـــد فيليـــب لاسير أستاذ العلوم السياسية بجامعة باريس، عرض من أعراض غـــياب الحدود الفاصلة بين التحالفات فيما يقول "أن القطبية الثلاثية التى تظهر اليوم وتكاد تكون مستقبل القرن الحادى والعشرين أضلاعها الولايات المتحدة وأوربا وآسيا .. صحيح أن هـــناك تداخـــلاً فـــى التحالفات يصعب معه فرز الأقطاب الثلاثة على نحو دقيق ولكن الصحيح أيضاً أن هناك مصالح اقتصادية وسياسية تكاد توجد هذا الفرز على نحو واضح،

فآســيا الــيوم تتكــتل بأوضـــاع اقتصادية وإدارية واجتماعية وسياسية تتحدى الغرب أو الولايـــات المتحدة على نحو خاص، وأوربا أيضاً تتشكل مصالحها الكوكبية بصور لا تتفق تمام الاتفاق مع مصالح الولايات المتحدة خاصة مع انهيار الاتحاد السوفيتى السابق [1].

وهذا التنظير للفوضى - فى نظرى - راجع لعدم إدراك أن آلية عمل التحالفات تتم علـــى أســـاس اقتصادى صرف مكونة ما اصطلحنا على تسميته بالطبقة الرأسمالية عابرة القومـــية التى تتصارع فيما بينها فيظهر الصراع أحياناً كما لو أنه صراع بين الدول، ففى أى مجـــتمع تميل الجماعات السائدة إلى إخفاء الطريقة التى يعمل بها المجتمع، ولذا يجب علـــى المحللين الصادقين أن يدقوا جرس النقد، حتى يكون خطابهم بمثابة الأضواء الكاشفة لكيفية توزع القوى داخل المجتمع وديناميكية حركتها.

●●●

أولاً : دور الطـــبقة الرأســـمالية عابـــرة القومية فى تشكيل سياسة العالم المعاصر :

يـــرى بعض منظرى ما يسمى بالموجة الثالثة (موجة العالم ما بعد الصناعى، عالم المعلومـــات) أن الدســـاتير والمؤسسات والأطر السياسية والديمقراطية الموجودة الآن فى مجـــتمعات التكنولوجيا العالية وذات الإطار الليبرالى أصبحت عتيقة ومتهالكة وأنها بحاجة إلـــى مـــراجعة وإعـــادة نظـــر جذرية، بل أن هناك من يعتقد أن أفكار الديمقراطية وحكم الأغلبـــية والعدالـــة الاجتماعـــية قد باتت أفكاراً بالية لا تتناسب مع هذه الموجة، وفى هذا الســـياق كتـــب إلفـــن توفلر Toffler أن حكم الأغلبية لم يعد كافياً كمبدأ للشرعية فحسب وإنمـــا أيضـــاً لم يعد بالضرورة مبدأ ديمقراطياً أو مطوراً لإنسانية البلدان التى تلج عصر الموجة الثالثة.

---

(١) فيليب لاسير: الشرق يتحدى والغرب يعترف بقوة التحدى، الأهرام، ١٩٩٦/١١/١٩.

ويدعــو توفلــر إلـــى ما يسميه المبدأ الراديكالى الأول لحكومة الموجة الثالثة وهى ســلطة الأقلية Minority Power حيث أصبحت الأقليات هى التى تقود عمليات الإبداع والــتطوير والإنتاج، ومن هنا يحق لها أن يكون بيدها الحكم وعملية صناعة القرار، ولهذا فهــو يعــتقد أن ديمقراطية القرن الحادى والعشرين ستكون هى ديمقراطية الأقلية [١] وهو الاتجاه الذى تقوده الولايات المتحدة كأكبر مستفيد من الموجة الثالثة.

وهــذا الاتجاه المعادى لديمقراطية الأغلبية والقيم والعدالة الاجتماعية هو ما رصده عــالم الاجتماع الأمريكى (جيريمى ريفكن) حينما وصف مجتمع الموجة الثالثة ذى الإطار الليــبرالى الحديــث بأنــه مجتمع الخمس (أى ٢٠% من السكان) الذى يستطيع فيه خمس الســكان فقــط العمل والإنتاج والاستهلاك والتمتع بمباهج الحياة أما الأغلبية الباقيــة التى تمــثل ٨٠% من السكان فمصيرها التهميش والإهمال التام. وليس يخفى أن هذا النوع من التفكــير الــذى يدعو إلى حكم الأقلية ربما يمهد الطريق من الآن لانبثاق نازية جديدة من طــراز حديث، وديكتاتوريات مودرن على مستوى عصر الموجة الثالثة، وهو الأمر الذى بــدأت ترصــد مخاطــره وتحــذر مــنه أوساط عديدة من المفكرين والكتاب فى البلدان الصناعية[٢].

وإذا حاولنا أن ننتقل بالمشهد لخارج حدود الولايات المتحدة، فيرى وليام روبنسون Robinson أن الولايات المتحدة – وتحت ضغوط الاقتصاد الكونى – تميل إلى تطبيــق مـــا يسمى بالديمقراطية قليلة التركيز Low-Intensity Democracy التى تهدف إلى تقلــيل حــدة الــتوترات الاجتماعــية والاقتصــادية والسياســية التى تحدثها النخب غير الديمقراطــية المــتحالفة مع مصالح الولايات المتحدة (التى هى مصالح الرأسماليين الكبار بالأساس) وليس تطبيق ديمقراطية شاملة بالطبع.

---

(١) رمزى زكى: **وداعاً للطبقة الوسطى**، مرجع سابق، ص ص ٥٣، ٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٤.

والشـــعار الـــذى ترفعه السياسة الأمريكية هو حفظ الاستقرار، ولكن الاستقرار هنا لـــيس اســـتقرار الدول التى تتدخل فيها الولايات المتحدة بقدر استقرار المصالح الأمريكية الاقتصـــادية، كمـــا حـــدث فى التدخل فى جواتيمالا (١٩٥٤)، شيلى (١٩٧٠-١٩٧٣)، جرانيادا (١٩٧٩-١٩٨٣)، جامايكـــا (١٩٧٧-١٩٨٠)، كوبا (١٩٥٩ - حتى الآن)، بنما (١٩٨٨، ١٩٨٩)، نـــيكارجوا (١٩٧٩-١٩٩٠) والشـــعارات الـــتى كانـــت ترفع موازية للاســـتقرار هى الخوف من الشيوعية (خاصة قبل انهيار الاتحاد السوفيتى السابق)، الحملة ضد المخدرات، رعاية المصالح الجيوسياسية ... الخ.

ولا يخفـــى أن لهـــذه السياســـة الأمريكـــية جذوراً فى حقبة الحرب الباردة إذ يرى (بارنجـــتون مور) Moore أن الولايات المتحدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية اكتشفت أنهـــا تملـــك ٥٠% من ثروة العالم، وبها فقط ٦,٣ من سكانه وأنها لذلك مثار "حسد" دول العـــالم، ولحماية هذا الوضع رأى واضعو أسس السياسة الخارجية الأمريكية أن عليهم أن يـــتوقفوا عـــن الحديث عن رفع مستوى المعيشة، ونشر الديمقراطية قائلين أننا فى الوقت الذى سنكون فيه أقل مثالية ستكون عوائد ذلك أفضل لنا.

ولذلك فإن ما يسمى بالحكومـــات المتعـــددة أو Polyarchy هو خصيصة بنيوية للمجـــتمع الكونى الناشئ، والذى تعتمد فيه هذه الخصيصة على جماعات صغيرة متحالفة فـــى الداخـــل، أو جماعات متضامنة فى الخارج تجمعهم المصـــالح الاقتصادية مثلما كانت "الأنظمة السياسية" غير الديمقراطية سنداً للولايات المتحدة فى مرحلة الحرب الباردة.

وظهـــور المجـــتمع الكونى فى العقود الأخيرة يقدم الأساس العينى لتطبيق المفهوم الجرامشى للهيمنة Hegemony الذى كان صالحاً للتطبيق على مستوى الدولة فى مرحلة ســـابقة ، إذ يمكن أن يُطبق الآن على مستوى أنظمة العـــالم التى تصنع لرؤوس الأموال مـــا يعـــرف بآلية الدخول Accessing حسب الأحوال إما بالديمقراطية أو بوضع أنظمة

شـــمولية ديكـــتاتورية وهـــو ما يخدم سياسة اقتصادية موازية للتحكم فى الأطراف وشبه الأطراف وهو نموذج جديد للعلاقات بين الشمال والجنوب فى القرن الحادى والعشرين[1].

ولذلـــك يقـــرر ويلـــيام روبنســـون أن الاقتصاد الكونى هو المتغير المستقل، وأن الممارســـات السياســـية الكوكبية هى المتغير التابع، وتطويراً لفكرة جرامشى عن الهيمنة، فالهيمـــنة يمكن أن تمارس فى العلاقات بين الطبقات والعلاقات على المستوى القومى من خـــلال آلـــيات الإجمـــاع (الموافقة) أو القهر، والهيمنة (Hegemony) المطبقة فى مجال العلاقـــات الدولية هى آليات سياسية – عسكرية مباشرة أو اقتصادية غير مباشرة .. ولكن ليســـت مـــثل آلـــيات الســـيادة أو Domination التى كانت تمارسها بريطانيا مثلاً على مســـتعمراتها فـــى القـــرن التاســـع عشـــر، فتغير مفهوم القوة استدعى تغيراً فى مفاهيم تطبيقها[2].

وحتى ندلل على ما ســـبق يكفـــى أن نقـــول – نقـــلاً عن توماس داى Dye – أن السياســـة الأمريكـــية يصنعها بضعة آلاف من أصل ٢٧٣ مليون أمريكى (٢٨٠ فى عام ٢٠٠٠)، هـــؤلاء الآلاف يقـــررون شئون الحرب والسلام، الأسعار والأجور، الاستهلاك والاستثمار، العمالة والإنتاج، القانون والعدالة، الصحة والرفاهية، التعليم والإعلام.

ولكن ما مستقبل العالم فى ظل عدم التيقن والاضطراب الذى يسوده، والذى تصنعه الرأسمالية الكوكبية على المستوى السياسى؟

يقـــرر جوزيـــف نـــاى Nye نائب وزير الدفاع السابق للشئون الخارجية فى إدارة الرئيس السابق بيل كلينتون أن هناك ٥ بدائل مطروحة للنظام العالمى:

(1) William I. Robinson (ed.). **Promoting Polyarchy: Globalization, US Intervention and Hegemony** (New York: Cambridge University Press. 1996), pp. 1 – 10.

(2) Ibid., p. 12.

١- الرجوع إلى عالم ثنائى القطبية :

فالنظام الذى أقامه لينين وستالين لم يكن باستطاعته العبور إلى الثــورة الصناعية الثالــثة الــتى كــان فيها الاستخدام المرن للمعلومات هو المفتاح للنمو الاقتصادى الناجح، ولكـــن يمكـــن الرجوع لعـــالم ثنائى القطبية إذا تمكنت روسيا من إعادة هيكلة اقتصادها بما يسمح بوجودها – مرة أخرى – كقطب آخر.

٢ـــ تعــدد القطبية :

وهـــو الـــبديل الأرجـــح ولكن ليس على غرار القرن التاسع عشر، فهناك ٥ قوى مرشـــحة للتـــنافس فى مرحلة ما بعد الحرب الباردة فروسيا تعانى من ضعف اقتصادها، والصـــــين مازالت دولـــة نامية ، وأوربا مساوية لأمريكا فى عـــدد السكان ولكن مازالت لا تســـتطيع التصـــرف كقـــوة عالمية موحدة ، واليابان لها قوتها الاقتصادية والتكنولوجية ولكن تفتقد للقوة العسكرية.

٣- ثلاث تكتلات اقتصادية :

الأولـــى آســـيوية تتجمع حول الين، والثانية نصف الكرة الغربى التى تتجمع حول الـــدولار، والثالـــثة أوربـــا التى تتجمع حول اليورو أو المارك الألمانى، وليس هناك أية ضـــمانات لسيادة الولايات المتحدة فى سياق الحروب التجارية، وليست هناك حدود جامدة لهذه التجمعات التى تنفتح إحداها على الآخرين.

٤- سيادة ثقافة قطب واحد :

فالولايـــات المتحدة واليابان وأوربا الموحدة تنتج ثلثى إنتاج العالم والولايات المتحدة بمفردها لا يمكنها ممارسة الهيمنة.

٥- الاعتماد المتبادل متعدد المستويات :

الــذى يمكن بمقتضاه أن يتحقق انصهار القوة Diffusion of Power ولذلك فإن المستويات العليا للهيمنة ستكون الاقتصاد المتبادل التى لا تملكه الولايات المتحدة فقط[1].

ولعــل البديل الخامس هو الأقرب لفكرة طبقة كونية عابرة للقومية وهو البديل الذى يتحقق رويداً فى السنوات الأولى من الألفية الجديدة.

ولكــن بماذا تحكم هذه الطبقة سيطرتها على مقدرات الأمور السياسية نسبياً فى ظل هيمــنة قطــب واحــد هو الولايات المتحدة؟ .. هناك القوة العسكرية، والمنظمات الدولية للســيطرة علــى الصراعات الإقليمية بعد تدهور الدولة القومية، وكذا خطاب الديمقراطية الموازى الذى يتحقق به غطاء للمصالح الاقتصادية.

١- القوة العسكرية والتفوق التكنولوجى:

لعــل أبــرز مــثال على ذلك ما نشره جوزيف ناى Nye، الرئيس الأسبق لمجلس المخابــرات الوطــنى ونائب وزير الدفاع للشئون الخارجية فى عهد إدارة الرئيس السابق بــيل كلينــتون والأدمــيرال أوينز Owens نائب رئيس الأركان السابق فى إدارة الرئيس كلينتون أيضاً تحت عنوان (ميزة أمريكا المعلوماتية) فى دورية (شئون خارجية).

يتحدث الكاتبان عن الميزة النسبية للولايات المتحدة بجانب القوة العسكرية والإنتاج الاقتصــادى الكبــير، وهى القدرة على جمع وتشغيل واستخدام وتوزيع المعلومات.. وهى المــيزة الموروثــة مــن الحــرب الباردة وانفتاح المجتمع الأمريكى، وتكنولوجيا تشغيل المعلومــات المتمــثلة فى المتابعة الفضائية بالأقمار الصناعية، البث المباشر، والحاسبات فائقة السرعة والتى لها القدرة على تكامل نظم معلوماتية معقدة.

---

(1) Joseph Nye. **Understanding International Conflicts: An Introduction to theory and History,** (New York: Harper Collins College Publications. 1992), p. 283.

وهـذه المـيزة المعلوماتية لها القدرة على ردع وهزيمة التهديدات العسكرية بتكلفة قلـيلة نسبياً. ففى عالم تغيرت فيه معنى كلمات الاحتواء والمظلة النووية والردع التقليدى يمكـن للميزة المعلوماتية أن تقوى الرابطة المعرفية بين سياسة الولايات المتحدة الخارجية والقـوة العسـكرية وتقدم طرقاً جديدة لحفظ القيادة للتحالفات. وقد اسمى الكاتبان هذه القوة (بـالقوى الرخوة)Soft power التى يمكن لمصادر المعلومات أن تربط الصين أو روسيا والقـوى العسـكرية الكبيرة فى حوارات أمنية لمنعهم من سلك سلوك عدائى أو منع قوى عدائية مثل إيران أو العراق من أن تصبح قوة مهددة.

زيادة على ذلك، يمكنها أيضاً مخاطبة الديمقراطيات الجديدة والشعوب الواقعة تحت حكومـات غـير ديمقراطية وكذا يمكنها المساعدة على حل الصراعات الإقليمية أو منعها فضـلاً عن التعامل مع مخاطر ما بعد الحرب الباردة مثل الجرائم الدولية والإرهاب ومنع انتشـار أسـلحة الدمار الشامل وتدمير البيئة الكوكبية. ويقدم ناى وأوينز تدليلاً على أهمية القوى الرخوة بقولهما "وإن كانت المقاييس التقليدية لقوة الدولة مثل القوة العسكرية والناتج القومـى الإجمـالى، مصـادر الطاقة، عدد السكان، مساحة الأرض، ستظل هامة لكنها لم تستطع التنبؤ بسقوط الاتحاد السوفيتى الذى تمتع بكل ما سبق وافتقد للقوة الرخوة.

والـتحول الكـيفى فى قدرة الولايات المتحدة الأمريكية يكمن فى التعامل مع بيئات قتالـية مخـتلفة سواء كانت صحراوات أو أحراش أو غابات أو مناطق سكنية عن طريق تطويـر نظـم الـتحكم والقـيادة وتكنولوجيات الاتصال لنقل صورة عن بيئة القتال يمكن للجيوش استخدامها فى التو.

ويضـيف ناى وأوينز متنبئين أن المناخ السياسى والاقتصادى والتكنولوجى موات لتعظـيم دور الولايـات المـتحدة فى استخدام (القوة الرخوة) لإحراز قدراً كبر من القبول للأفكـار والـثقافة الأمريكية وكذا نماذج مؤسساتها الاقتصادية والسياسية فضلاً عن طرق

بـناء شـبكات اتصـالها .. "ومن ثم إقناع كل ممن لا يرى فى كل أوجه الثقافة الأمريكية مجالاً جذاباً كالأصوليين الإسلاميين" [1].

ولعـل الـنص السـابق هو نص دال على "العدو" أو "الأعداء" المحتملين للولايات المـتحدة التى يجب أن تسود فى مجال "القوة الرخوة" حتى تقنع أو تقمع من تسول له نفسه عـدم الإعجاب بأوجه الثقافة الأمريكية. وذكر "الأصوليين الإسلاميين" من قبل ناى وأوينز يحدد هوية الرافضين لهيمنة الطبقة الرأسمالية عابرة القومية وقيم ثقافتها.

●●●

٢ – المنظمات الدولية :

أ– الأمم المتحدة :

كـان للولايـات المـتحدة مـنذ انهيار الاتحاد السوفيتى السابق عظيم التأثير على قـرارات الأمـم المـتحدة طـوال عقد التسعينيات، ومارست الولايات المتحدة الكثير من الضـغوط على سكرتارية الأمم المتحدة لاسيما فى عهد بطرس غالى، سكرتير عام الأمم المـتحدة فى الفترة من (١٩٩١ – ١٩٩٦) وامتدت الضغوط لعدم تمديد فترة ثانية له، فيما فهـم الـدرس جيداً كوفى عنان السكرتير الحالى للأمم المتحدة الذى اعتبر نفسه منفذاً فقط لصراع القوى الكبرى فيها. ويمكن رصد تأثير الولايات المتحدة فى عدة مجالات :

- مبادرة الرئيس الأمريكى الأسبق جورج بوس عام ١٩٩٠ لتعظيم دور الأمم المتحدة فى تقديـم "المسـاعدات الانتخابـية" بقـرار الجمعية العامة رقم ٤٦/٣٧ بدعم كفاءة وجود انـتخابات حقيقية فى أوقات محددة لا يمكن خرقها، وتشجيع تدخل الأمم المتحدة لتطبيق انتخابات حرة فى البلاد بمراقبة ومشاركة كبرى من الولايات المتحدة.

---

(1) Joseph S. Nye. Jr. & William A. Owens: **America's Information Edge**, Foreign Affairs. Vol. 75. No. 2. March – April 1996. pp. 20 – 36.

- اقـتراح الولايـات المـتحدة كـل العقوبات الصادرة ضد العراق، وكذا اقتراحها قراراً بالسـماح للعـراق ببيع حصة محددة من نفطه مقابل ما يسمى بالسلع الإنسانية من دواء وحليب أطفال.

- الفيتو الأمريكى ضد قرار الجمعية العامة رقم ٤٦/٨٢ الذى يقضى بأنه لن يتحقق سلام عـادل وشـامل فى الشرق الأوسط إلا بانسحاب إسرائيل من الأراضى التى احتلت عام ١٩٦٧ بمـا فـيها القدس، وكذا الفيتو الأمريكى الذى يعترض على قرار الجمعية العامة الـذى اعتـبر ما تفعله إسرائيل فى القدس من ضم وتهويد عملاً باطلاً وغير مشروع، وكذلـك معارضــة الولايـات المـتحدة عام ١٩٩١ اعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصـرية، بسـعيها إلـى إلغـاء قرار الجمعية العامة ٣٣٧٩ الصادر بهذا الشأن عام ١٩٧٥.

- سـعى الولايات المتحدة للسيطرة على أسلحة الدمار الشامل بعد انتهاء الحرب الباردة، فقد ساهمت الولايات المتحدة بشكل رئيسى فى تأسيس لجنة (Objective Information on Military Matters)(O!MM) المنبـثقـة عـن الأمم المتحـدة لمراقبة عملية نزع السـلاح النووى، وتدعيم الاقتراب الإقليمى لنزع السلاح فى إطار رعاية الأمن الكونى Global Security وربما تكون هذه هى المرة الأولى التى يذكر فيها كلمة (Global) فـى سـياق شـأن سياسـى واستراتيجى، وقد دعت الولايات المتحدة إلى عقد عدد من مؤتمـرات نـزع السـلاح الـنووى، ومنع التجارب النووية، والسيطرة على الأسلحة الكـيماوية والبيولوجـية، وأسـلحة الفضاء الخارجى، وهو ما يناقض توجهاتها العملية نفسها وتوجهات إسرائيل بالطبع.

- اهـتمام الولايـات المـتحدة بالقضايا السكانية، وتركيز خطابها على الاستعمال الواسع المـدى لوسـائل مـنع الحمـل، مساهمة بأكبر ميزانية فى مؤتمر السكان الذى عقد فى القاهرة عام ١٩٩٤، بحوالى نصف مليون دولار.

- اهتمام الولايات المتحدة بمحاربة كل أشكال عدم التسامح الدينى وقيادتها لـ (٢٥) دولة أخرى للتوصل إلى قرار رقم ١٩٩١/٦٣ الذى يوصى بحماية الحق فى حرية الاعتقاد واعتناق الديانات المختلفة باعتباره جزءاً من حقوق الإنسان الأساسية [١].

وبينما أعلنت الولايات المتحدة عقد التسعينيات باعتباره عقد الشرعية الدولية والقانون الدولى لفرض سيطرتها على الأمم المتحدة وتمرير القرارات التى يمكن تنفيذها، فارقت ذلك فى بعض الأحداث عندما اكتشفت أن الأمم المتحدة كبيروقراطية دولية يمكن أن تعيقها عن الفعل السريع الحاسم، وهو ما جعلها تستخدم حلف شمال الأطلنطى (الناتو) فى العديد من المهام العسكرية التأديبية ضد العراق، يوغسلافيا وحتى منفردة دون اشتراك الناتو .. وذلك فى مقابل غض النظر عما تفعله القطب الدولى المنهار (روسيا) لحماية مصالحها كما فى شأن الشيشان.

ب- البنك الدولى :

وقد استخدمت الرأسمالية الكوكبية عابرة القومية البنك الدولى (أكبر الجهات المانحة للقروض) استخداماً سياسياً، بالتركيز على انتصار الليبرالية كإطار سياسى حتمى يجب قبوله وذلك بصك خطاب مثالى يرعى حقوق الأقليات ويربطهم بعجلة التنمية دون أدنى حرج من القول بأهمية دعم النظم الشمولية فى بعض الدول لأنها تحقق مصالح الأمم المتحدة، ولأن التغيير الديمقراطى فيها كفيل بمس مصالح الولايات المتحدة، وهو تعامل برامجاتى سبق أن طبقته الولايات المتحدة بنجاح فى شيلى والبرازيل [٢].

<u>وفيما يلى نعرض لأهم أطروحات البنك الدولى فى هذا المجال :</u>

(1) United States Department of State: **United States Participation in the United Nations**, Annual Report. 1992.

(2) The Stanley Foundation. **Change and Stability in the Middle East: How Do We Get There from Here ?** , Report of a Vantage Conference . September 6 – 8. 1991. pp. 10 – 18.

يكـــن رصد الاهتمام بمفهوم المجتمعات المحلية على حساب الدولة فى تقرير البنك الدولـــى عـــن رؤيـــته لدخـــول العالم القرن الحادى والعشرين إذ رأى البنك أنه إذا كانت العولمة تشكل اهتمامات الحكومات الوطنية بالقوى والأفكار والأحداث خارج الحدود، فإن المحلـــية تعلـــى مـــن شـــأن أفكـــار وآمـــال الجماعات الداخلية فى دولة بعينها من خلال اللامركزية والحضرية.

فـــيرى البـــنك أن قـــدرة الجماهـــير على المشاركة فى صنع القرار تطور مستوى معيشتهم وبالتالى تحقق لهم تنمية فعالة ولكن هناك عدد من الشروط التى يجب أن تضعها الحكومات فى الاعتبار عند تطبيق سياسة لا مركزية أهمها :

- أن **اللامركـــزية** عادة ذات دافع سياسى، وهدفها الرئيسى حفظ الاستقرار السياسى وتقلـــيل الـــنزاعات العنـــيفة عـــبر وضع مجموعة من الجماعات معاً فى عملية تفاوض، وطريقة التفاوض هو أساس نجاح المركزية.
- تغيـــير نظـــام الإدارة هـــو أســـاس نجاح المركزية ليس عن طريق تغيير طريقة الانتخابات المحلية فقط ولكن عن طريق وضع برامج توعية للجماهير المحلية.

وفـــيما يتعلق **بالحضرية** Urbanization، فإن إيقاع تطبيق اقتصاد حديث يتزامن مـــع زيـــادة المدن، وعلى الدول ألا تنتظر حتى تصبح غنية لتطوير الخدمات الحضرية، فيمكن أن تصل لذلك عن طريق مراقبة أفضل لأداء القطاعات التالية :

- **الإســـكان** : فـــى هـــذه القضية تحتاج لمشاركة القطاع الخاص والمؤسسات التطوعية والمحليات والمنظمات غير الحكومية.
- **المياه** : المدن الكبيرة تتحول للقطاع الخاص، وبالفعل تم تحويل توريد المياه فى مدن مـــثل بـــيونس أيرس، جاكرتا، مانيلا للقطاع الخاص، ودور الحكومة هو تنظيمها وتشجيع المنافسة.

- **الصــرف الصحى** : والحكومات غالباً لا تستطيع أن تتحمل التكاليف العالية للاستثمار فـــى هــذا المجـــال فـــى المدن الكبيرة ولكن المحليات مع المساعدة التى تقدمها المــنظمات غــير الحكومـــية تحاول أن تطبق حلولاً يمكن تحملها مقدمة نموذجاً للجهود المستقبلية.

- **النقل**: التعليم العام والشراكة المبتكرة يمكن أن تقلل تلوث الهواء، ولكن الخطر الأكبر من المحتمل أن يأتى من تحديات النمو الحضرى وهنا يلزم جهود القطاعين العام والخاص (1).

ويمكـــن رصـــد تداخل بين تطبيق بعض دول أوربا الشرقية "لروشتة" البنك الدولى الـــتى بمقتضـــاها مـــنحها قروضاً، وبالتالى منحها استثمارات مباشرة من شركات متعددة الجنســـيات وبيـــن رعاية هذه الدول لمصالح الولايات المتحدة الاستراتيجية ودخولها حلف شـــمال الأطلـــنطى وربمـــا تكون حالة (بولندا) هامة لدارس العلوم السياسية إذ كان هناك تزامـــن بيـــن طلـــب الرئيس الأمريكى الأسبق جورج بوش من البنك الدولى منح قروضاً سخية لبولندا، وبين بداية المناقشات حول دخول بولندا حلف الناتو (2).

ورغـــم مفارقـــة الخطاب السياسى للمجموعة الأوروبية الخطاب السياسى للولايات المـــتحدة فى عدد كبير من قضايا التسعينيات مثل الصراع العربى الإسرائيلى، الموقف من إيـــران، الموقـــف ممـــا يحـــدث فى البوسنة وكوسوفو، والتدخل فى بعض مناطق أفريقيا كالصـــومال والكونغو الديمقراطية (زائير سابقاً) فإن القوة الأوروبية كانت أعجز عن فعل أى شـــىء غـــير مـــا قررته الولايات المتحدة الأمريكية .. وفى هذا السياق تميز خطاب المملكـــة المتحدة (بحكم العلاقات التاريخية والعرقية والدينية مع الولايات المتحدة) بموافقة

(1) The World Bank Group: **Entering the 21st Century**. Op. Cit., pp. 1 – 17.
(2) Miles Kahler: **The International Political Economy in Charles W. Kegley,** The Global Agenda (New York: McGrow – Hill Inc., 1992), pp. 254 – 259.

الخطـــاب الأمريكي على عكس خطاب كلا من فرنسا وألمانيا، وهو ما سيوضحه المؤلف بالتفصيل حين مناقشة نتائج دراسة التدفق في الفصل الثالث.

● ● ●

ثانياً : صراع الحضارات .. غطاء أيديولوجي للهيمنة الاقتصادية :

١- نقد مقولة صراع الحضارات :

بعـــد انهـــيار الاتحاد السوفيتي السابق، تسارع إيقاع الصدامات العرقية والدينية في العديـــد من بلدان آسيا وأفريقيا بل وامتد إلى أوروبا .. وقد كان من شأن بعض المنظرين الغربيـــن أنهـــم حـــاولوا أن يـــنظروا لما يحدث في العالم من فوضى سياسية بعد إعلان فرنســبس فوكايامـــا-أمـــريكي مـــن أصل ياباني- في كتابه (نهاية التاريخ) عن انتصار الرأســـمالية كنظام اقتصادي والليبرالية كنظام سياسي. تلاه مساهمة أستاذ العلوم السياسية (صـــمويل هنتنجـــتون) بمقال صراع الحضارات الذي نشر في مجلة (الشئون الخارجية) Foreign Affairs عام ١٩٩٢ ثم طوره بـــد ذلك فـــي كتـــاب عـــام ١٩٩٥ تحت نفس العنوان.

وأطـــروحة هنتنجـــتون الرئيسية تتأسس على أن منطق الصراعات الإنسانية القادمة ســـتكون صراع بين حضارات، بين الحضارة الغربية التي تعرف نفسها على أنها يهودية مســـيحية، يونانـــية رومانية من جهة، وبين الحضارة الإسلامية والحضارة الكونفوشيوسية مـــن جهة أخرى .. فيما ستنشأ أيضاً صراعات حضارية جانبية مثل الصراع الإسلامي – الهندوسي.

وهذه التصدعات العرقية هي حقيقة واقعة بالفعل ففي دراسة أجراها روبرت سلاتر Slater أستاذ العلوم السياسية بجامعة كلورادو انتهى إلى أنه :

أ- معظم دول العالم المستقلة (١٧٣) دولة لها تصدعات عرقية وإقليمية خطيرة.

ب- هـناك أكـثر مـن خمسة آلاف مجتمع محلى (أقليات ذات حكم ذاتى) تطالب باعتـبارها أمـة مسـتقلة أو علـى الأقل جماعة عرقية لها حقوقها السياسية الخاصـة، و ٢٣٠ مـن هذه المجتمعات المحلية تشكل ١٧% من سكان العالم أى حوالى ٩٠٠ مليون نسمة.

ج- معظـم الجماعـات العرقـية متمركزة فى منطقة أو مناطق إقليمية متضاربة ومتوزعة على أكثر من دولة، ومعظمهم فى أمريكا اللاتينية والشرق الأوسط.

د- حوالى ٥٠ من هذه التجمعات الأخيرة (٢٣٠) بها إحياء دينى أو عرقى قوى، ١٤٢ تقـوم بأعمـال عنف سياسى ضد السلطات، وكذا هناك ١٦٧ تجمعاً به حركة احتجاج غير عنيف فى شكل مطالبات سلمية ومظاهرات.

وقـد نقل سلاتر عن (ليس أسبين Aspin) عضو الكونجرس الأمريكى قوله أن هذا يُعـد مظهـراً مـن مظاهر عدم وضوح شكل العلاقات الدولية فى مرحلة ما بعد الحرب الـباردة "فنحـن فى غابة بها مخاطر عديدة، مصائد خفية، مفاجآت غير سارة، وغموض أخلاقـى، ففى عالم الأمس كان هناك الرجـال الطيبون Good Guys، والرجال الأشرار Bad Guys، ولكننا الآن فى عالم الرجال الرماديين Grey Guys" [١].

وفـى الحقـيقة أن التغيرات الدراماتيكية العميقة التى أحدثتها مجموعة متزامنة من المحـددات السياسية (سقوط الاتحاد السوفيتى والكتلة الاشتراكية، انفراد الولايات المتحدة كقطـب واحـد مهيمن)، والمحددات الاقتصادية (تعاظم حجم الشركات متعددة الجنسيات، وتأثـير البيروقراطـيات الكوكبـية الكبرى)، والمحددات التكنولوجية والاتصالية (الموجة الثالـثة، ثـورة المعلومـات) قـد أحدثت ازدواجية داخل المواطن الفرد، واتخذ الصراع

---

(1) Robert Slater, **Conflict and Change in the International System in Robert Slater et al (ed.) : Global Transformation and the Third World,** (Colorado: Lynne Rienner Publishers. 1993). pp. 311 – 315.

الموصـــوف بالصــــراع الطـــبقى طابعـــاً أخـــراً، وأصبح صراعاً نفسياً ذا طابع ثقافى أو حضارى، ولذلك فإن المؤلف يرى ما يراه محمد سيد أحمد من أنه ليس هناك شيء قدرى فى صدام الحضارات، وما هو فى النهاية إلا شكل من أشكال ممارسة الصراعات الطبقية التقلـــيدية ولكـــن فى ظل تركيبات دولية ذات سمات متميزة" [1]وهو ما يتسق مع تحليلنا بأنها الطبقة الرأسمالية عابرة القومية والمتحالفين معها والطامحين للانتماء إليها.

ولعـــل هـــذا الـــنقد هـــو الأهـــم بيـــن الانتقادات الكثيرة التى نالتها نظرية صراع الحضـــارات الـــتى مـــا هى إلا غطاء للصراعات الاقتصادية، ومن بين الانتقـــادات التى توضح آليات عمل الخطاب السياسى الأمريكى :

أ- وصـــف إدوارد سعيد صاحب أطروحة الاصطدام بين الحضارات بأنه غير أصيل فى أطروحـــته خبـــير فـــى علـــم تدبير الأزمات ومن ثم فإن أطروحته ليست إلا إحدى التداعـــيات الـــتى تعيشها الإدارة العسكرية الأمريكية، وأضاف إدوارد سعيد بأن هذه الـــنظرية تســـتمد أصـــولها من إطارين مرجعيين الأول يدخل فى سياق الاتجاه العام لفرنســـيس فوكايامـــا، بـــول كيـــندى، كونور ركرويز، إيريك هوبسباوم وغيرهم من انشـــغلوا بالبحث عن أسباب الصراعات المحتملة والمتوقعة فى المستقبل، والثانى يرد فـــيه إدوارد ســـعيد (مفهـــوم الاصـــطدام بين الحضارات) عند الاستشراق المعاصر وأعلامه شارل كروثمر، سرجى ستانكفنيتش وبرنارد لويس.

ويرى إدوارد سعيد أن هنتنجتون قدم فهماً اختزالياً للإسلام ولغيره من الحضارات غير الغربية وهو بجمعه كل هذه الحضارات فى جبهة واحدة مقابل جبهة الغرب يعبر عن هويته من حيث أنه خبير لتدبير الأزمات وليس تلميذاً للحضارات وتاريخها.

---

(١) محمـــــد سيـــد أحمـــد : عصــــر المـــراجعات، ظاهرة الانتماء لأكثر من طبقة، الأهرام، ١٩٩٨/١١/٢٤.

ب- انـــتقاد ياماوتشـــى ماســـويوكى أســـتاذ تاريخ الإسلام ورئيس قسم الدراسات الإقليمية بجامعـــة طوكـــيو، حيث يكشف عن التناقض بين توقعات هنتنجتون بصراع حضارى مبـــنى علـــى التكـــتلات الإقليمـــية الحضارية، وبين إقراره بأن العهد القادم هو عهد الحضـــارة (المعلوماتـــية والمعلومـــات) والتى من أهم خصائصها أنها حضارة عابرة للحدود والأقاليم والقارات وهى حضارة لا تتقيد بالمعنى الأنثروبولوجى للثقافة المبنى علـــى الفواصل الواضحة بين الهويات والسيادات والحدود، كما يكشف ماسايوكى عن تـــناقض الخطاب الغربى بإدماجه لليابان ضمن الغرب خلال فترة الحرب الباردة فيما بدا يميل هذا الخطاب بعد التحولات العالمية الأخيرة إلى إخراج اليابان من الغرب من جهـــة والـــتخوف من إدخاله فى خانة حضارية أخرى بل يتم عزله – كما فى خطاب هنتنجتون – ضمن حضارة / خانة مستقلة.

ج- انـــتقاد المصطفى الرزرازى المصطفى بأن هنتنجتون بحكم معرفته المتواضعة حول تـــاريخ الإســـلام وحـــول علـــم الحضارات لم يستطع أن يتجاوز المفهوم الكلاسيكى للحضـــارة والـــذى من سماته أنه مفهوم استاتيكى، فمفهوم الحضارة الإسلامية مفهوم غـــير دقـــيق خاصـــة إذا مـــا تبنينا التعريف الذى يعطيه مستشرق لامع مثل مارشال هودســـون للحضارة باعتبارها تجمعاً واسعاً نسبياً من الثقافات المترابطة التى ترافقت مع تقاليد متراكمة فى شكل ثقافة عالية على المستوى الدينى والحضرى .. فضلاً عن أن هـــناك تمـــيزاً فى الحضارة العربية الإسلامية بين الفلسفة الإسلامية (المستمدة من البـــناء العقـــائدى للإســـلام) وفلســـفة البلاد الإسلامية أو المسلمة وفيها روافد خارج الإسلام.

وإن كـــان الـــرزرازى مصطفى يقرر بأن هنتنجتون قد أتى بكثير من المعلومات والملاحظـــات الدقيقة وأن كان هنتنجتون كيفها وفق تحليل مسبق معين إذ أنه لم يقصد

التأريخ للوضع العالمى المعاصر بل استعجال الرأى العام الدولى – والأكاديمى بالأخص – لدراسة حالة الأزمة التى يعانى منها المجتمع الدولى [1].

د- ما رآه طلعت الشايب من أن كتاب هنتنجتون (المطور عن المقالة) هو تواطؤ بين المعرفة والسلطة، وإسهام من مثقف أمريكى لتنوير السياسى الأمريكى كى يدير العالم فى المرحلة القادمة، من منطلق عدم الفصل بين الإسلام كحضارة والإسلام كدين ووصم الإسلام بالعنف وكأن مكونه الأساسى هو العداء للغرب، وحتى دون بيان للمعتدى والمعتدى عليه فى الأحداث التى ساقها [2].

ويضيف المؤلف أن الاهتمام بالشأن الإسلامى أو شئون العالم الإسلامى هو اهتمام سابق على انهيار الاتحاد السوفيتى السابق كما سيبين لاحقاً، وإن كان يعنينا هنا التأكيد على أن مقولة صراع الحضارات هى غطاء للصراعات والاحتجاجات الطبقية ذات الطابع الدينى (إسلامى – هندوسى .. الخ) والتى استشرت فى العالم بفعل العملية الكوكبية الدائرة على المستوى الاقتصادى فى الأساس.

ولكن بماذا تتحقق السيطرة الأمريكية على الفوضى التى أحدثتها محاولة السيطرة على العالم من خلال فعاليات الطبقة الرأسمالية عابرة القومية؟

تستخدم الولايات المتحدة فى ذلك قوتيها الرئيسيتين : القوة العسكرية المسلحة بتفوق تكنولوجى تحرص على التميز فيه، ومن خلال المنظمات الدولية سواء كانت الأمم المتحدة أو البنك الدولى كآلية للتفاوض والمساومة لحماية الاستقرار الذى يحفظ الأسواق، فاستراتيجية الولايات المتحدة فى عقد التسعينيات تتجسد فى حصر الصراعات الإقليمية

---

(١) المصطفى الرزرازى المصطفى: مرجع سابق، ص ص ١ – ١٨.

(٢) طلعت الشايب : هكذا تكلم صمويل هنتنجتون ، سطور ، عدد (١٦) ، مارس ١٩٩٨ ، ص ص ١٢ – ١٥.

حتى لا تمتد آثارها السلبية على أداء الشركات الأمريكية أو تعوق الوصول لمصادر الطاقة، وفى هذا الصدد يمكن أن تستخدم الولايات المتحدة الإقناع بالقدرة على تقديم عروض مغرية مقبولة لأطراف النزاع، إيجاد مصادر مالية لتمويل أطراف الصراع إن اقتضى الأمر، والقدرة على نقل مركز الثقل العسكرى من طرف لآخر، وهذا ما ظهر بنجاح فى السيطرة على أزمة البوسنة وكوسوفو بتسليح المسلمين، والحرص على التوازن بين تركيا واليونان [1].

وسيعرض المؤلف نماذج للخطابات المعبرة عن ذلك.

٢- الخطاب الأمريكى تجاه بلدان العالم الإسلامى فى التسعينيات :

يمكن رصد أساليب اقتراب الخطاب الأمريكى من تحقيق المصالح الأمريكية. والمؤلف فى هذا السياق يعنى بخطاب السياسيين والاستراتيجيين دون المستشرقين والباحثين فى شئون الإسلام :

فقد قرر معهد الدراسات الإستراتيجية القومية الأمريكى أنه من المحتمل أن تكون السنوات فيما بين ١٩٩٦ – ٢٠٠٥ فترة حاسمة بالنسبة للعديد من البلدان فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، فجميع هذه البلدان لديها فائض سكانى كبير ومعدلات للنمو متدنية تهدد بالقضاء على مكاسب النمو الاقتصادى للعديد من الأقطار، وسيكون لمعظمها اقتصادات راكدة مرتبطة بسوق راكد للنفط أو عائدات متقلصة للعاملين فى الخارج.

وسوف تواجه بعض الحكومات مشكلات للخلافة تثير الاضطراب ، وربما سيكون الإسلام الراديكالى أو السياسى – استخدام الدين من قبل المسلمين الساخطين كأيديولوجية لصياغة برنامج للعمل السياسى – هو العامل الأهم والذى ينطوى على إمكانية لتقويض الاستقرار ومن المرجح أن تظل الحركية الإسلامية، سواء فى صيغتها

---

(1) William Zartman: **Changing Forms of Conflict Mitigation in Robert Slater et al,** Op. Cit., pp. 332 – 337.

المعـــتدلة التوفيقية التى تسعى للعمل من خلال النظام أو فى صيغتها الأكثر تطرفاً وتشدداً الـــتى تســـتخدم الترهيب والعنف، الصوت الرئيسى للمعارضة السياسية فى المنطقة خلال هذه الفترة (١).

وفـــيما يـــتعلق بقضية الحركات الإسلامية الراديكالية فى العالم الإسلامى فحتى قبل مقـــال صـــمويل هنتنجـــتون الشـــهير (صراع الحضارات) كان هناك توجس أمريكي من الحـــركات الإسلامية فى الشرق الأوسط أن تحل محل الاتحاد السوفيتى السابق فى مناوأة المصـــالح الأمريكـــية فى منطقة الخليج خاصة.. ففى مؤتمر عقدته مؤسسة ستانلى بولاية مـــيرلاند عـــام ١٩٨٩ عن مستقبل الشرق الأوسط انتقد معظم الحضور التطبيقات الجامدة للصور الذهنية للإسلام إذ أن هذا المنحى ليس فقط سيمنع تواجد فهم إيجابى عن الإسلام، ولكـــنه يمكن أن يخلق رضا عن النفس يعود بنتائج غير مرغوبة على المصالح الأمريكية، وهـــو مـــا ســـيجعل هذه الحركات مدركة أيضاً لعداء الولايات المتحدة .. وعندما يتحول الصـــراع إلـــى المواجهـــة فـــإن الساســـة والمتنورين سيختفون وسيحل محلهم الهمجيون والمقاتلون .

فالجماعـــات الإســـلامية مختلفة فى تأويلها للدين وتطبيقاته السياسية التى يمكن أن تنـــبع مـــن معتقداتهم ولذا من المهم أن تدعم النخب الأمريكية معلوماتها عن هؤلاء القادة والتمثلات السياسية لحركاتهم.

ويوصـــى تقرير المؤتمر أن يتم الاتصال بالإسلاميين وإفهامهم أن الولايات المتحدة غـــير معاديـــة لهـــم إلا بقـــدر معـــاداتهم لمصالحها وأن الولايات المتحدة تدعم حقهم فى المشـــاركة السياسية فى أقطارهم، ولعل هذا يفسر حوار الولايات المتحدة مع عباس مدنى

---

(١) معهـــد دراســـات الاستراتيجية القومية بالولايات المتحدة: **الراديكالية فى الشرق الأوسط**، المركـــز العـــربى للدراسات الاستراتيجية، سلسلة (ترجمات استراتيجية)، عدد (١١)، السنة الثانية، يوليو ١٩٩٧، ص ص ٢٥– ٢٨.

قـيادى جـبهة الإنقـاذ الإسلامية فى الجزائر وإيواءها للشيخ المصرى عمر عبد الرحمن وكذلـك ينطـبق ذلـك على دعمها للسعودى المنشق أسامة بن لادن قبل انقلابه عليها [1]. ويمكـن حصـر أهـم محـاور الاهـتمام الأمريكى خلال العقد الأول من القرن الحادى والعشرين فيما يلى: [2]

أ- الوصول إلى النفط وخطوط الاتصال الاستراتيجية :

تـتحدد المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط فى تأمين وصول لا تعترضه عوائق لمصدر طاقة يكون رخيصاً نسبياً ويمكن الاعتماد عليه، وهو النفط أساساً والمحافظة على خطـوط الاتصـال مفتوحة وآمنة، وتتمثل فى الطرق البحرية الرئيسية كمضيق هرمز ، وقـناة السـويس. لكـن الخطـاب الأمريكى يحدد صراحة أن هناك شكوكاً فى أن تكون الليبرالـية السياسـية والاستقرار متلازمان فى الشرق الأوسط لأنه قد يجلب قوى إسلامية معاديـة لأمـريكا وإسرائيل وبهذا تصبح سياسة غير عملية لأمريكا ولذلك يجب ألا تشجع أمـريكا الديمقراطية فى الدول الصديقة ذات الأنظمة المحافظة. وإن كان هناك رأى آخر يشجع العملية الديمقراطية لأنها على المدى الطويل ستحدث تجزئة للقوة الإسلامية وتسلبها قوتهـا علـى الحشد العدائى تجاه أمريكا وكذلك فإن العملية الديمقراطية ستجعل بقاء قوة واحـدة فى السلطة أمراً مستبعداً .. لأن الاحتفاظ بأنظمة قمعية لها شرعية غير مجد على المدى الطويل.

ب- توازن القوى الاقتصادى :

إن الولايات المتحدة فى سباق شديد التنافس مع البلدان الأوربية والأسيوية من أجل

---

(1) The Stanley Foundation . **Changing and Stability in the Middle East** . Op . Cit., pp. 10 – 18.

(٢) معهـد الدراسـات الاسـتراتيجية القومية بالولايات المتحدة: الراديكالية فى الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص ص ٢٥ – ٢٨.

الوصـــول المتزايد للأسواق المحلية المربحة، ومن أجل تجارة وفرص استثمار فى مجال الأعمــال متوســعة، ومــن أجل مبيعات السلاح. وروسيا جزء من هذه المعادلة رغم أنها لاتتمـــتع بـــالقوة التنافســية ولا الأيديولوجية التى استطاع الاتحاد السوفيتى تعبئتها خلال الحرب الباردة.

ج- عملية السلام :

إن تأيــيد إنهـــاء حالة الحرب بين الدول العربية وإسرائيل من أجل الإنهاء الناجح لمفاوضـــات السلام، يأتى فى مقدمة أولويات جداول أعمال رؤساء الولايات المتحدة طيلة العقود الماضية ويستمر فى العقد الأول من القرن الحالى.

د- عزل الدول المنبوذة أو المارقة :

إن للولايات المتحـــدة مصلحة فى عـــزل الحكومات الإقليمية التى تدعـــم الإرهاب

الدولـــى وتهـــدد الاســـتقرار الإقليمى وتسعى وراء أسلحة الدمار الشامل المقوضة للاســـتقرار وهـــدف الولايـــات المتحدة هو إرغام هذه الحكومات على تعديل سلوكها غير المقبول، وإضعاف قدرتها على إحداث أضرار بالمصالح الأمريكية.

ربما يقرر منظرو العلوم السياسية أن بداية الاحتواء المزدوج للعراق وإيران قد بدأ حـــتى قـــبل غـــزو العراق للكويت (وربما بسبب هذه السياسة حرضت الولايات المتحدة العـــراق لغزو الكويت). حيث أن الاستراتيجية الأمريكية عام ١٩٨٩ أنبنت على إدراك أن العـــراق خرج من حربه مع إيران وهو قوة عسكرية كبيرة، وكذلك كانت هناك شكوك من تكوين مجلس التعاون العربى مع مصر والأردن واليمن الشمالى فى ذلك الوقت وكذا كان مـــن الملاحـــظ أن العـــراق يمد بصره إلى جزيرة بوبيان الكويتية التى ربما تكون إضافة للميـــناء الوحيد على الخليج فى (أم قصر). ومنذ وقت مبكر اقترح المنظرون الأمريكيون تحـــت عوامـــل ضعف كثيرة اعترت الاتحاد السوفيتى قبل سقوطه توجه القوة الأمريكية

للحـــذر مـــن القـــوى الإقليمـــية فى الخليج وحل مشكلة شط العرب، وإعادة تقييم التواجد العســـكرى الأمريكى فى المنطقة، واحتواء انتشار أسلحة الدمار الشامل فى منطقة الخليج وكذا الأسلحة التقليدية المتقدمة (١).

والنصـــوص الســـابقة تكشف عن دور الخطاب السياسى فى كسح الألغام السياسية الـــتى يمكن أن تعوق مركبات الطبقة الرأسمالية عابرة القومية إلى أسواق العالم الإسلامى من خلال تحييد أية أنظمة أو جماعات تتناقض مصالحها مع مصالح هذه الطبقة.

● ● ●

(1) The Stanley Foundation: **US Policy in the Persian Gulf: New Beginnings,** Vontage Conference, Queenstown, Maryland, April 13 – 15 1989, pp. 1 – 5.

خطاب العولمة الثقافى والإعلامى

يعالج هذا الجزء من الفصل العوامل التى ساعدت على أفول المناخ الدولى المطالب بنظام إعلامى دولى متوازن بعدها يناقش أهم آليات العولمة الإعلامية المتمثلة فى تركيز ملكية المؤسسات الإعلامية الكبرى فى العالم واندماجها مع شركات الاتصالات والبرمجيات، وكذلك شبكة الإنترنت وتجلياتها الثقافية والحضارية، ويناقش بعدها فى نهاية هذا الجزء أهم مظاهر العولمة الثقافية والإعلامية المتمثلة فى سيادة ثقافة ما بعد الحداثة.

• • •

من بين الأشياء الهامة التى تنبأ بها هربرت شيللر تعاظم الصراع حول الاتصالات الإعلامية والثقافية على الصعيدين الوطنى والدولى بين أولئك الذين ينشدون وضع حد للهيمنة (وكان يقصد بها هيمنة رأسمالية الثمانينيات) وبين أولئك الذين يسعون للإبقاء عليها [1].

وكما قدمنا سلفاً فإن الرأسمالية الكوكبية فى عقد التسعينيات، تقدمت خطوات واسعة تجاه تحقيق هذه الهيمنة التى تضمن بها سهولة عمليات الاندماج والتشبيك وحفظ نسق القيم –الاستهلاكية بالأساس– التى تضمن أن تتم هذه العمليات بأقل قدر من المعارضة ولذا كان الجناح الإعلامى والمعلوماتى للطبقة الرأسمالية عابرة القومية شديد الفعالية فى حفظ الهيمنة من خلال تكوين شركات إعلامية عملاقة عابرة للقومية أو متعددة الجنسيات، ومن خلال السيطرة على محتوى هذه التجمعات العملاقة وضمان تدوير هذه المحتويات

(١) هربرت شيللر: **الاتصال والهيمنة الثقافية**، ترجمة: وجيه سمعان، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣)، ص ١٣.

عـــبر الفضــــاء الكونى لا من خلال الحكومات التى كانت تتحكم إلى حد ما فى المحتوى القديـــم ولكن رأساً إلى مستهلكيها فى العالم الثالث وما كان يعرف سابقاً بالعالم الثانى بعد انهـــيار الاتحـــاد السوفيتى السابق، ولما كانت اللغة من أهم عوائق تحقيق هذه الهيمنة فقد تكفـــل التركـــيز علــــى الصورة ذاتها كوسيط فى تغيير آليات تحقيـــق السيطرة من آليات الإقناع إلى آليات الحقن والتأثير المباشر.

وقـــد زادت هذه الهيمنة بفضل السيطرة على خطاب المؤسسات الدولية التى كانت تســـعى لتأســـيس نظام إعلامى عالمى جديد مثل اليونسكو، بفضل فشل دول الجنوب فى تحقيق أى تجمع قوى مؤسس من الحكومات أو رجال الأعمال لمعادلة أو على الأقل تقليل هيمـــنة الشمال، وحتى هذه التعبيرات أصبحت قديمة، إذ تم "عولمة" الدول، وإدماج رجال الأعمـــال المحليين فى العالم الثانى والثالث الأمر الذى لا يسمح عملياً بتجمعهم حول أمر لايحقق لهم أى مصلحة.

فعلى حد تعبير مجيد تهرانيان وكاثرين تهرانيان، تحولت القرية الكوكبية التى بشر بهـــا مارشـــال ماكلوهـــان إلـــى إقطاعـــية حديثة، بها قلعة غنية ومحصنة (مراكز العالم الصـــناعية والمالـــية والإعلامـــية) محاطة بمزرعة واسعة يعيش فيها الفلاحون المعدمون الذين يصرخون طلباً للحياة والاعتبار (هوامش العالم) [1].

أمـــا اليونســـكو فـــى عصر العولمة فقد نسى "أجندته" السابقة أو تناساها، نسى أو تناســـى الحـــق فى الاتصال، السيطرة عبر القومية على وسائل الإعلام فى العالم، حقوق ومســـئوليات الإعلاميـــن، سياســـات الاتصـــال الوطنية، وأصبح يركز على التدفق الحر للمعلومات وخفض ميزانيات البحوث على حساب ميزانية المؤتمرات والندوات التى تدعو لإفـــادة العالم الثالث من التقنية الجديدة ودورها فى التنمية وتزامن التوسع فى البث المباشر

---

(1) Majed Tehranian and Katherine Kia Tehranian, **Taming Modernity: Towards a New paradigm in Ali Mohammadi (ed.): International Communication and Globalization** (London: Sage Publications. 1997), p. 164.

عـبر الأقمـار الصـناعية مـع تصريح مدير اليونسكو فردريكو مايور عام ١٩٨٨ بأن اليونسـكو يجب أن ينأى بنفسه كمنظمة دولية عما كانت تروجه دول العالم الثالث والكتلة الاشـتراكية من نظام جديد للإعلام قائلاً "هذا بيت الحرية، ولا نستطيع أبداً أن نعمل ضد دسـتورنا .. مهمتـنا ضـمان تدفق حر للمعلومات" (١) وبعد سنوات قليلة – وتحديداً فى أعقـاب مشـروع الرئيس الأمريكى الأسبق جورج بوش الذى بشر بنظام عالمى جديد تم صـك مصـطلح آخر هو NWICO النظام العالمى الجديد للمعلومات والاتصال الذى كانت منطلقاته هى عين منطلقات صندوق النقد الدولى، والبنك الدولى، ومنظمة التجارة العالمية مـن حيـث الاندماج والتشبيك وتعظيم دور التقنية فى نقل محتويات وسائل الإعلام لدول العالم الثالث.

ومـع اسـتدارة منتصـف التسـعينيات تم نقل مركز الثقل الذى تُناقش فيه القضايا الإعلامـية والمعلوماتـية من اليونسكو إلى هيئات أخرى مثل منتدى دافوس الاقتصادى، ومـع تعاظم العملية الكوكبية الاقتصـادية لم يعد صاحب الأمر رجال الـدولة أو الساسة ولا العلمـاء والمفكريـن، وإنمـا أصبحت النواة الداخلية الصلبة للفاعلين هم رجال المال والأعمـال أصـحاب ومـدراء الشركات الكوكبية العملاقة حول طليعتهم فى المؤسسات المعنية بالمعلومات.

ولذلـك لـم يكن مستغرباً أن يكون نجم منتدى دافوس لعام ١٩٩٧ هو (بيل جيتس) مديـر شـركة مايكروسوفت الذى قدمه المدير التنفيذى لمنتدى دافوس كلود سمادوجا على وزراء الاقتصـاد والمالـية وأسـاتذتهما، والـذى – أى بيل جيتس – جاء خطابه موائماً لخطاب العولمة الاقتصادى الذى قدمنا شرحه، ولرؤيته هو ذاته فى كتابه (The World Ahead) أو مسـتقبل العالم باعتبار "أننا على أعتاب مرحلة جديدة غير مسبوقة تغير فيها

(١) مـايكل تريبر، كارل نوردنسبرج (محرران): **أصوات قليلة وعوالم كثيرة**، (القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، ١٩٩٤)، ص ص ٥ – ١٠.

التكنولوجـيا وجه الاقتصاد والسياسة ومن ثم حياة الناس بشكل ثورى غير مسبوق وعلى العـالم أن يجنى ثمار هذه الثورة بقبول أفكارها ونسق قيمها الأدائى، فى الوقت الذى تمثل فـيه منظومات القيم الأخلاقية والمعايير الموضوعية العلمية فى إطار مختلف الحضارات والأديـان والأنظمـة الفلسفية سلفية لابد من الإطاحة بها لو أراد الإنسان الجديد أن يدخل عـالم الجـنة الجديد بشرط أن يرضى بدوره تابعاً ومنفذاً وأداة، لا مفكراً وصاحب قرار وفاعلاً فى عملية صياغة العالم الجديد" (١).

وفـيما يلى سيعرض المؤلف أهم آليتين إعلاميتين للعولمة وهما الشركات الإعلامية الكـبرى وتركـيز ملكيتها ، وشبكة الإنترنت ، فيما سيشرح بعد ذلك أهم مظهر ثقافى – إعلامى للعولمة ألا وهو سيادة ثقافة ما بعد الحداثة.

●●●

أولاً : الشركات الإعلامية الكبرى وعصر « الديجيتال » :

كانـت شركات صناعة الإعلام والمعلومات على وعى بالتحول الصناعى الذى بدأ عـام ١٩٩٣، إذ كـانوا فـى انـتظار مـا يسـمى بالـتحول / الانقـلاب التكنولوجى Technological Convergence، والـذى يـتلخص فى التداخل الراهن بين التليفزيون والتلـيفون والكمبـيوتر والمضـمون فـى صناعة وتكنولوجيا واحدة. فقد بدأت شركات الإنترنـت فـى شـراء أنظمـة التليفزيون الكابلى، واختبرت شركات الكابل طرق لحمل وتوصـيل المكالمـات التليفونية، فيما كانت شركات الكمبيوتر تفكر فى الطرق التى تضع فـيها المنـتج الفيديوى على شاشاتها فى الوقت التى فكرت فيه صناعة السينما فى هوليود فى بيع أفلامها من خلال خطوط التليفون (٢).

ويقرر كيفين مانى Maney أن أول تلك المحاولات الاندماجية كـانت بين شركتى

---

(١) أنور عبد الملك: **الجبال والرمال**، الأهرام، ١٩٩٧/٢/٢٥.

(1) Kevin Maney. **Megamedia**. (New York: John Wiley & Sons Inc., 1995). pp. 11 - 20.

بـيل أطلانطـيك (أكبر شركة تليفونات أمريكية بعد AT&T) وشركة TCI أكبر شركة أمريكية لتليفزيون الكابل، وتلى ذلك إعلان شركة Pacific Telesis لخدمات الاتصالات أنهـا سـتمول مشـروع يـبلغ تكلفته ١٦ مليار دولار لبناء شركة معلومات فيديوية فى كاليفورنـيا، بعـد ذلك تنافست شركتا فياكوم، QVC لخدمات تليفزيون الكابل على شراء اسـتوديوهات شـركة بارامونت وهى المعركة التى كسبتها فياكوم، وكذا اندمجت شركتا: South Western Bell مع الذراع التليفزيونى لمجموعة Cox للإعلام ومع عام ١٩٩٥ كان السباق محموماً على ما يسمى بالطريق السريع للمعلومات، وبسرعة خرافية.

وقـد حدثـت هذه الثورة بفعل شيئين أساسيين: التكنولوجيا الرقمية، والشبكات ذات الحـيز الـواسع Broadband Networks فـالتكنولوجيا الرقمية – ببساطة – تقرأ المعلومـات على شكل سلاسل من الآحاد والأصفار ١'s – 0's على النقيض مع الطريقة الميكانيكـية القديمـة Analog الـتى تقـرا البيانات كموجات مختلفة الطول، وبدأ نجاح تطبـيقات التكنولوجيا الرقمية فى مجال سماع الموسيقى على الكومبيوتر باستخدام CD's الاسـطوانات الممغـنطة الـتى تسجل عليها الموسيقى فى مسارات Tracks، وفى مجال مشـاهدة الفـيديو على أقراص DVD ثم بدأت كل الشركات العاملة فى مجال الموسيقى والأفـلام والألعـاب الفيديوية والكتب والمجلات، والتليفونات تلجأ للطريقة الرقمية، تدعم القفـزة الهائلـة فـى مجال إنتاج البرمجيات المستخدمة لتشغيل وقراءة كل هذه المنتجات الإعلامـية، كمـا أتاحـت التكنولوجـيا الرقمـية الفرصة لضغط حيز إرسال المحطات التلفزيونـية عـبر الأقمـار الصناعية ليستوعب حيز صغير عدد كبير جداً من المحطات التليفزيونية (٨ بدلاً من ١ فى نظام Analog).

وفـى عدة أشهر قليلة كان هناك كثير من التباديل والتوافيق، الفك والارتباط، لهاث وراء أعلـى مصلحة وعائد تجارى يحققها مدراء تنفيذيون كرسوا وقتهم وجهدهم وذكائهم لتحقـيق أعلـى ربحـية فيما يسندهم جيش من العاملين فى مجال البرمجيات لخدمة هدف

واحـد: كـيف يصـل المنـتج سـواء كانت سلعة أو خدمة عبر الإعلان لأكبر عدد من المستهلكين المحتملين؟!

أمـا الخطاب المعلن فكان (تغيير وجه العالم ونمط الحياة)، (التجديد) (All – in – one أو جهاز واحد يعمل كل شيء)، البقاء مسترخ فى منزلك وكل المعلومات تجئ حتى أطـراف أصـابعك)، وبالطبع شعار (كيف تستطيع أن تكسب من التجارة عبر الإنترنت)، وهى كلها عبارات تعبر عن خطاب صحيح بالفعل ولكن :

- يقـدم وجهـاً واحداً من الحقيقة وينسى أوجه عدة خاصة تلك المتعلقة بالملايين التى تدخل جيوب المشاركين / المندمجين.
- لا يعنـيه نوعـية المنتج وقيمه وأخلاقياته .. فعلى سبيل المثال كان المضمون الذى ركـز علـيه جـون سكالى Sculley رئيس شركة (أبل) للكمبيوتر فى مشروعات اندماجهـا المحـتملة هو: الطرق التى يمكن أن تغير موديل السيارات، كيف يتواعد الشبان والشابات، أين يسكن الناس؟" [1].

وقـبل موجـة الاندمـاج الكونى الحالية لوسائل الإعلام التى بدأت باندماج شركتى أمـريكا أون لاين، تايم وارنر، كانت هناك موجة سابقة فى أواخر عام ١٩٩٦ وبداية عام ١٩٩٧ ربـح فيها بعض من عمالقة الإعلام مثل ديزنى، وتايم وارنر بعد الاستعانة ببعض شركات التليفون مثل AT&T وشركات الكابل مثل TCI فيما بقيت شركات مثل NBC، CBS بعـيدة عـن هذا المضمار فى الوقت الذى صعدت فيه شركة كبرى فى التسعينيات هى Viacom والتى اعتبرت لاعباً أساسياً فى مجال عولمة وسائل الإعلام [2].

(1) Ibid, pp. 339 – 341.
(2) Edward S. Herman & Robert W. McChesney, **The Global Media: The New Missionaries of Corporate Capitalism** (London: Cassell Inc., 1997), p. 68.

ويـــرى كيفيـــن مـــانى Maney - بناء على استقصاء أجراه مع عدد من المديرين التنفيذييـــن، والمحلليـــن الاقتصاديين، والمستهلكين والمنظمين ومطورى التقنية - أن هناك رابحـــون وخاســـرون فـــى هذا السباق الإعلامى الكونى المؤسس على الاندماج، وجاءت النـــتائج أن الـــرابحون هـــم شركات: AT&T، والت ديزنى، موتورولا، هيوليت باكارد، TCI، والخاســـرون هم : Pacific Telesis، Sprint، Direct TV، Apple، QVS، وذلـــك لعجزها عن الوصول "لاندماجات مبتكرة" وقد لخص الخطاب الذى تعمل تحته هذه الشركات فى: [1]

- الاندمـــاج الرأسى لن يحقق شيئاً، ولابد من الاندماج الأفقى مع شركات عاملة فى مجال تكنولوجيا التليفون والكمبيوتر الجديدة.
- مازالـــت الأسماء الكبرى مجال حرب مستعرة، وهو ما يخرج الشركات الصغيرة من المنافسة.
- استمرار جنون الاتفاقات.
- استمرار النقاش حول إشكالية تنظيم هذه الكيانات العملاقة.
- تجاهل الميديا العملاقة لرأى الجماهير وهو ما حذر منه نقاد الإعلام.
- اســـتمرار سيطرة الولايات المتحدة وشركاتها التى ترفع شعار (Kick Butt) .. [وهو ما يثبت أن ركل المؤخرة ليس تعبيراً يستخدمه فقط العسكريون الأمريكيون .. ولكنه انتقل لمجال البيزنس أيضاً].

<u>ويمكننا تقسيم تجمعات وسائل الإعلام الكوكبية الكبرى إلى فئتين :</u>

(1) Kevin Maney. **Op. Cit.**, pp. 339 – 351.

- **المســـتوى الأول** : وهم العشرة الكبار فى مجال الإعلام الكونى، وأكثر قدرة على الاندماج الابتكارى.
- **المســـتوى الـــثانى** : وهـــى الشركات الأقل حجماً .. والأقل فرصة فى التوسع بالاندماج.

١- شركات المستوى الأول :

أ) تايم وارنر — أمريكا أون لاين :

هـــى أكبر شركة إعلامية فى العالم بمتوسط مبيعات ٢٥ مليار دولار سنوياً، تأسست تـــايم وارنر عام ١٩٨٩، وقد قويت بعد اندماج محطة CNN معها عام ١٩٩٨ ثم شرائها مـــن قبل شركة أمريكا أون لاين عام ٢٠٠٠، وتملك بعض الشركات اليابانية مثل توشيبا، أوتشن ٥,٦ من مجمل أسهمها، وتمتلك هذه الشركة / التجمع الآتى :

- ٢٤ مجلة على رأسها تايم، بيبول، الرياضة المصورة.
- ثانى أكبر مجموعة لنشر الكتب على رأسها Time Life Book.
- مجموعة وارنر الموسيقية التى تعتبر أكبر شركة للإنتاج الموسيقى فى العالم.
- استوديوهات تايم وارنر السينمائية التى تتمتع بنسبة ٢٥% من حجم المشاهدة فى الولايات المتحدة فضلاً عن امتلاكها ١٠٠٠ دار للعرض حول العالم.
- ٥٠% مـــن أسهم شركة DC Comics ناشرة سلاسل باتمان، سوبر مان، فضلاً عن ٦٠ عنوان آخر.
- أكبر محطتى لتليفزيون الكابل فى أمريكا: Cinemax, HBO.
- مجموعة حدائق (وارنر).

- ١٥٠ محلاً لبيع منتجات (تايم وارنر).
- تمتلك أكبر مكتبة أفلام فى الولايات المتحدة والعالم حوالى ٦٠ آلاف فيلم، ٢٥ ألف برنامج تليفزيونى.
- محطـــات TNT, CNN فضلاً عن محطات N. TV الألمانية Sky Network النيوزلندية، VIVA الأوروبية، Classic V الموسيقية الآسيوية.

وتمـــتلك شـــركة تـــايم وارنر عدة نوادى رياضية شهيرة فى الولايات المتحدة مثل Atlanta Braves, Atlanta Hawks بولاية جورجيا.

وتتحالـــف تـــايم وارنر مع شركات TCI, Viacom, NBC, Berteslsmann, News Corp., Sony أما حلفائها الخارجيين فهم Kirch الألمانية، COX، Hachette الفرنسيتين، وتدعمها شركتا الاتصالات Oracle. AT&T [1].

ب) نيوز كوربويشن News Corporation :

علـــى الـــرغم مـــن أن ترتيـــب الشركة كان الخامس من خلال مبيعاتها فى أواخر التســـعينات (حوالـــى ١٠ مليار دولار) فهى تقدم النموذج الأمثل لشركة الإعلام الكوكبية فـــى القـــرن الحادى والعشرين، يرأسها الملياردير الأسترالى روبرت ميردوخ الذى يسعى لهـــدف أساسى هو امتلاك كل أنواع البرامج من أخبار ورياضة وأفلام وأطفال، وموسيقى وبـــثها عـــبر قـــنوات التليفزيون الفضائية أو الكابلية فى الولايات المتحدة وأوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

يقوله عنه سوفر ردستون المدير التنفيذى لشركة Viacom "إنه يريد بشكل أساسى غـــزو العـــالم" أمـــا مايكل إيزدر المدير التنفيذى لشركة ديزنى فيصفه بأنه أكثر المدراء جـــدارة بالاحـــترام والخشية ودراسة قراراته فيما كان جون مالون المدير التنفيذى لشركة

(1) Edward S. Herman & Robert W. McChesney. **Op. Cit.**, pp. 69 – 105.

TCI يقـترح أن يكـــون الاندمـــاج الرأســـى – كالذى حدث بين أمريكا أون لاين وتايم وارنـــر – هو هدف من يريد اللحاق بميردوخ، أما تيد تيرنر المدير التنفيذى لتايم وارنر، CNN فيشـــبهه بهـــتلر الــذى يسعى للسيطرة على العالم [وكأن تيرنر نفسه ومعه مالون وردســتون وايـــزدر هم فرسان الملك آرثر، وتعليق تيرنر هو تعليق ضاحك بالطبـــع لأن تايم وارنر هى حليف لميردوخ!].

أما عما يمتلكه ميردوخ فهو كالآتى :

- ١٣٢ صـــحيفة أغلـــبها فى أستراليا، المملكة المتحدة، الولايات المتحدة، على رأسها مجموعة Star البريطانية الشهيرة.
- شـــركة فوكـــس القـــرن العشـــرين للإنتاج السينمائى والتليفزيونى والفيديوى والتى تحتوى مكتبتها على ٢٠٠٠ فيلم.
- شبكة فوكس الأمريكية لتليفزيون الكابل.
- ٢٢ محطة تليفزيون أمريكية بمجمل مشاهدة ٤٠%.
- ٢٥ مجلة أشهرها TV Guide.
- شركات نشر كتب أهمها Harper Collins.
- ٥٠% من أسهم شركة TCI أهم شركة كابل أمريكية.
- شبكة فوكس الإخبارية.
- شبكة ستار التليفزيونية الآسيوية.
- ٤٠% من أسهم محطة البث التليفزيونية البريطانية Sky.
- ٥٠% من أسهم Vox الألمانية.

- ٥٠% من أسهم شركة Sky فى أمريكا اللاتينية.
- ٥٠% من أسهم شركة Sky فى اليابان وأستراليا.
- ٥٠% من أسهم Zee TV الهندية.
- محطة El-Canal الأمريكية الجنوبية الناطقة بالأسبانية.
- ١٥% من أسهم ٧ محطات أسترالية رئيسية.
- ٤٥% من أسهم شركة فوينكس الآسيوية ومقرها فى هونج كونج.

ويتحالف ميردوخ بشكل رئيسى مع تايم وارنر، Viacom، TCI، Universal، Boly Gram، Sony، Berteslmann، وحلفائه الفرعيين أو الإقليميين هم BBC, MGM, Canal Plus, EML، وتخدم على أنشطة الاتصال فى هذه الشركة العملاقة شركة MCI التى تجنى ٧٠% من أرباحها فى الولايات المتحدة، ١٧% فى بريطانيا، والباقى فى أستراليا وآسيا.

وبحلول عام ٢٠٠٥، يخطط ميردوخ لكسب أرض جديدة فى أوربا واليابان، وبيض شركة نيوز كوربوريشن سيكون فى سلة التليفزيون الرقمى سواء كابلى أو فضائى، وهدفها معلن غير خفى وهو أن تكون شبكة Sky هى الشبكة التى تصل لكل إنسان على ظهر كوكب الأرض، وهو ما تسعاه أيضاً لشبكة Fox، وقد أطلقت هذه الشركة لذلك نظامها الرقمى فى أوربا BskyB، وتستعد لتدشين النظام المماثل فى اليابان JskyB.

وما ينقص ميردوخ هو شركة للإنتاج الموسيقى أكبر من شركة Venus TV الآسيوية التى يمتلكها لذلك تحالف مع تايم وارنر للتقليل من سطوة شركة ديزنى العملاقة فى مجال البرامج الموجهة للأطفال وللإفادة من شركة وارنر الموسيقية.

وبــرع مــيردوخ فى استخدام مجال الرياضة الذى يحقق نسبة مشاهدة مرتفعة، فى مجــال جــذب المعلنيــن خاصـــة الشركات العملاقة مثل كوكاكولا، بيبسى، Reebok، ماكدونـــالدز، واشـــترى ميردوخ عقود طويلة الأجل لرعاية بطولات كأس العالم، الدورى الأوروبى، دورى كرة السلة الأمريكى، هوكى الجليد الأمريكى.

ج) ديزنى :

ثانى أكبر شركة فى حجم امتلاك الأصول بعد تايم وارنر- أمريكا أون لاين وحجم مبـيعاتها ٢٤ ملـيار دولار، وقـد تقدمـت لتحتل مكانتها الحالية بعد شراء شبكة ABC ولشرائها ٥٠% من أصول مجموعة ماكدونالدز للمأكولات السريعة، وتمتلك ديزنى :

- مجموعة استوديوهات ديزنى للإنتاج السينمائى والتليفزيونى.
- مجموعة متنزهات ديزنى فى أمريكا وأوروبا واليابان.
- أكثر من ٥٥٠ محلاً لبيع منتجات ديزنى.
- العلامة التجارية الموسيقية Hollywood Records.
- مجموعات لنشر الكتب منها Hyerion Books.
- شبكة ABC الأمريكية ومحطاتها.
- محطــات ديــزنى، ESPN، ESPN2 الرياضـــيتين فضلاً عن محطة History الشهيرة.
- عدد من الجرائد والمجلات الأمريكية.
- مجموعات من المحطات الأوروبية على رأسها مجموعة RTL2 الألمانية.
- عدد من الفرق الرياضية أشهرها فريق Anaheim للبيسبول.

- ٢٠% من أسهم محطات برازيلية أهمها TVA.

وتــتحالف ديزنى مع NBC، TCI بشكل رئيسى، وتتمتع بعدد من الحلفاء الصغار مثل COX, Hearst, Kirch, Dream Works. وتخدم على اتصالاتها شركات GTE, SBC, Ameritech.

د) فياكوم :

تعتبر مثالاً يحتذى للشركة الصغيرة التى صعدت لتصبح ضمن العشرة الكبار فى العــالم وتــبلغ حجــم مبيعاتها ١٣ مليار دولار، وتبلغ حجم مبيعاتها خارج أمريكا ٢٠% وتمتلك :

- محطات ShowTime, M2, MTV.
- شركة Paramount للإنتاج السينمائى.
- أكبر شركة فى أمريكا والعالم لتأجير أفلام الفيديو Block Buster.
- مجموعات نشر كتب أهمها McMillian.
- ٥٠% من اسهم شبكة الكابل USA.

وتــتحالف فــياكوم مع تايم وارنر، ميردوخ، Universal، Sony, Poly Gram، وكذلك مع Kirch، Pearson فى بريطانيا ويخدم اتصالاتها شركتى Nynex, Sprint.

هـــ) برتلسمان :

أول شــركة أوروبــية مـــا بيــن العشـــرة الكبار، وتبلغ مبيعاتها ١٥ مليار دولار ، وتأسســت فى ألمانيا واعتمدت فى البداية على شركات إنتاج موسيقية، وشركات نشر كتب ثم امتدت نشاطاتها لمحطات تليفزيونية وتمتلك :

- استوديوهات RCA, Artista.
- محطات RTL الألمانية ومحطات Vox.
- محطات RTL4, RTL5 الهولندية.
- محطات فرنسية مثل TMC, M6.
- محطات بريطانية مثل Channel 5.
- ١٨ محطة راديو أوروبية.
- ٣٨% مـن أسـهم مجلة Premiere فضلاً عن عدد كبير من المجلات الأوروبية والأمريكية.

وتـتحالف برلتسـمان مـع تايم وارنر، ديزني، يونيفرسال، Sony, Poly Gram، ومـيردوخ، وحلفائهـا فـي الخارج هم Pearson البريطانية، Havas الفرنسية .. تخدم اتصالاتها أمريكا أون لاين.

و) TCI :

وتـبلغ مبيعاتها حوالى ٧ مليار دولار وتمتلك شركات Cable Providian التى تُعد أكـبر شـركة كـابل أمريكية، وكذا ٢٠% من أسهم Discovery القناة الوثائقية الشهيرة، وأسهم فى شركة Fox وهو ما يجعلها حليف قوى لميردوخ.

ز) Universal :

وحجـم مبـيعاتها هـو ٧ مليار دولار أيضاً وتمتلك شركة Seagram للإنتاج الفنى والتليفزيونى والموسيقى وتساهم فى محطات مثل RTL الأوروبية.

ح) Poly Gram :

وتحقـق ٦ مليار دولار سنوياً، وتمتلك ٧٥% من أسهمها شركة فيليبس العالمية فى مجال الإلكترونيات وتركز على الأفلام والموسيقى.

ط) Sony :

وتحقق ٩ مليار سنوياً وتمتلكها شركة سونى للإلكترونيات وقد حققت لنفسها هذه المكانة الرفيعة بشرائها استوديوهات كولومبيا السينمائية.

ى) جنرال إليكتريك :

ومبيعاتها ٨ مليار سنوياً منها ٥ مليار من امتلاكها شبكة NBC الأمريكية العريقة ولها نشاط كبير فى القنوات الرياضية ورعاية البطولات الكبرى.

٢ - شركات المستوى الثانى :

وشركات المستوى الثانى هى أقل شهرة، ولكنها لا تقل طموحاً عن العشرة الكبار فى سعيها لدخول حلبة الاندماجات الكبرى بين شركة الإعلام والبرمجيات والاتصالات ومنها شركات :

- **Dream Works :**

وقد تأسست من (بول آن) الرجل الثانى فى شركة مايكروسوفت لصناعة البرمجيات وستيفن سبيلبرج المخرج المعروف، وتركز على مجال الإنتاج السينمائى والكارتون، ولها استوديوهات كبيرة حديثة تنافس الاستوديوهات القديمة لهوليود.

- **Direct TV :**

والتى تملكها شركة (Hughes) للإلكترونيات وبلغت مبيعاتها ١٥ مليار عام ١٩٩٥ بعد دخولها مجال الفضائيات وبثها.

- **Westinghouse :**

وتمتلك شركة CBS بمحطاتها وتبلغ أرباحها ٣,٧ مليار سنوياً.

أمـــا عـــن شـــركات المســـتوى الثانى المتبقية فى أمريكا فهى كالآتى مقدرة بحجم مبيعاتها بمليارات الدولارات.

Gamett	$ 2.5
Knight – Ridder	$ 4
The New York Times	$ 2.9
Times – Mirror	$ 3.5
Washington Post	$ 2.2
Reader's Digest	$ 3
Hearst	$ 2
McGrow – Hill	$ 3
Avance Publication	$ 4.9
Com Cast	$ 3.4
Cablevision Systems	$ 1.1
COX Enterprise	$ 3.8

وفى أوروبا :

Canal Plus (فرنسا)	$ 3
Kirch (ألمانيا)	$ 4
(Hachette (Havas (فرنسا)	$ 3.5
(بيرلسكونى) Mediaset (إيطاليا)	$ 2

وبقية الشركات فى أوروبا من المستوى الثانى هى :

The German Axel Springer	$ 3
The German Bauer	$ 1.7
The Italian RCS Editori spa	$ 1.6
The French CEP Communication	NA
The Dutch Wolters Kluwer	$ 1.7
The Dutch WNU	$ 1.4
The Swedish Kinnevik	$ 1.8
Spanish Media Prisa Group	NA
Spanish Broadcaster Antena	NA
The British Carlton Communications	$ 2.5
The British Granada Group	$ 3.6
The British Pearson PLC	$ 2.9
The BRC	$ 3.5
The British Reuters	$ 4.1
The British United News & Media	$ 2.9
The British EMI	$ 5.4
The French Television Francais (TFI)	$ 1.8

وهـناك عـدد مـن اللاعبين الكبار على المستوى المحلى، الصغار على المستوى الدولـى مثـل : Televesia البرازيلية، CME التشيكية ، ART ، MBC ، أوربت السـعودية، PBL الأسترالية، NHK اليابانية، وعدد من التجمعات الكورية المؤسسة على

كونها فروع من شركات كبرى مثل تايم وارنر، Canal Plus، ولكن السوق مستعد لثورة أخرى والذى سوف يتمخض عنها العقد الأول من القرن الحادى والعشرين.

● ● ●

ثانياً : شبكة الإنترنت :

بسـطت شبكة الإنترنت بوصفها نموذجاً متطوراً جداً فى مجال الاندماج المعلوماتى على الإنسان المعاصر تحديات كبرى، وهى الآن – على حد تعبير عبد السلام المسدى – تبسط علـى الضمير البشرى أسئلة أخلاقية شائكة توحى بمعين تأملى جديد: الكائن بين الهلـع والنشـوة، وتحـول الفضـاء الكونى إلى فضاء معلوماتى، ومنظومة الديمقراطية الإلكترونـية، وكذلـك مصـير الفقراء فى عصر الإنترنت والذين يسمونهم تلطفاً وكياسة بمواطـنى الجـنوب، ثـم – على وجه الخصوص – الاتجاه نحو سيطرة سياسية عالمية بأسـلوب جديـد .. وتسـرب وعى آخر إلى النفوس فتحدث بعضهم عن أدباء الإنترنت ودخلـت الذهنـية البشرية فى آليات جديدة تكاد تكون من تحديات الخيال وذلك منذ أن تم تنظـيم ما يسمى الواقع الافتراضى Virtual Reality على الإنترنت والمسمى (فيرتكس) بواسطة تقنيات الأبعاد الثلاثة فى لندن فى سبتمبر ١٩٩٧ [١].

ويـرى المـؤلف أن الإنترنت – بمعنى ما – هى صمام الأمان فى خزان البخـار الكونـى لأنهـا صوت المهمشين والضعفاء غير القادرين على الالتحام والتأثير فى عملية العولمـة بالمعـنى الـذى سبق شرحه أو نقادها الذين يرون فى سيطرة الطبقة الرأسمالية عابـرة القومـية نوعـاً من الإمبريالية الكوكبية الجديدة فى عصر توحشت فيه الرأسمالية وقدمت نفسها على أنها النموذج المنتصر تاريخياً والأحق بالاحتذاء.

---

(١) عبد السلام المسدى: **من مخاطر الاندماج الكونى**، سطور، يونيو ١٩٩٨، ص ص ٦٤، ٦٥.

إذ أن اللعبة الكوكبية فى زخم النظام العالمى الجديد – كما تريده القطبية المنفردة – أكثر دقة وأعظم استشراء وأبعد إحراجاً لنصمير الثقافى الحائر مهما يكن تعاطفه مع قوى الــتقدم أو تجاوبــه مع مقتضيات العلم أو تناغمه مع كل معزوفات العقلانية الديكارتية إذ تــنطوى شبكة الإنترنت على ازدواجية كأمثل ما يكون الازدواج: هى بيد الإنسان المطلق مركــبة فضــائية ســلمية تبحر بالعقل البشرى نحو اختزال الزمن للظفر بأسرار العلم فى منــتهى أقاصــيه، وهــى بيد القطب الكونى المنفرد مركبة تسير بسرعة الضوء تحقق له الاخــتراق العلمى والثقافى والاقتصادى ثم يأتى الاختراق السياسى متوجاً سائر الفضائل، وليس الأمر موكلاً إلى الصدفة بل هو ثمرة الخطة الاستراتيجية المحكمة.

ففى أواسط التسعينيات ساد الولايات المتحدة فى دوائرها الأكاديمية والثقافية خطاب يقــدم الإنترنــت علــى أنها "وسيلة اتصال ثورية ونقطة تحول عميق فى مسار الاتصال الإنســانى، وأكثر أهمية من الصحافة المطبوعة بما تنطوى عليه من أبعاد شخصية تحقق ديمقراطــية الاتصــال بعد التركيز السريع الذى حدث فى وسائل الإعلام التقليدية خاصة المرئية والفضائية منها على الأخص، وقيل أن الاتصال الرقمى Digital سيذيب الفوارق التقلــيدية بين مختلف قطاعات الإعلام وأن ذلك سيحقق مدى واسع من المحتويات العلمية والثقافية والترفيهية لمستهلكى وسائل الإعلام" (1).

ولكــن حقــائق الأمور فى مطلع الألفية والقرن الجديد كانت تأخذ مساراً آخر، فقد اســتهلت شــركة أمريكا أون لاين AOL، كبرى شركات خدمات الإنترنت فى الولايات المــتحدة القرن الجديد بالإعلان عن أضخم صفقة اندماج فى تاريخ الشركات على مستوى العــالم، وذلــك بشرائها شركة تايم وارنر فى صفقة قيمتها ١٩٠ مليار دولار جميعها فى صورة أسهم لتشكيل الشركتين إمبراطورية يمتد نشاطها من المجلات، وأفلام السينما، إلى

---

(1) Robert McChesney. **The Internet and US Communication Policy – Making in Historical and Critical Perspective,** Journal of Communication, Vol. 46, No. 1, Winter 1996.pp. 25 – 31.

الإنترنـــت. وقـــد دفعت أنباء الاندماج التاريخى أسهم قطاع الإعلام إلى الصعود فى جميع أنحـــاء أوروبـــا، ويصل رأس المال المتداول فى السوق للشركتين إلى ٣٦٠ مليار دولار. وتكـــون الشـــركة المدمجـــة عملاقاً إعلامياً – يجمع بين وسائل الإعلام التقليدية والجديدة بشـــكل غـــير مسبوق ويسمح بعرض البرامج من إنتاج (تايم وارنر) على شبكة الإنترنت ويتـــيح لأمـــريكا أون لاين استخدام شبكة كابلات التليفزيون المدفوع الخاصة بتايم وارنر لتحقـــيق الاتصـــال الســـريع بالإنترنـــت. وتمـــتلك الشركة الجديدة أسماء لامعة فى عالم الشركات منها نيتكسيب، ووارنر ميوزيك جروب، وفورتشن وكمبيوسرف [1].

وبعـــد ساعات من إعلان الاندماج اجتاح الولايات المتحدة وأسواق المال العالمية ما يمكن وصفه بهوس الاندماج بين الشركات الكبرى العاملة فى مجالات الإعلام وتكنولوجيا المعلومـــات وصناعة الترفيه، وذلك لمواجهة العملاق الجديد الذى استقبله العالم إذ أنه فى يوميـــن اثنين ارتفعت قيمة الشركة الجديدة من ١٩٠ مليار دولار إلى ٣٥٠ مليار دولار، وتوقعت مصادر اقتصادية أمريكية حدوث المزيد من الاندماجات بين الشركات العاملة فى مجال تكنولوجيا المعلومات خاصة خدمات الإنترنت، وفى مقدمة هذه الأسماء شركة ياهو لخدمـــات الإنترنـــت وسونى وديزنى ونيوزكورب إضافة إلى شركات أخرى فى مجالات الكمبـــيوتر وصناعة الترفيه والاتصالات مثل ليكوس و AT&T وميكروسوفت وفياكوم، وشبكة تليفزيون NBC، وشركة مترو جولدن ماير [2].

وعـــن ردود الأفعـــال حـــيال هذا الاندماج بين تايم وارنر، وأمريكا أون لاين، قال إيـــدان وايـــت الأمين العام للاتحاد الدولى الصحفيين أن الاندماج يشكل تهديداً للديمقراطية وحـــرية التعبـــير ولـــتعددية وســـائل الإعلام وتنوعها بعد انخفاض عدد الشركات المالكة للوســـائل الإعلام الكوكبية وهو ما يناقض قانون الاتصالات الذى أصدره الكونجرس عام

---

(١) الأهرام، ٢٠٠٠/١/١١.
(٢) الأهرام، ٢٠٠٠/١/١٢.

١٩٩٦، علـــى حين رأى سكوت ميللر مدير الاتصالات فى تايم وارنر أن الاندماج سوف يقوى ويدعم تدفق المعلومات من خلال إيجاد وسائل جديدة للاتصال ولن يحد منها كما هو مـــتوقع إذ أن الإنترنــت تجعــل من المستحيل احتكار الأخبار من قبل جماعة واحدة، فى الوقــت الــذى فكــرت فيه بعض الشركات الأوروبية الكبرى فى الاندماج لمواجهة "غول الاندماجات فى الولايات المتحدة" (١).

والحقــيقة أن هذه الاندماجات العملاقة ليست مفاجأة للمتتبع لنمو التجارة الإلكترونية علـــى الإنترنت التى قفزت من ٣٠٠ مليون دولار عام ١٩٩٤ إلى ١٠ مليار عام ١٩٩٦ إلـــى ٢٠٠ ملــيار عام ٢٠٠٠ وهذه العائدات الضخمة مصدرها برامج الإنترنت ورسوم الاشــتراك والخدمـــات الفورية On-Line، وبيع أجهزة الكمبيوتر واستشارات الكمبيوتر وبحوث التسويق (٢).

وقـــد كان هذا النمو مدعماً بالتشريع، ففى عام ١٩٩٣ أصدرت الحكومة الأمريكية قـــانون (البنية الأساسية للمعلومات والاتصالات القومية) فكان أول تشريع يؤسس للمنافسة العالمـــية فـــى مجـــال المعلوماتية والطرق السريعة أو السيارة، والذى أعقبه قرار الإدارة الأمريكـــية بتحرير التجارة الإلكترونية عبر الإنترنت من كل الضرائب، بما تلى ذلك من خطـــوة ثالـــثة حاســـمة بإعلان الولايات المتحدة عام ١٩٩٦ الإنترنت منطقة تجارة حرة عالمـــية، وانطـــلاق حملـــة عـــن طريق المبعوثين الدوليين لفرض ذلك على كل الشركاء والحلفاء والأصدقاء ممن يرتضون أو لا يرتضون فيما أعلن الرئيس الأمريكى السابق بيل كلينـــتون أن علـــى منظمة التجارة العالمية أن تجد الصيغ الملائمة لتنفيذ ذلك فى غضون عام واحد (٣).

---

(١) الأهرام، ٢٠٠٠/١/١٣.

(2) Robert McChesney, **Op. Cit.**, pp. 25 - 31.

(٣) عبد السلام المسدى، مرجع سابق، ص ص ٦٤، ٦٥.

والدليل على أن اللاعبين الكبار فى مجال العولمة يقولون ما يفعلون ويخططون لما ينفذون، تصريح جيمس كلارك المدير التنفيذى الرئيسى CEO لشركة نيتسكيب (فرع من الاندماج الكبير) بأن الإنترنت ستحل محل البريد التقليدى والتليفون بعد ١٠ سنوات فالاتصالات عن طريق الداتا (المعلومات) هى نوع من الاتصال أكثر عمومية من الاتصالات الصوتية ويمكن استخدام كابلات التليفون الكابلى، وبعد فترة وجيزة سوف تصبح الإنترنت نظام الاتصالات الوحيد فى العالم [1].

●●●

ثالثاً: سيادة ثقافة ما بعد الحداثة

ولما كانت أنساق قيم الأفكار التقليدية التى تجمع البشر مثل الدين والوطنية والاشتراكية هى معوقات لعمليات الاندماج والتشبيك التى تعنى بها العولمة لأنها فى جوهرها مخالفة ومعوقة لنسق القيم التى يمكن أن تسهل هذه العمليات، فإن العولمة وجدت ضالتها والبيئة الملائمة لازدهارها فى نسق قيم ثقافة ما بعد الحداثة.

ولا يدعى المؤلف أن هناك "مؤامرة" من نوع ما، تمت أو تتم بين اللاعبين الرئيسيين فى مجال العولمة الاقتصادية والسياسية وبين "منتجى" ثقافة ما بعد الحداثة، بل الأمر أن هؤلاء اللاعبين وجدوا أنه من الأفضل الترويج لمثل هذا النوع من القيم لأنه يسهل عمليات الاندماج والتشبيك ويمررها بأقل قدر من المقاومة، إذ أن العولمة كأممية استهلاكية – على حد تعبير المفكر المغربى محمد عابد الجابرى – من شأنها "توظيف الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة فى الاختراق الثقافى واستعمار العقول بربط المثقفين والتكنوقراطيين خاصة بدائرة محدودة ينشدون إليها بصورة آلية وهى دائرة التسيير التى تصرف العقل عن أى شىء يقع خارجها وتجعل منه عقلاً أداتياً محضاً، وهكذا تسود (النفعية الجديدة) التى قوامها ابتكار الأدوات النظرية الكفيلة بتخفيض التوترات وتطويق

---

(١) كاثرين سيجال : دنيا محمولة على كابلات، الأهرام، ١٩٩٦/١١/١٩.

الصـــراعات واعـــتماد الحلـــول التقنـــية المعلوماتـــية دونمـــا اهتمام بالجوانب الإنسانية والأخلاقية"[1].

وهـــذا الفـــراغ الناشئ عن استبعاد نسق القيم التقليدية ينبغى ملؤه بنسق آخر، ومنذ نهايـــة الســـبعينيات وأوائـــل الثمانينات بدأت تتشكل ثقافة تفارق فى طرحها ثقافة الحداثة، بـــدأت علـــى اســـتحياء فـــى الأدب بفنونه المختلفة من شعر ورواية وقصة قصيرة وفى التصـــوير والنحـــت، وما أن مضى عقد حتى كانت تجليات قيمها قد طالت وسائل الإعلام الجماهـــيرية وبـــتعاظم شـــأن البث الفضائى انتقلت هذه القيم إلى بلدان الهوامش، وأشباه الهوامـــش مـــن بلـــدان المركز محاولة أن تقنع شعوبها بشكل غير مباشر فى الأغلب أن انتصـــار الليبرالـــية كنظام سياسى والرأسمالية كنظام اقتصادى كفكرة يستلزم أن تؤمن بها بلـــدان الهوامـــش وأشـــباه الهوامش، يجب أن يستتبعه تبنى نسق من القيم أثبت كفاءته فى تسيير عمليات الاندماج فى بلدان المركز، وهذا هو الرابط بين العولمة وما بعد الحداثة.

ولكـــن الشيء المفارق أن بعض نقاد ما بعد الحداثة يعتبرون هذه الحركة – بمعنى مـــا وفى نفس الوقت – حركة احتجاجية ضد العولمة باعتبار أن بعض فنونها تظهر بعض المعارضـــة لســـيادة ثقافة واحدة وتنتصر لثقافة المهمشين والأقليات فى العالم بل أن مارثا روســـلر Rosler تشبهها بحركة "حرب عصابات" ثقافية تكافح حركة "عولمة" ثقافية بأخذ المواقـــف الـــنقدية وإنتاج معانيها [2]، وهو ما يراه المؤلف مجرد "هامش" تسمح به القوى الكوكبـــية الكبرى لمجرد التنفيس بالكلام وليس بالفعل لاسيما بعد التصدعات السياسية التى اجتاحـــت العالم بتعاظم الحركات العرقية والدينية المطالبة بالانفصال كما أسلفنا فى الجزء الخاص بالخطاب السياسى للعولمة.

---

(١) محمد عابد الجابرى: **العولمة .. أممية استهلاكية**، الشرق الأوسط، ١٩٩٧/٢/٢٢.

(1) Steven Connor. **Postmodernist Culture: An Introduction to Theories of the Contemporary,** (Cambridge, MA: Basil Black Well Inc., 1995). p. 224.

ولكن ما حركة ما بعد الحداثة؟

يـــرى أكـــبر أحمد وهاستينجز دونان أن نظرية ما بعد الحداثة تشبه مفهوم العولمة مـــن حيـــث أنـــه لا يوجد اتفاق حول تعريفها، واحتوائها على عدد كبير من المصطلحات (الأمـــر الـــذى يبدو للبعض مظهراً ما بعد حداثى حتى فى أسلوب التعريف) إلا أنه يوجد عدد من المعالم الجديدة التى تقودنا خلال النباتات الكثيفة التى ترعرعت حول هذا المفهوم غـــير أنها لا توفر إدراكاً واحداً، فأى محاولة لتحديد معنى ما بعد الحداثة يبدو بالضرورة مناقضـــاً لذاته، إذ أن هناك إجماعاً قائماً على أنه من المستحيل لمصطلح ما بعد الحداثة أن يرسخ نهائياً (1).

وتشمل الملامح المنسوبة إلى نظرية ما بعد الحداثة ما يلى :

المرجعـــية الذاتية للخطاب، البدعة، الانتقائية، موت اليوتوبيا (الأديان والشيوعية)، مـــوت المؤلـــف، التشـــويه، انـــتفاء الوظيفة لأى فن أدبى أو تصويرى، التفكك، التفسخ، الإزاحـــة، الانقطـــاع المعـــرفى، رؤيـــة غير خطية للتاريخ، التشتت، التشظى، التمزق، لامركـــزية الموضوع، العماء، العصيان، الفرد كقوة، انحلال السيموطيقا (الدوال)، طاقات الـــتوالد الذاتى للدلالات، انفتاح ولا نهائية الدوال، الحرية ضد الشمولية، فقد العقل، انحلال الشـــرعى أو المـــنطقى، التأويل، إعتاق طبقة البروليتاريا، ملحمة ارتقاء الجنس البشرى، جدلية الروح، معرفة جديدة أو نظام دلالى جديد.

وهـــناك بالطبع علاقات بين المفاهيم السابقة والحداثة، فإحداها تغذى الأخرى على الرغم من التضاد أحياناً بين الاثنين، فالحدود بينهما ضبابية وكل منهما متضمن على نحو تبادلى فى الآخر.

---

(1) أكبر أحمد، هاستينجز دونان : **الإسلام فى عصر ما بعد الحداثة**، ترجمة: غادة الحلوانى، مجلة إبداع، عدد (2)، فبراير 1998، ص ص 64 – 80.

وقــد صك المصطلح الناقد الفرنسى فرانسوا ليوتارد Lyotard عام ١٩٧٩ بكتابه (الحالــة مــا بعــد الحداثية The Postmodern Condition) وفيــه فــرق بين الــ (Metanarratives) أو هــى الأفكــار العامة الكبيرة مثل المسيحية، والماركسية، التقدم العلمى والتى رصدها الناقد كأوهام فى اعتقاد فنانى وأدباء ما بعد الحداثة، اختلافاً عن الــ (Mininarratives) أو الأفكــار الصغرى والتى تتميز بأنها نسبية، مؤقتة، جزئية، آنية، ومتغــيرة، والتى ينتج عنها مجموعة من الأفعال لمجموعات من البشر فى ظروف محلية خاصــة، وهــى بهــذا المعنى تعتبر تفكيكاً لأفكار الحداثة التى تعتمد على التقدم والتاريخ المشترك [1]. وهذه الأفكار الصغرى هى بوعى أو بدون نتاج عمليات الصراع القيمى بين ثقافــة تبــث نمط من الأخلاقيات والقيم التى تراها صالحة للعالم ومدعمة لتقدمه فى إطار الانتصار التاريخى للرأسمالية ، وحصـــاد هذا الصراع هو الشتات والتشظى المعبرة عنه ما بعد الحداثة ، وهو شتات لا يمس مصالح الطبقة الرأسمالية عابرة القومية بشكل كبير.

وقــد أكمــل جــان بودريار Baudrillard – فرنسى أيضاً – التنظير لتيار ما بعد الحداثة فى كتابه (إيحاءات Simulations) الذى نشر عام ١٩٨١، وفيه ركز تحليله على تأثــير الصــور (فــى الأفلام ومسلسلات التليفزيون والإعلانات) والتى عملت على إخفاء الفــارق بين الواقع والمتخيل، السطح والعمق، الوضيع والسامى، الجاد والعابث، التاريخى والمعاصــر، والتفكــيك الــبطىء للأفكار التقليدية والنماذج الفكرية والناتج هو ثقافة فوق واقعــية Hyperreality. وقــد دعم بودريار نظريته تلك فى مقالته (Simularca and Simulations) عــام ١٩٩٢، فالماضـــى كان لحظة امتلاء، الرمز فيها يعبر عن الواقع العمــيق ولكــن مرحلتــنا الحالية – كما يقول – الرمز فيها يسلم إلى رمز آخر فآخر فى ســاحة مــن الخواء. وقد قدم عدة أمثلة على ذلك منها مدينة (ديزنى لاند) فى فرنسا التى تعــبر عن رموز معينة فى الثقافة الأمريكية ولكن تلك الرموز ليست هى الولايات المتحدة

(1) Peter Barry. **Beginning Theory: An Introduction to Literary and Cultural Theory,** (London : Manchester University press, 1995), pp. 81 – 91.

لأن الواقع فيها شيء مختلف. وفى مجال الإعلانات، أعطى بودريار مثالاً على الإعلانات التى تقدم نماذج متقنة مثالية للرجولة والأنوثة فهى تقدم رموزاً على أشياء غير موجودة فى الواقع، فالغالبية العظمى من أجساد النساء والرجال ليست بهذا الإتقان وإن كافحوا كى يبلغوها [1].

وقد درس ستيفن كونور Connor تجليات عناصر خطاب ما بعد الحداثة فى (الفيديو كليب) أو الأغانى المصورة فرأى أن كلها ترفض أخذ أى موقف واضح من أى شيء، وكذا صورها الضبابية المبهمة لا تقدم أى معنى، وقد أفاد هذا الفن من التصوير والنحت ما بعد الحداثى فى خاصية تسمى (Pastiche) أى التداخل بين صور غير مترابطة مستعارة من فترات زمنية ماضية أنتجتها وسائط مختلفة كقصاصات الصحف، مسامع من برامج إذاعية، مشاهد فيلمية أو تليفزيونية، وهى لا تقدم سلسلة مترابطة من الأحداث المتعاقبة التى يجمعها سياق واحد بالإضافة لتسطيح المعنى وعدم عمق الكلمات وهو ما يضيع الحدود بين الفن الراقى والفن الهابط كما ذكرنا سلفاً. فضلاً عن أن هذه المشاهد ليس لها مركز أيضاً (Not Centered) .. وهم - فنانو ما بعد الحداثة - يرفعون شعار تقديم الصور (tell an Image)، وليس تقديم القصة (Tell an Story).

وبتحليل مضمون قناة MTV الأمريكية التى يعتبرها ستيفن كونور علامة على (روك) ما بعد الحداثة، فقد قلت فيها موسيقى الروك الرومانسية التى كانت علامة على الخمسينيات والستينيات، وموسيقى الروك التى تقدم الوعى الاجتماعى - Socially Conscious التى كانت تعبر عن الرفض فى السبعينيات، والروك العدمى Nihilist، الذى ازدادت فيه مشاهد الجنسية المثلية، السادية، الماسوشية، والمعاناة، والخواء على أن هناك تداخلاً بين هذا النوع وروك ما بعد الحداثة إلا أن الأخير يقدم المعانى السابقة على نحو ضبابى غائم وغير واضح.

(1) Ibid. p. 91.

فضـــلاً عـــن ذلـــك فقـــد حملت موسيقى الروك جزءاً من رؤية (الحركة النسائية Feminism) خاصـــة فصـــائلها الراديكالـــية ببـــيان الأدوار الثورية واللاتقليدية للمرأة، ومركـــزة على المتعة التى تريدها المرأة (كرد فعل للقهر التى تعرضت له عبر تاريخها) وكسر (التابو) بتقديم الممارسة السحاقية التى تعطى معنى تعظيم الذات والإحساس بالثقة.

وقـــد اهـــتم كونـــور أيضاً بتحليل موجة أفلام الخيال العلمى لاسيما تلك التى تهتم بالمخلوقات الغريبة القادمة من كواكب أخرى (Aliens) وعلى رأسها سلسلة Godzilla, Star Trek, Star Wars الـــتى تحمـــل معنى العزوف عن تقديم رؤية بصدد المشكلات الاجتماعـــية الراهـــنة وهـــى ما يحمل معنى الانفصام عن العالم وقد أسمى بودريار ذلك بنشـــوة الاتصال The Ecstasy of Communication: وهو التعبير الذى يؤدى معنى المشـــاهدة المطلقة التى ينتفى منها أى غرض غير المشاهدة، وحجب الحقيقة إذ أنه لايمكن أن يكون المشاهد إدراك لموضوع معين بعد فعل المشاهدة [١].

فـــإذا ربطنا ذلك بما أكدته بعض الدراسات من أن الإدمان على مشاهدة التليفريون قـــد لعـــب دوراً كبـــيراً فى تغييب الفكر النقدى وتقليص قوة الذهن على الاستعمال الدقيق والصـــحيح للغة لأدركنا حجم تأثير مثل هذه الأفكار ما بعد الحداثية، فقد رأى إدوارد سعيد أن الصـــور التليفزيونـــية تمـــثل نوعاً من السحر الذى يعمل من خلال التنقل السريع بين الأمكـــنة والصور والموضوعات، وتقدم تصوراً للعالم يسوده التركيز الاعتباطى والمفاجئ علـــى هذه القضية أو تلك، والتوقف الذى لا يقل اعتباطاً فى شكل يبعث فينا الاطمئنان إلى أن مـــا نجـــده أمامـــنا سواء كان المسلسلات الشعبية أو النشرات الإخبارية أو المباريات الرياضـــية أو الصـــحفيين الذين يتحاورون بين بعضهم البعض بثقة ومرجعية وكأنه العالم الفعلى الذى يعاش أمامنا ويفسر ويقدم لنا فى شكل سهل الهضم من دون أن نبذل أى جهد[٢].

---

(1) Stephen Connor, **Op. Cit.**, pp. 158 – 183.

(٢) إدوارد ســـعيد: **كيف تختزل صورة العربى والمسلم إلى معنى واحد هو الإرهاب**، الحياة، ٢٤ فبراير ١٩٩٧.

ويدعـم ذلـك ما رآه عبد السلام المسدى من أن سيادة الصورة فى ثقافة العولمة قد قدمـت لخطـاب جديـد تذوب فيه آليات التلقى إلى حد الإمحاء وتعلو مكانها آليات الحقن فيتحول فعل الفاعل إلى انفعال المفعول به (١).

وقـد كانـت لثقافة ما بعد الحداثة تداعيات مجتمعية خطيرة على مجتمعات الغرب وهـى التى يحذر منها جماعات المتدينين وعلماء النفس والاجتماع وإن كان خطاب هؤلاء الـنقدى يعتبر ضعيفا – فى حجم انتشاره وتأثيره – مقارنة بخطاب الثقافة الاستهلاكية فى عصر العولمة، وهذه التداعيات غير منبتة الصلة على الإطلاق بما ذكرناه من صفات هذه النظرية أو التيار الثقافى.

الأولـى : عـبادة الشيطان Satanism التى تنتمى لتيار أو فلسفة القوة والإرادة (هيجل – نيتشـه) وهو تيار يتمتع بجاذبية خاصة لأنه يتوجه إلى اليتامى الذين يعانون الفراغ الـروحى والفلسـفى والنفسى، والعبادة الإبليسية هى عبادة الذات أى قبول النسبى والغـوص فيه دون بحث فى ثوابت (راجع ما قلناه عن مـوت الأفكـار الـكبرى (Metanarrative)، وهـو ميتافيزيقا كاملة ولكنها متجسدة فى المادة داخل الطبيعة والـزمان فهـى عبادة شيء حقيقى ملموس وهذا هو جوهر العبادات الجديدة التى تجعـل الإلـه مادياً يمكن الإمساك به ومن ثم فهى وثنية جديدة، كما أن الإيمان هنا لايحمـل الإنسان بأية أعباء أخلاقية فهو لا يضطر إلى كبح جماح ذاته وإنما يطلب مـنه أن يطلـق لها العنان، ولهذا فليس غريباً أن تأخذ هذه العبادة شكل ممارسات جنسـية فهـى تعبر عن تمجيد الذات وتعظيم اللذة ورفض المعايير الاجتماعية كما أنها تعبير عن فلسفة القوة والإرادة (٢).

---

(١) عبد السلام المسدى، مرجع سابق، ص ص ٦٤، ٦٥.
(٢) عبد الوهاب المسيرى : **لماذا الفزع من الإبليسية**، الأهرام، ١٩٩٧/٢/١٠.

الثانية : الانتحار الجماعي، ومثال ذلك ما حدث في كاليفورنيا مارس ١٩٩٧، حينما قرر ٣٩ شخصــاً يعملــون في شركة المعلوماتية Higher Source التي تقوم بتصميم صــفحات شــبكة الويب على الإنترنت الفرار من الحياة إلى الجنة حسب معتقدات خرافــية تــرى أن مــرورهم علــى الأرض عابر وأن عليهم الرحيل عبر مركبة فضــائية فــي الأيام المقبلة خاتمين "دعاءهم" لأهل الأرض: "هذه فرصتكم الأخيرة بمغــادرة الأرض قــبل إعادة تكوينها"، ولهؤلاء التقنيين زملاء وأتباع في عدد من الولايــات المــتحدة: أريــزونا، كلــورادو وحــتى في اليابان حيث مجموعة (أوم شــيزينيكو) الــتي تلجــأ إلى إحداث التصفيات وتحاول استقطاب خريجي الكليات العلمــية فــيها وذلــك لبــث أفكار خرافية تؤدي في غالب الأحيان إلى العنف ضد المجتمع أو ضد الذات [١].

ورأت مونــيكا معــتوق أن هذا ربما يرجع إلى تراجع أهمية مواد التعليم الأساسي خاصة العلوم الإنسانية لمصلحة العلوم الجديدة المرتبطة باحتياجات السوق كإدارة الأعمال والمحاســبة وعلــوم الاتصال ومن المنتظر أن يستمر هذا الاتجاه خلال العقود الأولى من القــرن الحــالي مــع ما يمثله من تحديات كبيرة أمام نظام التعليم في دول العالم المختلفة، فانتشــار العلوم الجديدة برغم ما يؤدي إليه من: رفع كفاءة القطاعات الصناعية المختلفة من شــأنه تكــريس الــنظرة الجزئية للأمور وافتقاد المواطنين القدرة على التفرقة بين ما هو أخلاقي وما هو غير أخلاقي [٢].

والمجــتمعات التقلــيدية تعاني من مشاكل خطيرة أثناء مواجهتها لمشاكل وصعاب عصــر مــا بعد الحداثة ومحاولتها التغلب عليها وتحديها وتشمل هذه المجتمعات: المسلمة

---

(١) مارك صايغ : **أسرع وإلا فاتك الإنترنت**، الحياة، ١٩٩٧/٤/٦.

(٢) مونــيكــا معتوق : **نظام التعليم الأمريكي يواجه مأزق القرن الحادي والعشرين**، الأهرام، ١٩٩٨/١/٢٨.

والهندوســية والـبوذية، بــل والمجتمعات المسيحية الشرقية وهو أمر طبيعى حيث تؤكد الأديــان التقلـيدية على الهدوء والتوازن ولا تشجع على التغيير بينما ثقافة ما بعد الحداثة ثقافــة مؤسســة علــى الشــباب والتغير والسلوك الاستهلاكى، وما ينتج عن ذلك من قلق وهموم بين صفوف "المؤمنين" فى كل فى مكان العالم، فهم قلقون من معدل التغير وتأثيره علــى الجــيل القادم، كما أنهم قلقون على نحو عميق من تعرض ثقافتهم لخطر الفناء، تلك التى حملوها لآلاف السنين (١).

وفــى هــذا الإطار يمكن فهم حركة الردة السلفية فى مجتمعاتنا العربية والإسلامية كآلــية دفاعــية لمواجهــة تحديات ثقافة ما بعد الحداثة التى ترى الطبقة الرأسمالية عابرة القومــية والمتضــامنين معهــا والطامحيــن للانــتماء إليها أنه ليس ثمة خطر كبير على مصـــالحها من انتشار هذه الثقافة وذيوعها، ولكن فهم دوافع هذه الردة السلفية – لاسيما فى أكثر تجلياتها تنطعاً وجهامة وضيق أفق – لا يعنى على الإطلاق أنها يمكن أن تقدم حلولاً حقيقية لمشكلات العالم الإسلامى الكثيرة.

●●●

---

(١) أكبر أحمد وهاستنجز دونان: مرجع سابق، ص ص ٦٤ – ٨٠.





ملاحق الفصل الثاني

ملحق (١) يوضح أكبر ١٠ شركات متعددة الجنسية فى دول العالم الرأسمالى (*)

الدولة	عدد الشركات	أكبر شركة
١- الولايات المتحدة	١٦٧	جنرال موتورز
٢- اليابان	١١١	تويوتا موتورز
٣- بريطانيا	٤٣	British Petrolum
٤- ألمانيا	٣٢	ديملر بنز
٥- فرنسا	٢٩	رينو
٦- السويد	١٥	فولفو
٧- كندا	١٣	كناديان باسيفك
٨- كوريا الجنوبية	١١	سامسونج
٩- أستراليا	١٠	إلدرز IXL
١٠- سويسرا	١٠	نستله

(*) المصدر: Bernard Michael Gilory, Op. Cit., p. 44.

ملحق (٢) يوضح ترتيب الشركات متعددة الجنسيات حسب مبيعاتها الصناعية أو أصولها البنكية آخذ فى الاعتبار دولة المنشأ (*)

1) Dai-ichi Kangyo Bank (Japan) 470.2 billion $.

وهــو الممــول الرئيسى لعدد من شركات (Keiretsu) بما فيها شركة (Shiseido)، ومجموعة (Kawasaki) للصناعات الثقيلة (Isuzu)، (Fujitsu).

2) Mitsui Taiyo Kobe Bank (Japan) 438.6 billion $.

وهى نواة مجموعة من الشــركات الصنــاعيــة اليابانيــة التــى تضم (Toyota) ، (Toshiba)، (Shawa) لصناعة الطائرات.

3) Sumitomo Bank (Japan) 428.6 billion $.

وهــى الممول لمجمــوعة صناعية تضم شركات (Sumitomo) والعملاق الصناعى (NEC) ويمتلك نصيب كبير من (Goldman Sachs) وبنك نيويورك للاستثمار.

4) Deutsch Bank (Germany) 266.5 billion $.

وهو السوبر بنك المسيطر على تمويل عدد من مشروعات الاتحاد الأوروبى.

5) Citi Corp. (United States) 217.3 billion $.

وهو الممول الكونى لمجموعة من المشروعات على مستوى العالم.

6) Exxon Corporation (United States) 116 billion $.

(*) المصدر: Janet Lowe, Op. Cit., pp. 21 – 24.

عملاق البترول والغاز الطبيعي في الولايات المتحدة.

7) General Motors (United States) 107 billion $.

مازالت أكبر شركة صناعية في العالم وتمتلك ماركات بويك، بونتياك، أولدس موبيل، كاديلاك، شيفروليه، GMC، أوبل، Saab، وشركة (Hugas) لتصنيع الطائرات.

8) Royal Dutch Petroleum/Royal Dutch Shell (United Kingdom/Netherlands) 106.4 billion $.

وتسيطر على ١٠ % من إنتاج البترول والغاز الطبيعي في العالم.

9) International Business Machines (United States) 69 billion $.

10) British Petroleum Company PLC (United Kingdom) 63.6 billion $.

وتمتلك شركة (Standard Oil of Ohio)، ويمتلك مكتب الاستثمارات الكويتية ١٠ % من BP، ثالثة الشركات في العالم من حيث إنتاج البترول والغاز الطبيعي.

11) General Electric (United States) 58.4 billion $.

12) Daimler – Benz (Germany) 57.3 billion $.

13) Hitachi, Ltd. (Japan) 52.1 billion $.

14) Philip Morris Companies (United States) 51.2 billion $.

15) Fiat Group (Italy) 50 billion $.

16) I. E. du Pont de Nemours (United States) 40 billion $.

عملاقة صناعة البارود والمتفجرات فى العالم، بالإضافة للمنتجات الكيماوية الأخرى.

17) Unileven PLC and N. V. (United Kingdom/Netherlands) 39.6 billion $.

عملاق صناعة الأغذية فى أوروبا والعالم.

18) Matsushita Electric Industrial Co. Ltd. (Japan) 44.1 billion $.

19) Simens AG (Germany) 42.1 billion $.

20) American Telephone & Telegraph Co. AT&T (United States) 37.3 billion.

21) Nestlé SA (Switzerland) 36.2 billion $.

22) Bristol – Myers Squibb Co. (United States) 10.3 billion $.

أكبر شركة عالمية لصناعة الأدوية ومستحضرات التجميل.

23) The Coca-Cola Co. (United States) 10.2 billion $.

24) Merck & Co. Inc. (United States) 7.6 billion $.

وتعمل فى مجال الصناعات الدوائية.

●●●



الفصل الثالث

صورة العالم الإسلامى
فى التايم و الإيكونومست



التدفق الخبرى عن العالم الإسلامى

يعالج هذا الجزء من الفصل التدفق الخبرى عن دول العالم الإسلامى وأقلياته تبعاً للتقسيمات التى اعتمدتها الدراسة وتشمل التقسيم الجغرافى والمساحة وعدد السكان والمستوى الاقتصادى والحالة السياسية وأنواع الموضوعات التى شملتها التغطية فى كل من مجلتى التايم والإيكونومست.

●●●

أولاً : التدفق الخبرى .. فنونه وأنواعه وقضاياه

قبل التطرق لتفصيلات التدفق الخبرى داخل العالم الإسلامى، كان لابد للباحث أن يوضح نسبة التدفق الخبرى عن العالم الإسلامى فى عينة الدراسة مقارنة بباقى التدفق عن بقية دول العالم.

وأوضحت الدراسة التطبيقية أن العالم الإسلامى قد حاز نسبة ٢٢,٨% من حجم التغطية الخبرية فى عينة الدراسة بينما بقية دول العالم حازت نسبة ٧٧,٢% من حجم التغطية، وذلك محسوباً بعدد الموضوعات الخبرية سواء التى جاءت فى شكل خبر صغير فى عمود أخبار أو تقرير خبرى يحتل صفحة أو أكثر من صفحات أى من المجلتين، وذلك التقسيم يعترف المؤلف بنقص دقته الكاملة، إذ وجد المؤلف صعوبة فى حساب حجم التغطية مقدراً بالمساحة وليس مقدراً بعدد الأخبار وذلك لعدم توفر أعداد الطبعة الدولية من مجلة التايم فى جامعة أنديانا بولاية بنسلفانيا أو فى أى من الجامعات التى حولها. واعتماد المؤلف على الطبعة الدولية المنشورة فى أرشيف التايم على الإنترنت.

ويمكن أن نستخلص من الدراسة أيضاً أن حجم التغطية فى مجلة التايم عن العالم

الإســلامى قد فاق – مقارنته بالتغطية عن بقية العالم – مجلة الإيكونومست .. وذلك رغم أن الإيكونومســت كانــت أكــثر اهتماماً بأخبار العالم الإسلامى من التايم من حيث حجم الأخــبار عــن العالم الإسلامى، وهى نتيجة يرجعها المؤلف لكثرة الموضوعات المنشورة فى الإيكونومست عن الولايات المتحدة وأوروبا مقارنة بالطبعة الدولية لمجلة التايم، ولكن النسب غير دالة إحصائياً بما يعنى تشابههما فى حجم التغطية.

وأوضــحت الدراســة التطبيقــية أن مجلة الإيكونومست كانت أكثر اهتماماً بتغطية أخبار العالم الإسلامى (دوله وأقلياته)، فشملت التغطية خلال شهور يناير وفبراير ومارس عــام ١٩٩٧ (٩٦) مــادة خبرية للإيكونومست بنسبة ٦٣,٢% من حجم العينة فى مقابل (٥٦) مادة خبرية للتايم بنسبة ٣٦,٨% من حجم العينة.

وتمــيزت مجلة الإيكونومست فى كل أنواع المواد الخبرية، بل وتفردها هى ببعض الفــنون الخــبرية مثل الخبر القصير، والقصة الخبرية وإن كانت بنسب بسيطة، إذ لاحظ المؤلــف أن معظــم أخــبار العالم الإسلامى يستوعبها نوعان من الفنون الخبرية (أعمدة الأخــبار)، (الــتقارير الخــبرية)، وهو ما يجعل التغطية إما بسيطة لا تقدم إجابات على الأســئلة الخمســة أو W's٥ نظــراً لصغر حجم الخبر، أو متعمقة يتم فيها تقديم الحقائق والمعلومــات، والخلفيات، والآراء المتعددة، مع التحليل والتفسير ثم توقع ما سوف يستجد مــن أحداث، وهو الأمر الذى سيحدد فيما بعد مدى اهتمام المجلتين بدول العالم الإسلامى تــبعاً للتقســيمات الــتى وضعها المؤلف والتى تشمل المناطق الجغرافية، الحجم، السكان، المستوى الاقتصادى، والحالة السياسية فضلاً عن التقسيم الموضوعى للمادة الخبرية.

وفيما يتعلق بنوع التدفق أبانت الدراسة أن تغطية أخبار العالم الإسلامى غلب عليها التغطــية الجادة السلبية فجاءت نسبة المواد التى تتعرض للمشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعــية بشــكل سلبى ٨٠,٣% من حجم العينة، يليها الأخبار الجادة الإيجابية والتى تــتعرض لأخــبار السياسة والاقتصاد فى دول وأقليات العالم الإسلامى على نحو إيجابى

بنسبة ١١,٢% أما الأخبار الخفيفة الإيجابية والخفيفة السلبية فكانت نسبتهما ٣،٣%، ١,٣ % على الترتيب، وهو ما يبين أن الأخبار التى تتعرض لموضوعات الفن والأدب والثقافة وأسـلوب الحياة فى العالم الإسلامى كانت ضئيلة فى كلا المجلتين، سواء كانت إيجابية أو سـلبية، فـيما كانت هناك نسبة ضئيلة فى المجلتين وضعها المـؤلف تحت تصنيف (غير محدد) ربما لتماثل العناصر المحددة للخبر السلبى أو الإيجابى، الجاد أو الخفيف فيهما.

وإذا نظـرنا لكل مجلة على حدة، يتضح لنا أن مجلة الإيكونومست البريطانية كانت تغطيـتها لشـئون العـالم الإسلامى تنحو أن تكون سلبية أكثر من مجلة التايم الأمريكية، ويمكـن تفسـير ذلك – دون التعرض لنوع الدول وتقسيماتها – إلى الطابع الجاد المحافظ لمجلـة الإيكونومسـت مقارنـة بمجلة التايم، وهو ما يمكن التأكيد عليه بأن نسبة الأخبار الخفـيفة فى مجلة التايم كانت أكثر من مجلة الإيكونومست، فضلاً عن صيغة مجلة التايم الـتى يغلـب علـيها التوازن فى عرض الآراء وهو ما جعلها تستأثر بنسبة الأخبار غير المحددة.

وأوضـحت الدراسـة التطبيقية لنا لماذا كانت التغطية فى الأغلب جادة، إذ جاءت نسـبة الأخـبار السياسـية، والاسـتراتيجية والاقتصادية، والدينية – السياسية، والسياسية الاستراتيجية، الاقتصادية السياسية، والاقتصادية الاجتماعية كبيرة فى كلا المجلتين: التايم والإيكونومسـت على حد سواء، وإن تفوقت الإيكونومست فى كل التقسيمات السابقة على التايم، فيما انفردت الأخيرة بالمواد الإخبارية التى تتعرض للفن والثقافة.

وقد وجد المؤلف أن النسبة العالمية للأخبار الإيجابية الجادة كانت للأخبار السياسية ثـم الاقتصـادية ثم فى مرتبة واحدة تأتى الأخبار السياسية – الاستراتيجية، الاقتصادية – السياسـية، وفـيما يتعلق بالأخبار السلبية الجادة فكانت النسبة الأكبر للقضايا السياسية ثم الدينية – السياسية ثم السياسية – الاستراتيجية ثم الاقتصادية – السياسية.

وهـــى نتـــيجة يمكـــن تفسيرها بأن معظم قضايا العينة كانت سياسية، تنحو إلى أن تكـــون سلبية إذا خلط الدين بالسياسة وإلى أن تكون إيجابية إذا كانت سياسية اقتصادية أو اقتصادية صرفة.

وقـــد كانـــت الأخـــبار الإيجابـــية الخفيفة من نصيب الأخبار الفنية والثقافية والتى انفـــردت بها مجلة التايم، إذ رغم أن مجلة الإيكونومست تحتوى على صفحات لمراجعات الكتـــب والموضـــوعات الفنـــية والأدبية فإنها لم تتعرض لأى من هذه الموضوعات داخل العالم الإسلامى:

● ● ●

ثانياً : علاقة التغطية الخبرية بالتقسيم الجغرافى للعالم الإسلامى

بدايـــة يقـــرر المؤلـــف أنه ليس هناك تناقض بين المصالح الأمريكية (التى تمثلها مجلـــة التايم) والمصالح البريطانية (التى تمثلها مجلة الإيكونومست)، فكما أوضحت العديد مـــن الأحداث فى أعقاب الحرب العالمية الثانية فإن السياسة البريطانية كانت دائماً متحالفة بشـــكل مباشـــر أو غير مباشر مع المصالح الأمريكية حتى بداية القرن الحادى والعشرين اللهـــم إلا فـــى اســـتثناءات قلـــيلة مثل العدوان الثلاثى على مصر (بريطانيا – فرنسا – إسرائيل) عام ١٩٥٦، ودعم الولايات المتحدة لإسرائيل فى حرب ١٩٧٣ والتى اعترضت علـــيه بريطانيا إذا رفضت بريطانيا استخدام قواعدها العسكرية فى تزويد إسرائيل بالسلاح مشاركة فى الجسر الجوى الأمريكى الذى بدأ فى ١٠ أكتوبر ١٩٧٣.

ففـــى كـــتابهما الهـــام An Ocean Apart يرصـــد ديفيد ديمبليبى وديفيد رينولدز العلاقـــة بيـــن بريطانيا والولايات المتحدة فى القرن العشرين وما يهمنا فى هذا السياق أن الدولتيـــن اللتيـــن كانـــتا متنافستين اقتصادياً فى مطلع القرن بدأتا فى التقارب منذ اندلاع الحـــرب العالمـــية الثانية وبعدها فى فترة الحرب الباردة، فعلى سبيل المثال تأسست قاعدة عســـكرية أمريكية كبيرة عام ١٩٤٨ فى أنجليا الشرقية لا يقل عدد العسكريين الأمريكيين

بهـا عـن ٦٠ – ٧٠ ألـف أمريكي فضلاً عن القواعد البحرية الأمريكية على الشواطئ الاسـكتلندية إذ اعتـبرت الولايـات المـتحدة بريطانيا أكبر حليف لهـا في حلف شمال الأطلـنطي الـتي تأسـس فـي نفـس العام (عام ١٩٤٨) في مقابل أن تصم الحكومات البريطانـية المتعاقبة الأذن عن كل ما يعارض وجود أمريكي كبير في بريطانيا حتى ولو كـان ذلـك رداً علـى تعاطف بعض الرؤساء الأمريكيين مع القضية الأيرلندية مثل جون كيـندي. عـلاوة على ذلك فقد ساهمت بريطانيا بنصيب كبير في قوات الأمم المتحدة التي شاركت في حـرب كـوريا (١٩٥٠ – ١٩٥٣) كما دعمت الوجود العسكري في فيتنام (١٩٦٣ – ١٩٧٥) وإن شهدت السبعينيات ما يشبه الجفوة بين الولايات المتحدة وبريطانيا الـتي فضـلت أن تهـتم بشـئون أوروبـا إبان حكم رئيس الوزراء ريتشارد هيث، فإن الثمانينيات جعلت الدولتين أكبر حليفتين عبر الأطلنطي وساهم في ذلك الصداقة التي قامت بين الرئيس الأمريكي رونالد ريجان ومارجريت تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية.

كـان بدايـة التقارب مع حرب فوكلاند (إبريل – مايو ١٩٨٢) والتي حسمت فيها الولايـات المتحدة ترددها بين حليفتيها بريطانيا والأرجنتين لصالح الأولى على اعتبار أن الأرجنتيـن بـدأت باسـتخدام القـوة في حل الصراع حول جزر فوكلاند، حيث ساعدت الولايات المتحدة الأسطول البريطاني بالذخيرة ووقود الطائرات والمعلومات العسكرية. ثم تجلـى هذا التعاون العسكري في الضربة العسكرية الأمريكية ضد ليبيا في إبريل ١٩٨٦ حيـث اسـتخدمت الولايات المتحدة القاذفات F-111 من قاعدة أنجليا الشرقية، فضلاً عن ذلـك فقـد ساندت بريطانيا بقوة مبادرة الدفاع الاستراتيجي المعروفة باسم (حرب النجوم) مـنذ عـام ١٩٨٣ والـتي طرحها رونالد ريجان رغم تحفظ ألمانيا وفرنسا على تكاليفها الـباهظة وطـرحهما لنظام دفاعي أوروبي بديل تحت اسم (إيرويكا) وذلك حتى لا تتخلف

بريطانـــيا عـــن المشـــاركة فى تطوير تكنولوجيا الليزر والأقمار الصناعية والكمبيوتر فى الاستخدامات العسكرية [1].

وفـــى التســـعينيات شاركت بريطانيا الولايات المتحدة فى حشد قوات التحالف ضد صـــدام حســـين عقـــب غزو العراق للكويت فى أغسطس ١٩٩٠ كما دعمت بريطانيا كل قـــرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن التى طرحت مشروعاتها الولايات المتحدة. ورغم قـــيام الولايـــات المتحدة بالتدخل فى مناطق يوغسلافيا السابقة : البوسنة وكوسوفو بشكل فـــردى مســـتخدمة حلف الناتو، فإن الامتعاض البريطانى كان شكلياً ويعكس عجز الاتحاد الأوروبى عن حل مشكلات القارة الأوروبية بمفرده دون التدخل الأمريكى إذ كانت مدينة دايـــتون بولايـــة أوهـــايو هـــى المحطة الأخيرة التى استقر بها نزاع البوسنة على سبيل المثال[2].

وعلـــى صعيد آخر، فقد تشكل المشهد الاقتصادى بمثل ملامح نظيره السياسى، فقد انتعشـــت التجارة بين الدولتين بعد توطن العديد من رؤوس الأموال الأمريكية فى بريطانيا خـــلال الســـتينيات فبلغ عدد الشركات الأمريكية العاملة فى بريطانيا حوالى ١٦٠٠ شركة بعـــائد ٦ مليارات دولار تمثل ١/١٠ حجم الاستثمار الأمريكى فى العالم والثانى فقط بعد كـــندا دعمـــاً للصـــناعات الجديـــدة فى بريطانيا مثل الملابس وأدوات التجميل والسيارات والكمبـــيوتر بعد تدهور الصناعات البريطانية التقليدية المتمثلة فى التعدين وصناعة السفن وبعد نقلهما إلى الهوامش حماية للبيئة.

وإن شـــهدت الســـبعينيات نوعاً من الكساد والتضخم فى البلاد الغربية والذى طال بريطانـــيا وأمـــريكا، فـــإن الثمانينـــيات شهدت انتعاشاً جديداً فى العلاقات الاقتصادية بين

(1) David Dimbleby & David Reynolds: **An Ocean Apart** (New York: First Vintage Books, 1989), pp. 262 - 286.

(2) Barry R. Posen, **Competing Visions for Grand Strategy,** International Security, Winter 97, Vol. 21, No. 21, pp. 49 – 52.

البلديــن حيــث انتقلــت رؤوس الأمــوال البريطانية هذه المرة عبر المحيط إلى الولايات المــتحدة بعــد قــرار مارجريت تاتشر بعدم فرض قيود على حركة رأس المال، وتحرير ســعر الصـــرف فبلغ حجم الاستثمار البريطانى حوالى ٥ مليارات دولار عام ١٩٨٥ زاد إلـــى ١٥ مليار فى العام التالى واعتبر الخبراء الاقتصاديون الاقتصاد البريطانى من ضمن أفضـــل ١٠ اقتصـــادات مســـتقرة فـــى العـــالم وهـــو ما سجل نجاحاً لتاتشر بعد ركود الســـبعينيات[١]. ومـــع مطلع التسعينيات وزيادة انتقال رؤوس الأموال بفعل العولمة جاءت الولايـــات المـــتحدة وبريطانيا أيضاً ضـــمن العشرة الكبار فى الاستثمار الكونى (راجع ملحـــق ٢) كما نجحت شركة مثل نيوز كوربوريشن التى يمتلكها روبرت ميردوخ فى أن توحد تقريباً المحتوى الإعلامى لشبكة فوكس فى بريطانيا والولايات المتحدة.

وكشفت الدراسة التطبيقية أن أغلب الاهتمام كان ببلدان العالم العربى فجاءت بنسبة ٥٠% من حجم العينة، وقد عضد هذه النتيجة بشكل واضح أن النسبة كانت ٥٠% فى كلا المجلتين الإيكونومست والتايم على حد سواء.

وقد تركز الاهتمام بالعالم العربى فى ثلاث قضايا رئيسية :

- الصراع العربى الإسرائيلى.
- الأزمة الغربية مع العراق.
- جماعات العنف السياسى وفعاليتها فى العالم العربى.

ولعـــل هـــذا مـــا يتسق مع خطاب الدوائر الأمريكية (والبريطانية بالتبعية) أن من أولويـــات الاهتمام بالعالم الإسلامى هو عملية السلام بتأييد إنهاء الحرب بين الدول العربية وإسرائيل ودعم مفاوضات السلام، وعزل الدول المنبوذة التى تهدد الاستقرار الإقليمى فى منطقة الشرق الأوسط مثـــل العـــراق فضلاً عن مكافحة "الأصولية الإسلامية" Islamic

(1) David Dimbleby & David Reynolds, **Op. Cit.**, pp. 262 – 286.

Fundamentalism أو التأسلـــم Islamism أو التطـــرف الإسلامـــى Islamic Radicalism وغيرها من المسميات المشابهة وخاصة فى مصر والجزائر، لا تسقط بقية البلدان فيما اصطلح على تسميتها بنظرية الدومينو [1].

ويـــأتى فـــى المركـــز الثانى الدول الشرق أوسطية غير العربية والتى تضم داخلها إيـــران، تركـــيا، أفغانســـتان، بنسبة ١٢,٥% من حجم العينة، وإيران تدخل ضمن الدول المنـــبوذة التى تسعى الولايات المتحدة لاحتوائها بجانب العراق لما فى ذلك مصلحة قريبة للولايـــات المـــتحدة وقد أثارت هذه السياسة قلق فرنسا وألمانيا من إتباعها ولكنهما لم تلقيا المســـاندة من بريطانيا، وتركيا نقطة محورية فى اتصال الإسلام بشرق أوروبا فضلاً عن محاولـــتها لدخول الاتحاد الأوروبى رغم معوقات حقوق الإنسان والصعوبات الاقتصادية، أمـــا أفغانســـتان فإن الحرب الأهلية الدائرة فيها منذ ١٩٩٢ عقب الانسحاب السوفيتى منها تقلق بلدان آسيا الوسطى فضلاً عن الولايات المتحدة وأوروبا الموحدة (من بينها بريطانيا) الطامعـــة إلى استغلال البترول والغاز الطبيعى فى كازاخستان وتركمنستان. وهو ما يجعل ثلاثـــة بلدان تحظى بنسبة ١٢,٥% فى مقابل عدد كبير من الدول الإسلامية التى لا تحظى بهذه النسبة كما سيتم شرحه.

ويـــأتى فـــى المركز الثالث بلدان جنوب شرق آسيا الإسلامية (ماليزيا – إندونيسيا) بنسبة ١١,٨% وكانت الإيكونومست أيضاً أكثر اهتماماً من التايم بنسبتى ٦٦,٧%، ٣٣,٣ % على الترتيب ، وقد وفـــد الإسلام إلى جنوب شرق آسيا فى فترة متـــأخرة إلى حد ما. وتمـــثل إندونيســـيا قوتـــه الأساسية إذ بها أكبر عدد من السكان المسلمين فى العالم، وتأتى بعدها ماليزيا التى يمثل المسلمون نصف سكانها، وتوجد جماعات سكانية مسلمة أقل عدداً

---

(١) كـــارلا كونيـــنجهام : **الأصولية الإسلامية ونظرية الدومينو : قراءة فى السياسة الخارجية الأمريكـــية تجاه الإسلام السياسى**، ترجمة : د. حسن جوهر، السياسة الدولية، عدد (١٢٥)، عام (٣٢)، يناير ١٩٩٧، ص ص ٨ – ٢٥.

فـــى جـــنوب تـــايلاند وفى الفلبين، وتملك إندونيسيا منذ الاستقلال تراثاً رئيسياً من الحكم العلمـــانى. وعمـــدت قـــيادة البلاد إلى ترسيخ الأيديولوجية الأخلاقية القومية ذات الطابع العلمـــانى كوســـيلة لصـــهر ســـكان الـــبلاد فـــى بوتقة قومية. وعلى الرغم من أن هذه الأيديولوجـــية أقل تشدداً بكثير فى طابعها العلمانى بالقياس إلى حركة أتاتورك فى تركيا، فـــإن هناك توتراً كامناً قديماً بينها باعتبارها (أيديولوجية رسمية)، وبين النوازع الإسلامية المغـــرقة فـــى حرفيـــتها بمـــا فيها الحركات الإسلامية المتشددة التى تشعر بالاستياء لأن الغالبـــية المســـلمة ٨٥% مـــن سكان البلاد مطلوب منهم عدم القول بأن الإسلام هو الدين القومـــى إذعانـــاً لأقليات غير مسلمة، ومن هنا ظهرت بعض الاضطرابات التى تدعو إلى الـــتخلى عـــن البانســـكيلا (القومية العلمانية) لصالح الإسلام، ويمثل هذا نوعاً من المحك الحاسم لمستقبل العلمانية فى إندونيسيا.

وكذلـــك تستشـــعر ماليزيا، ونصف سكانها فقط مسلمون ومالايون، حساسية شديدة إزاء خطـــوط المنازعة الدينية والعرقية داخل مجتمعها المتعددة الأعراق والأديان ويساعد نجاح ماليزيا الاقتصادى فى الحد من احتمالات هذه المواجهات الثقافية والتى تنطوى على تفـــاوت كبـــير فـــى الوضـــع الاقتصادى خاصة فيما بين طبقة التجار الصينيين والسكان المالاويـــن. والجديـــر بالملاحظـــة أن ماليزيا تتحول لتكون نقط التقاء تضم الكونفوشيين والإســـلاميين منـــتقدى الثقافة الغربية ومظاهر ضعفها الأخلاقية والاجتماعية وكان رئيس وزرائها (محاضر محمد) واحداً ممن انتقدوا صراحة الهيمنة الثقافية الغربية.

وهكـــذا فإن مصادر النزاع العامة فى جنوب آسيا بين الإسلام وما هو غير الإسلام تتضـــمن المنافســـة الداخلية بين السكان المسلمين وغير المسلمين وتعبر هذه المنافسة عن نفســـها فـــى الغالب الأعم فى صورة عرقية وليس دينية، وتصدر عن حاجة متوهمة إلى تشـــكيل جـــبهة ثقافـــية قويـــة ضـــد القوة الاقتصادية والثقافية للطوائف الصينية والهندية والملاحـــظ أن الـــتوترات مـــع الغـــرب فى جنوب شرق آسيا أقل إلحاحاً منها فى العالم

الإســلامى الغــربى، بــيد أنهــا ماثلــة بوضوح فى مشاعر الاستياء من الهيمنة الغربية للمؤسسات الدولية السياسية والثقافية والاقتصادية [1].

وقــد جــاءت الأقليات الإسلامية فى المركز الرابع بنسبة ١٠,٥% وهو التصنيف الوحــيد الــذى تساوت فيه المجلتان الإيكونومست والتايم بنسبة ٥٠% لكل، وقد توزعت اهتمامات التغطية بين البوسنة وكوسوفو والصين على الترتيب.

وفــيما يتعلق بالبوسنة وكوسوفو فهى على نقاط التماس مع المناطق الخاضعة لنفوذ الكــنائس الأرثوذكســية اليوم وهى التى لا تزال تمثل قوة التوازن المقابلة للإسلام، ولعل الحــدود الشــرقية المسيحية – الإسلامية تمثل أكثر نقاط "الصدام الحضارى" توتراً وإثارة للعواطــف بيــن المســيحية والإسلام على الساحة العالمية، وقد أدى تصدع الإمبراطورية الســوفيتية فى شرق أوربا إلى احتدام الصراع فى بلدان البلقان التى لا يقتصر إرثها على الكثــير مــن الأمــور الــتى لــم تحسم بين مسيحيى المنطقة (الصرب الأرثوذكس مقابل الكــروات الكاثولــيك) بــل جــذب إلــيه أيضاً العنصر الإسلامى: مسلمو البوسنة وحالة المســلمين فــى كوسوفو، وهو وضع شهد انفجارات عديدة بينما الصرب مستنفرون ضد ألبانــيا. وكذلك نجد قضايا التحرر عن طريق الانفصال من أجل التوحد على أساس عرقى أو دينى مثارة أيضاً بين اليونان وكل من تركيا وبلغاريا أو بين تركيا وأرمنيا.

وعلــى الــرغم مــن الانفعالات الأليمة التى انطلقت من عقالها فى بلاد البلقان فإن الشىء المذهل أن نلاحظ أن الرأى العام فى الولايات المتحدة وفى بعض مجتمعات أوروبا لــم يســتثره الجانب الدينى من مشكلات البلقان وعلى عكس توقعات الغالبية العظمى من المســلمين (وهــى توقعــات غير مبنية على معلومات) فقد أثبت الغرب بالفعل تعاطفاً مع مسلمى البوسنة ومسلمى كوسوفو، وكان تعاطفه معهم باعتبارهم الضحية أكثر من تعاطفه

(١) جراهام إى. فوللر وإيان أو. ليسر: مرجع سابق، ص ص ١٦٦ – ١٦٧.

مع الكروات الكاثوليك أو الصرب المسيحيين الأرثوذكس الذين لهم الهيمنة. وبات واضحاً أن الغـرب العلمـانى الحديـث يحكـم أولاً علـى هذه القضية تأسيساً على قواعد أكثر موضـوعية مـن حيث جوانبها القانونية والإنسانية دون علائقها الدينية. ولا ريب فى أن عـدم وجود شعور قوى بالرابطة الطائفية فى هذا الصراع من جانب الأمريكيين وكثيرين من الأوروبيين الغربيين يمثل ملاحظة ذات أهمية كبيرة فى إطار (الإسلام مقابل الغرب)، عـلاوة علـى هذا فإن يهود الغرب وإن كانوا يتتبعون باهتمام صراع الإسلام مع إسرائيل فـإنهم مـن بين أعلى المؤيدين صوتاً لدعوة الغرب إلى اتخاذ إجراء للحيلولة دون وقوع مذبحة عرقية لشعب البوسنة المسلم [1]، وينطبق هذا على حالة كوسوفو أيضاً.

ويمكـن الرد على ما قاله فوللر وليسر بأن الولايات المتحـدة وحلفـاءها الغربيين مـا كـانوا ليـتدخلوا لولا وجود مصالحهم فى هذه المنطقة لاسيما الولايات المتحدة التى تدخلـت لتوقـيع اتفاق دايتون للسلام عام ١٩٩٤ بعد فشل الاتحاد الأوروبى فى حل أزمة البوسـنة وهـى التى قادت أيضاً الحملة ضد يوغسلافيا عام ١٩٩٩ لتثبيت مكانتها كقطب واحـد مهيمـن رغم ما اعترى تدخلها من خرق للشرعية الدولية وتجاوز للأمم المتحدة، فالأمـر كـان أمر مصالح قبل أن يكون أخلاقيات لاسيما وأن من غير المتوقع أن تنتشر "الأصولية الإسلامية" فى البوسنة وكوسوفو والتى يراها الغرب خطراً يهدد مصالحه.

وكذلك تمثل حدود الصين مع آسيا الوسطى نقطة اشتعال محتملة مع الإسلام، حتى على الرغم من أن الصين ليست مسيحية. فالصين بها سكان مسلمون من عرق تركى وهم الأتـراك الأويغـور، ويبلغ تعدادهم ٨ ملايين نسمة ويقطنون غرب الصين وهى تركستان الصـينية تاريخـياً وتسـمى الآن فى الصين بإقليم سينكيانج. ويرتبطون ارتباطاً وثيقاً من الناحـية الثقافـية بالأوزبيك على امتداد حدود الاتحاد السوفيتى السابق وقد عانوا سنوات طويلة من "التطهير العرقى" والضغوط السكانية إثر الاستيطان القسرى للصينيين الهان فى

(١) المرجع السابق، ص ص ١٥٧ - ١٦١.

المـنطقة بهـدف إضـعاف الوحـدة العرقية للأويغور وإذابتهم. ويطمح الأويغوريون فى الحصول على قدر كبير من الاستقلال الذاتى إن لم يكن الاستقلال التام عن الصين.

وبالنسـبة للصين فقد تزايدت النزعات الانفصالية فى التركستان الصينية فى موازاة مـع تطلعـات مماثلـة لدى التبت المجاورة. ويرى فوللر وليسر أن القضية الأساسية فى تركستان الصينية ليست هى الإسلام أبداً، بل هى حركة تحرر قومى موازية لحركات أهل التبـت البوذييـن والمغول وحيث أن الإسلام بات موجوداً بالفعل كأحد العوامل فإن دوره سـوف يـزداد حتماً لتعزيز الهوية القومية للأويغور باعتباره قسمة ثقافية أخرى تمايزهم عن الصينيين الهان.

ولـيس الأيغور هم الجماعة المسلمة الأكبر عدداً فى الصين. إذ هناك مسلمون من أصـل عـرقى اسمه هوى Hui ويزيد تعدادهم على ١٠ ملايين نسمة ويتحدثون الصينية كلغـة أصلية، وغالباً ما يتعذر تمييزهم عن الصينيين الهان من حيث أنفسهم جماعة عرقية متمايزة وقومية داخل الصين على أساس الدين (١).

وجـاء فى المركز الخامس بلدان جنوب آسيا (باكستان وبنجلاديش) بنسبة ٩،٩% من حجم العينة، وفى هذا الصدد تفوقت تغطية الإيكونومست على التايم بنسبتى ٥٣,٣%، ٤٦,٧% علـى الترتيـب وهـى نسبة كبيرة بالنسبة لبلدين اثنين، فالإسلام فى شبه القارة الهـندية فى حالة تفاعل مع العالم الهندوسى ومع ذلك فإن هذا العالم يمثل بالنسبة للإسلام حـدوداً ثقافية عالية التوتر، ولها تأثير مباشر على النظرة الأعم للإسلام إلى العالم إذ نجد بعـض الأحـزاب السياسية الهندوسية داخل الهند تتحدث ضمناً وصراحة عن التعاون مع الغرب ضد الخطر الإسلامى.

ويكشف تاريخ شبة القارة الهندية عن قسمات دور معكوس فى علاقات القوى بين

---

(1) Dru Gladney, **Muslim Chinese: Ethnic Nationalism,** (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1991), p. 8.

المســـلمين والهندوس، فقد كانت الهند خاضعة لحكم مزدهر لأسرة مسلمة هى أسرة المغل Mughals ابــتداء مـــن مطلـــع القرن السابع عشر وحتى تاريخ السيطرة البريطانية على الهــند فى مطلع القرن التاسع عشر. والمغل من أصل تركى وفدوا مباشرة من وسط آسيا عـــبر أفغانستان لغزو الهند وحكمها من دلهى، وأقاموا أسرة حاكمة تعتبر من أبرز مظاهر الــتطور الــثقافى الهندى، وهنا حكمت أقلية مسلمة الأغلبية الهندوسية لعدة قرون إلى أن انعكســـت الأدوار مع السيطرة البريطانية إذ شرعت بريطانيا تدريجيا فى منح المؤسسات الهندية سلطة أكبر حتى بلغ الوضع ذروته بهيمنة الهندوس عقب الاستقلال عام ١٩٤٧.

وعقب استقلال باكستان عام ١٩٤٧، وبنجلاديش عام ١٩٧٠ هاجر عـــدد كبير من

المســـلمين الهـــنود إلى باكستان وبنجلاديش ليصل عدد المسلمين فى الهند الآن إلى ١٢% فقـــط. وقـــد نشبت ثلاث حروب بين الهند وباكستان كان آخرها عام ١٩٧١ وبالطبع فإن أكـــثر مـــن ٤٠ عاماً من العداوة بين باكستان المسلمة والهند ذات الأغلبية الهندوسية أدت إلى مزيد من العلاقات المتوترة، كما أن ولاية (كشمير) ذات الأغلبية المسلمة هى المنطقة الهامة التى تبدو فيها احتمالات الانفصال واقعية وكبيرة، وتتعاظم الانتفاضة الإسلامية فى كشـــمير تأسيســـاً علـــى مظـــالم وشكاوى عميقة الجذور لدى شعب كشمير وتؤجج نارها باكستان بما تقدمه من دعم وأيضاً التدابير الأمنية القاسية والغشوم من جانب الدولة الهندية ضـــد الســـكان إجمالاً. وترفض الهند بإصرار السماح بإجراء استفتاء تحت إشراف الأمم المـــتحدة فـــى المـــنطقة ، وأصبح هذا الرفض لب الخلاف بين الهند وباكستان على مدى بضعة عقود.

وأقامت الهند علاقات دبلوماسية مع إسرائيل عام ١٩٩٢، وأسفرت عن تعاونها مع إســـرائيل ضـــد الأصـــولية الإســـلامية، وتبدو الهند قلقة بالمثل بشأن ظهور خمسة بلدان إســـلامية مســـتقلة جديـــدة فى آسيا الوسطى القريبة منها، وترى الهند أن هذا من شأنه أن يعـــزز "العمق الاستراتيجى الإسلامى" لباكستان. إذ أضحت هذه البلدان الناشئة هى البديل

لمـــنطقة وسط آسيا فى الماضى والتى كانت لا دينية وخاضعة للهيمنة السوفيتية ومناصرة رسمياً للهند. وعلى الرغم من أن دول آسيا الوسطى تسعى لإقامة علاقات طيبة مع الهند، فــإن دلهـــى قلقـــة إزاء احتمالات تعاظم الأصولية الإسلامية هناك وإزاء الدور المتنامى لبلدان إسلامية أخرى فى سياسات واقتصاديات آسيا الوسطى (١).

وقد أتت فى المركز السادس بلدان آسيا الوسطى الإسلامية بنسبة ٣،٣% من العينة وتفوقـــت كالعـــادة الإيكونومســـت على التايم بنسبتى ٨٠%، ٢٠% على الترتيب، وأشد الصـــراعات دمويـــة الآن فى آسيا الوسطى هى الحرب الأهلية الدائرة فى طاجيكستان – وهـــى حرب ذات طابع أيديولوجى وعرقى وإقليمى – وتدور رحاها تقريباً بين المسلمين، أى بيـــن الأوزبـــيك والطاجيك وكذلك بين الطاجيك أنفسهم والمعروف أن روسيا الأصلية تـــربطها بالإســـلام حـــدود خارجية واحدة وإن كانت ممتدة وهى حدودها مع كازاخستان المسلمة.

وعلاوة على الجوانب الاقتصادية والإقليمية المحددة للصراع الروسى الإسلامى فى آســـيا الوســـطى مـــثل رغبة روسيا فى حفظ أمنها القومى ومصالحها الاقتصادية مع هذه الجمهوريـــات، يوجـــد كذلـــك تـــراث نفسى ثقافى، فمنذ القرن الثالث عشر وحتى القرن الخامس عشر كان الروس أنفسهم خاضعين لهيمنة التتار – المغول الذين أصبحوا فيما بعد يمـــثلون حضـــارة تـــتارية / مغولـــية – تركية إسلامية جنوب الوطن الروسى مباشرة. وخاضـــت روســـيا صـــراعاً طويلاً على مدى قرون ضد هذه القوى التتارية التركية التى عمـــدت إلى التوسع فى أراضيها وهكذا نجد الذكريات الشعبية الروسية تغوص عميقة فى ســـديم (الهـــلاك الأصفر الآسيوى) الذى لا يقتصر على الصين وحدها بل ويشتمل أيضاً على قوة الشعوب الإسلامية فى الجنوب.

---

(١) جراهام فوللر، إيان ليسر: مرجع سابق، ص ص ١٦٣ – ١٦٥.

والواضـح أن روسيا تشعر حالياً بالقلق إزاء التشدد الإسلامي، وليس السبب مرده فقـط إلـى احـتمال أنه قد يؤلب الجمهوريات الإسلامية السابقة على روسيا، بل إلى أنه سـيكون بإمكانه كذلك أن يشجع الاتجاهات الانفصالية بين الشعوب المسلمة داخل الاتحاد الروسـي ذاته في الشيشان وتتارستان وباشكورتستان. وتواجه روسيا معضلة: أنها تخشى قـوة الإسـلام كعـامل محتمل مناهض لروسيا في المنطقة وتلتمس في الوقت نفسه سبيلاً لأداء دور رئيسـي داخـل العـالم الإسـلامي بما في ذلك الشرق الأوسط يخلخل الهيمنة الأمريكـية علـى هذه المنطقة. وهكذا تمثل الحدود الثقافية الإسلامية - الروسية مشكلات معقـدة ومستعصية على الحل علاوة على ما تحمله من تراث ذي اتجاهين عن الإمبريالية والتوسع من جانب الطرفين [١].

ويـأتي في نهاية التقسيم الدول الأفريقية التي أخذت أقل الاهتمام بنسبة ١,٣% وقد تركـز الاهـتمام في مجلة الإيكونومست فقط دون التايم وتركز الاهتمام في منطقة غرب أفريقـيا وبالـتحديد نيجـيريا المقسمة إلى منطقتين إسلامية ومسيحية ويسعى كثيرون من المتشـددين فـي نيجيريا إلى تحويل بلدهم إلى دولة يحكمها الإسلام وتلقوا في هذا تشجيعاً مـن إيران والمملكة العربية السعودية ويبدو مرجحا أن يتعاظم الصراع بين الأهالي بشأن هـذه القضـايا، ويـرى فوللر وليسر أن الإسلام سيكون على الأرجح عاملاً هاماً من بين عوامـل أعـم وهي النزعة الانفصالية في مختلف أنحاء القارة، والملاحظ أنه في الغالبية العظمـى مـن الحالات أن الإسلام في ذاته ليس هو أساس النزعة الانفصالية بقدر ما نجد الأساس في الفوارق العرقية التي تدعمها هوية دينية [٢].

وقـد احـتوت فـئة أخرى على مادة انفردت بها مجلة التايم وكانت متعلقة بالدين الإسلامي وهي الفئة الدينية الوحيدة في عينة الدراسة.

---

(١) المرجع السابق، ص ص ١٦٠، ١٦١.
(٢) المرجع نفسه، ص ص ١٦٧، ١٦٨.

وكشـفت الدراسة التطبيقية أن العلاقة بين التقسيم الجغرافى للعالم الإسلامى ونوع التدفق الخبرى كانت كالآتى :

- **بالنسـبة للأخـبار الإيجابـية الجادة** : كانت أعلى نسبة للبلدان الأفريقية تلتها بلدان جـنوب شرق آسيا ثم بلدان الشرق الأوسط غير العربية ثم البلدان العربية ثم الأقليات الإسـلامية، وهـى نتيجة يمكن تفسيرها بقلة عدد أخبار البلدان الأفريقية، أما بالنسبة لـبلدان جـنوب شرق آسيا فهى نتيجة منطقية لأن أغلب أخبارها كانت عن نجاحات اقتصـادية حققتها اتساقاً مع المنطلقات الفكرية لخطاب العولمة ثم كانت تركيا تحديداً هـى الـتى رجحت وجود أخبار إيجابية جادة فى منطقة الشرق الأوسط غير العربية وفـيما يـتعلق بالمـنطقة العربـية كانـت أخبار تونس السياحية وبعض أخبار قطر والبحريـن هـى الـتى أوجدت هذه النسبة فى العالم العربى ثم بعض أخبار البوسنة الإيجابية هى التى أوجدت هذه النسبة فى فئة الأقليات الإسلامية.
- **بالنسـبة للأخبار الإيجابية الخفيفة** : فانفردت بها منطقتا جنوب آسيا ببعض الأخبار الخفـيفة عـن مطرب باكستانى ثم المنطقة العربية ببعض الأخبار الثقافية عن تونس والسودان.
- **بالنسـبة للأخبار السلبية الجادة** : فكانت أكبر نسبة لأخبار بلدان الشرق الأوسط غير العربـية ثم الأقليات الإسلامية ثم البلدان العربية وبلدان جنـوب آسيا فى نفس المرتبة ثـم بلدان جنوب شرق آسيا، ثم تأتى بعدها البلدان الأفريقية .. وقد رجحت أفغانستان المـنطقة الأولـى، وأخبار البوسنة وكوسوفو المنطقة الثانية، وأخبار العراق والجزائر المـنطقة الثالثة، وأخبار باكستان المنطقة الرابعة، وأخبار إندونيسيا المنطقة الخامسة، وأخبار نيجيريا (رغم قلتها) المنطقة السادسة.
- **وفـيما يتعلق بفئة الأخبار السلبية الخفيفة** : فقد توزعت على منطقتين: منطقة بلدان آسيا الوسطى ثم المنطقة العربية وهى أخبار فى مجملها كانت قليلة فى العينة.

- **أمـــا فيما يتعلق بفئة (غير محدد)** : فكانت أخبار جنوب آسيا فى المقدمة تلتها أخبار الأقليات الإسلامية ثم البلدان العربية.

• • •

ثالثاً : علاقة التغطية الخبرية بحجم الدولة الإسلامية

وأوضـــحت الدراسة التطبيقية أنه بالنسبة لدول العالم الإسلامى فإنه ثبت إلى حد ما الفـــرض القـــائل بوجـــود علاقة طردية بين حجم الدولة ونسبة الأخبار المتدفقة عنها. فقد جـــاءت الـــدول الكبيرة الحجم فى المرتبة الأولى بنسبة ٥٠,٧% من حجم العينة، وتفوقت مجلـــة الإيكونومســـت علـــى التايم بنسبتى ٦٦,٢%، ٣٣,٨% على الترتيب، وتلتها الدول صـــغيرة الحجم بنسبة ٢٧,٦% من حجم العينة وكانت نسبتى الإيكونومست والتايم ٦٣,٣ %، ٣٦,٧% علـــى الترتيب على حين جاءت نسبة الدول متوسطة الحجم ١٩,٧% بنسبتى ٦٣,٣%، ٣٦,٧% فى الإيكونومست والتايم على الترتيب.

ولعـــل هذا يؤكد إلى حد ما ما كتبه آل هستر Hester عام ١٩٧٣ بأن حجم الدولة ومســـاحتها محـــدد هـــام للتدفق الخبرى بناء على العلاقات الخارجية (١)، وما رآه راسم الجمـــال فى دراسته عن (التدفق الإعلامى من الشمال إلى الجنوب: الأبعاد والإشكاليات)، بـــأن الدراسات اختلفت فى إثبات علاقة بين القرب المكانى وعدد السكان والمساحة وبين التغطيـــة الخبرية أو تدفـــق الأخبار فبعض الدراســـات أثبتت وجـــود مثل هـــذه العلاقة الارتباطية الإيجابية وبعضها الآخر لم تثبت له هذه العلاقة (٢).

وكـــان الاهـــتمام بـــالدول ذات المساحة الكبيرة ممثلاً فى ليبيا، كازاخستان، العربية السعودية، تركيا، إيران، الجزائر، مصر، باكستان، السودان، نيجيريا.

---

(1) Al Hester. **Op. Cit.**, pp. 238 – 247.

(٢) راسم محمد الجمال: مرجع سابق، ص ص ١٤٠ – ١٦١.

وتمثلت الدول متوسطة المساحة فى ماليزيا، أوزبكستان، طاجيكستان، سوريا، العراق، المغرب، اليمن.

أما الدول والأقليات صغيرة المساحة فقد كانت متمثلة فى: الكويت، البحرين، لبنان، فلسطين، الشيشان، البوسنة، كوسوفو.

ولما كانت تركيا وإيران والجزائر وباكستان، واحتلت اهتماماً كبيراً فى اهتمام الإيكونومست والتايم فقد جاءت نسبة الدول كبيرة المساحة هى الأعلى، وكذلك لما كانت فلسطين، الشيشان، البوسنة، وكوسوفو من أكثر الدول تغطية فى عينة الدراسة فقد جاءت نسبة الدول صغيرة المساحة فى المرتبة الثانية بما يعنى أن هناك محددات أهم من المساحة فى التغطية.

وقد خرجت بعض الفئات خارج تقسيمات الدول كبيرة، ومتوسطة، وصغيرة المساحة مثل الدين الإسلامى، الأقليات فى الصين وألمانيا وانفردت بها مجلة التايم، إلا أن الإيكونومست كالعادة كانت أثر اهتماماً من التايم فى كل التقسيمات تبعاً لحجم الدولة.

وكانت العلاقة بين نوع التدفق الخبرى وحجم الدول الإسلامية لها المؤشرات التالية :

- **فبالنسبة للأخبار الإيجابية الجادة** : كانت أخبار الأقليات والفئات التى لم تصنف كدول كالدين الإسلامى فى المرتبة الأولى، تلتها أخبار الدول متوسطة الحجم ثم الدول صغيرة الحجم فالدول الكبيرة الحجم.
- **وكان العكس تقريباً للأخبار السلبية الجادة**: كانت الدول الكبيرة الحجم فى المرتبة الأولى تلتها الدول صغيرة الحجم فالدول متوسطة الحجم فالأقليات، وهى نتيجة منطقية لأن الدول كبيرة الحجم عدد سكانها كبير وفقيرة اقتصادياً بما ينجم عن ذلك

من مشكلات سياسية اقتصادية وسياسية ثم الدول صغيرة الحجم وهى ذات المشكلات سياسية فى الأغلب كالبوسنة وفلسطين.

●●●

رابعاً : علاقة التغطية الخبرية بالتقسيم السكانى لدول العالم الإسلامى

أثبتت الدراسة أن هناك علاقة طردية بين عدد السكان والتغطية فكلما زاد عدد السكان فى دول إسلامية كلما زاد التدفق الخبرى أو زادت التغطية الخبرية. وكشفت الدراسة أن الدول الإسلامية عالية الكثافة السكانية قد احتلت المكانة الأولى بنسبة ٤٦,١% وجاءت الدول متوسطة الكثافة فى المرتبة الثانية بنسبة ٣٨,٢% فيما احتلت الدول منخفضة الكثافة المرتبة الثالثة بنسبة ١٣,٨% وفى كل التقسيمات السابقة جاءت تغطية الإيكونومست أعلى من تغطية التايم.

ويتضح من الحقيقة الإمبريقية السابقة أن عدد السكان عامل محدد أساسى فى الاهتمام بدول العالم الإسلامى وهو ما يتفق مع دراسات روزنجرين التى أجراها أعوام ١٩٧٠، ١٩٧٤، ١٩٧٧ من أن عدد السكان هو أحد معيارين مع المسافة يحددان تغطية الأخبار الخارجية [١].

ويمكن تفسير ذلك بأنه لما كانت أغلب دول العالم الإسلامى هى دول فقيرة فإن مشاكلها الاقتصادية والسياسية الكثيرة يزيدها عدد السكان الذى لا يناسب دخول هذه الدول فينجم عن ذلك أحداث تستحق التغطية إذا أخذنا فى الاعتبار أن أغلب هذه الأخبار هى أخبار جادة سلبية وهى أغلب الأخبار فى عينة الدراسة.

ولذلك كانت أعلى التغطيات الخبرية لدول مثل تركيا وإيران وإندونيسيا، مصر، باكستان، بنجلاديش، نيجيريا .. بينما قلت التغطيات الخبرية لدول مثل تونس، اليمن،

---

(1) J. D. Dupree, **Op. Cit.**, pp. 224 – 335.

الكويـــت، البحريـــن، الأردن، بيـــنما لم تمثل دول بالكامل فى العينة عدد سكانها قليل مثل أغلـــب الدول الأفريقية وهذا راجع لعامل آخر هو عدم اهتمام التغطية الغربية عامة بالقارة الســـوداء. وهـــو مـــا يتســـق مع ما ذكره ريتشارد نيكسون فى كتابه (الفرصة السانحة) بضـــرورة الاهـــتمام الغـــربى – الأمـــريكى بالأســـاس – بدول الأغلبية الإسلامية تركيا وباكســـتان ومصر وإندونيسيا، وهو نفس التوجه الذى أشار إليه روبرت تشاز Chase فى دراســـته عـــن (الـــدول المحورية فى العالم والاستراتيجية الأمريكية) الذين أضافوا للدول الســـابقة الجزائـــر، وتعتمد فكرة الدولة المحورية على الدولة التى تحفظ الاستقرار بالنسبة للمصـــالح الأمريكـــية فـــى دائرتها الإقليمية والدولة المحورية يدخل ضمن مكوناتها عدد السكان [1].

ولكـــن الأمـــر ليس أحادياً كما نتصور إذ أن عوامل أخرى تتداخل مع عدد السكان لـــتحدد أهمـــية الدولة فى التغطية يدخل فى ذلك الموقع الجغرافى فالاهتمام الغربى بتغطية أخـــبار باكســـتان أكـــبر مـــن الاهتمام الغربى بتغطية أخبار نيجيريا وهو ما يتسق مع ما أوضحته الدراسة من أن جنوب آسيا كانت أكثر تغطية من أفريقيا المسلمة.

وأبانـــت الدراســـة أن العلاقة بين نوع التدفق الخبرى وعدد سكان الدولة الإسلامية يمكن رصده في النقاط التالية :

- **يتضـــح أنـــه بالنسبة للأخبار الإيجابية الجادة** : كانت النسبة الأكبر للدول منخفضة الكـــثافة السكانية ثم الدول متوسطة الكثافة السكانية فالدول عالية الكثافة السكانية وكان العكس فى **الأخبار السلبية الجادة** وهو أمر منطقى إذ كلما زاد عدد السكان فى الدولة الإســـلامية كلمـــا زادت مشـــاكلها الاقتصادية والسياسية وبالتالى ترتفع نسبة الأخبار السلبية الجادة.

(1) Robert Chase, **Op. Cit.**, pp. 33 – 51.

- **أمـا الأخبار الإيجابية الخفيفة : فقد ارتفعت فى الدول المنخفضة الكثافة ثم متوسطة** الكثافة فالدول عالية الكثافة.

●●●

خامساً : علاقة التغطية الخبرية بالوضع الاقتصادى للدول الإسلامية

وكشـفت الدراسـة أيضـا أن أكثر الدول التى حظت باهتمام **مجلتى الإيكونومست والـتايم هـى** الدول ذات التنمية البشرية المتوسطة بنسبة ٧٨,٩% **يليها الدول ذات التنمية** البشرية المنخفضة بنسبة ١٠,٥% ثم الدول ذات التنمية البشرية العالية بنسبة ٨,٦%.

وهى نتيجة منطقية إذا علمنا أن أغلب الدول الإسلامية تقع فى تقسيم التنمية البشرية المتوسـطة والـتى تضم الدول ذات المساحة الكبيرة، وعدد السكان المرتفع، **وكذلك أغلب** الـدول العربـية وجـنوب آسيا وجنوب شرق آسيا، **والدول الشرق أوسطية غير العربية** (أنظـر جـدول الـدول فى الفصل الأول، **أما الدول ذات التنمية البشرية المنخفضة فهى** بعـض الدول العربية ذات الكثافة السكانية المتوسطة أو المنخفضة **ومعظم الدول الأفريقية** الإسـلامية. أمـا الدول ذات التنمية البشرية العالية **فهى – بجانب سلطنة بروناى – أغلب** الدول الخليجية النفطية الغنية.

ومـن الملاحـظ أن الإيكونومست كانت أكثر اهتماماً من التايم بالدول ذات التنمية البشـرية المتوسطة والمنخفضة بينما كان الأخيرة أكثر اهتماماً بالدول ذات التنمية البشرية العالـية ربما بسبب اهتمام الولايات المتحدة بمنطقة الخليج أكثر من بريطانيا .. وإن كانت هذه النتيجة تحتاج لدراسات أخرى لإثباتها.

وكشـفت الدراسـة أن العلاقـة بين نوع التدفق الخبرى **والوضع الاقتصادى للعالم الإسلامى يمكن رصدها فى الآتى :**

- **بالنسبة للأخبار الإيجابية الجادة** : فكانت أعلى نسبة لبلدان متوسطة التنمية البشرية ، نظـــراً لأن الأخـــبار الاقتصــــادية عـــن مشروعات جديدة أو الأخبار السياسية عن تحولات ديمقراطية كانت خاصة بهذه الدول مثل : ماليزيا، تركيا، لبنان.

- **وكذلـــك بالنســـبة للأخبار السلبية الجادة** : فكانت أعلى نسبة للبلدان متوسطة التنمية البشـــرية وهـــو أمر منطقى لأن معظم بلدان العالم الإسلامى تقع فى هذه الفئة، وهى الدول الحافلة بكثير من المشكلات الاقتصادية والسياسية التى تستأهل التغطية.

●●●

سادساً : علاقة التغطية الخبرية بالحالة السياسية للعالم الإسلامى

أوضحت الدراسة أن الاهتمام بالدول الإسلامية المستقرة سياسياً فاق الاهتمام بالدول الإســـلامية غـــير المستقرة سياسياً إذ كانت نسبتى الاهتمام ٥٢%، ٤٧,٤% على الترتيب فـــيما كانـــت هناك فئة واحدة صنفها المؤلف (بغير محدد) وهى الخاصة بالدين الإسلامى ولـــيس بـــأى دولة أو أقلية داخل العالم الإسلامى. ولكن إذا علمنا أن الدول الأقليات غير المســـتقرة حســـب تعـــريف المؤلـــف كانت هى أذربيجان، طاجيكستان، مصر، الجزائر، الســـودان، العراق، أفغانستان، فلسطين، البوسنة، كوسوفو (١٠ من أصل ٣١ فئة) وأخذت ٤٧,٤% مـــن التغطـــية لخلصنا إلى أن أخبار الحروب والانقلابات والتوترات هى الأكثر تغطـــية فـــى شـــئون العالم الإسلامى وهو ما يتسق مع نتائج التدفق والتغطية للعالم الثالث وبلدان الجنوب منذ الستينيات وحتى الآن.

ومـــن اللافـــت للنظر أن التايم اهتمت بالدول غير المستقرة سياسياً أكثر من الدول المســـتقرة سياسياً بينما كان العكس فى الإيكونومست وهو ما يتسق مع شخصيتى المجلتين إذ اهتمـــت الإيكونومســـت أكـــثر بالأخبار المتعلقة بالتحليلات السياسية والاقتصادية بينما اهتمـــت التايم أكثر بأخبار النزاعات السياسية أو الاقتصادية ولذا فقد اهتمت بأخبار الدول غير المستقرة سياسياً.

وهـــى نتيجة تأخذ بعين الاعتبار ما قرره المؤلف فى إطاره النظرى أنه سيحدد عدم الاستقرار السياسى بالحرب الأهلية والنزاعات مع جماعات المعارضة (غير الشرعية) فى الدول الإسلامية أو الحروب الخارجية بين دول إسلامية وجيرانها من الدول .. ولذا خرج مـــن إطـــار عـــدم الاســـتقرار السياســـى الأزمـــات بين الحكومة والمعارضة فى الدول الإسلامية.

وكانـــت العلاقة بين نوع التدفق الخبرى والوضع السياسى لدول العالم الإسلامى لها المحددات التالية :

- **كانـــت الأخـــبار الإيجابـــية الجادة:** أعلى فى الدول المستقرة سياسياً عن الدول غير المســـتقرة سياسياً. بينما كان العكس بالنسبة للأخبار السلبية الجادة وهو أمر متوقع أن تزيد الأخبار السلبية فى الدول غير المستقرة.
- **انفـــردت الـــدول المستقرة سياسياً بالأخبار السلبية الخفيفة:** وهو متوقع لأن جميع أخبار الدول المستقرة سياسياً تنحو أن تكون جادة متعلقة بأحداث أو قضايا سياسية أو اقتصادية.

●●●

سابعاً : علاقة التغطية الخبرية بنوع المصادر وتقسيماتها

كشـــفت الدراســـة أن معظم المواد الإخبارية فى العينة لم تحتو على مصادر بنسبة ٧٤,٣% بينما كانت بقية المواد الخبرية تجمع بين عدم إبراز مصدر الخبر وبين المصادر المعلومـــة ويقصد المؤلف بالمصدر هنا هو مصدر المعلومة أو Attribution وأوضحت الدراسة أيضاً أن مجلة التايم كانت أكثر إبرازاً لمصدر المعلومة من مجلة الإيكونومست.

وإذا أردنـــا أن نقـــدم نمـــاذج ممـــثلة لعـــدم إبراز مصدر المعلومة داخل الخبر أو Attribution فـــى مجلـــتى الـــتايم والإيكونومست .. فقد كتبت التايم فى باب (World

Watch) أو مراقـبة العـالم أو (عيـن على العالم) بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٩٧ وهو نموذج لعمود الأخبار فى مجلة التايم :

"The latest car bomb in Algeria's long-running terrorist war killed 13 people and wounded 100. But the blast marked two dates no Algerian could overlook: the fifth anniversary of the military coup in which the government rejected elections it was sure to lose – Jan. 11, 1992 – and the start of the Muslim holy month of Ramadan, the traditional season for terror attacks.".(١)

أمـا مجلة الإيكونومست فقد كتبت فى باب (Politics This Week) أو (السياسة هذا الأسبوع) بتاريخ ١٨ يناير ١٩٩٧ وهو نموذج لعمود الأخبار فى مجلة الإيكونومست:

"Rebels in Southern Sudan captured several towns on the Ethiopian border. The Sudanese government blamed Ethiopian for the attack.".(٢)

وإذا تطرقـنا للعـبارات المنسوبة لمصدر فى مجلتى التايم والإيكونومست فقد كتبت بتاريخ ٣ فبراير ١٩٩٧ تحت عنوان : "Coming Attraction: The Movie Queen and the Mullah" عن المنافسة البرلمانية بين نجمة باكستانية ورجل دين أو ملا :

"It is very courageous and brave of her to take on this fundamentalist leader", says Lahore human rights activist Hina Jilani. "It is the first time this area has seen a woman emerge as a leader."

فـيما كتبـت الإيكونومست بتاريخ ١٩٩٧/١/٢٥ تحت عنوان "School's Out" واصفة أحوال التعليم فى مصر:

"Nader Fergany, an educational consultant says when the government builds a new school, it is actually building a marketplace for teachers to meet their clients.".(١)

---

(1) Time, 1-20-1997.
(2) The Economist, 1-18-1997.

وأبانـــت الدراســـة لـــنا أن المصادر الرسمية كانت أكثر المصادر استعانة بهـــا فى عيـــنة الدراســـة وأن مجلة التايم كانت أكثر استعانة بالمصادر الرسمية من الإيكونومست بنسبتى ٧٦,٣%، ٢٣,٦% على الترتيب.

ففى تقرير نشرته التايم فى ١٣ يناير ١٩٩٧ تحت عنوان : With Peace in the Crossfire عـــن المخاطـــر التى تتعرض لها عملية السلام فى الشرق الأوسط بعد حادث إطـــلاق النار الذى نفذه إسرائيلى مختل العقل فى مدينة الخليل أثناء المفاوضات الفلسطينية – الإسرائيلية، أوردت التايم نقلاً عن مسئول كبير بوزارة الخارجية الأمريكية الآتى :

"Says a Senior State Department Official: "We increased the pressure from our side for an agreement to be reached."(٢)

أمـــا الإيكونومســـت فقد اقتبست عن الرئيس الإندونيسى سوهارتو فى تقرير نشرته تحت عنوان: "Signs of Danger" أو علامات الخطر بتاريخ ٤ يناير ١٩٩٧ قوله :

"A complex society", noted president Suharto of Indonesia on December 31st, "Can be vulnerable to unrest if not handled carefully."(٣)

وفـــيما يـــتعلق بالمصادر المتخصصة Specialists فقد كانت نسبتها ٢٦,٥% من المصـــادر فى العينة وكانت المصادر المتخصصة فى التايم أكبر من الإيكونومست بنسبتى ٩٠,٩%، ٩,١%.

فقـــد نشـــرت مجلة التايم بتاريخ ٢٧ يناير ١٩٩٧ تقرير عن الحياة الرمضانية فى مصـــر بعنوان : "Tow Faces of Ramadan" نقلت فيه عن المفكر المستشار طارق البشرى قوله:

---

(1) The Economist, 1-25-1997
(2) Time, 1-13-1997.
(3) The Economist, 1-4-1997.

"It's not fundamentalism that makes so many people fast and pray," says Tarek Bishry, an expert on Islamic law in Cairo."(١)

أمـــا مجلـــة الإيكونومست فقد نشرت بتاريخ ١ مارس ١٩٩٧ تقريراً عن الاقتصاد الـــتركى بعنوان: "Not That Good" نقلت فيه عن المحافظ السابق للبنك المركزى فقرة تقول :

"Among the leading septics is Rustu Saracoglu, former governor of the central bank. Ask what is wrong, and Mr. Saracoglu instantly offers a telling reply: "Short-term capital inflow."(٢)

وقد جاءت المصادر الأخرى فى المركز الثالث بنسبة ١٥,٦% من حجم العينة وقد كانـــت مجلـــة الـــتايم كالعادة أكثر من الإيكونومست فى استعانتها بالمصادر الأخرى وقد شـــملت المصـــادر الأخـــرى بعض مصادر الجيش ورجال الأعمال والمعارضة السياسية وعلى سبيل المثال نشرت مجلة التايم تقريراً خبرياً فى ١٠ مارس ١٩٩٧ تحت عنوان: "Bob Hasan's Gold Touch" يغطـــى دور رجـــل الأعمال الإندونيسى – من أصل صـــينى – بـــوب حسن فى الاقتصاد الإندونيسى، وقد أخذت رأى أحد رجال الإعمال فى جاكرتا فقال :

"A Jakarta Businessman calls it "Corporates Robbery," but Hasan isn't flinching: "It's a very clear deal."(٣)

علـــى حيـــن نشـــرت الإيكونومست تقريراً عن ماليزيا فى ٨ فبراير ١٩٩٧ يحمل عنواناً يقول "Sent Packing" نقلت فيه عن معارض – من أصل صينى – يقول :

" Chinese – Singaporeans are the ones carrying the sedan chair for others."(١)

---

(1) Time, 1-27-1997.
(2) The Economist, 3-1-1997.
(3) Time, 3-10-1997.

وجـاء فـى المركـز الرابع المواطنون بنسبة ٩,٦% وزادت نسبتهم فى التايم عن الإيكونومست :

فقـد نشرت التايم تقريراً فى ٢٤ فبراير ١٩٩٧ تحت عنوان: "Weep, Algeria, Weep" يـتحدث عن العنف الذى اجتاح الجزائر خاصة فى شهر رمضان نقلت فيه عن مدرس ببلدة ميديا :

"It was horrible" he recalls, "We heard the victims screaming for mercy."(٢)

أمـا فـى المركز الأخير فجاءت وسائل الإعلام من صحف وإذاعات بنسبة ٢,٤% من حجم عينة الدراسة وتساوت التايم والإيكونومست فى ذلك:

ففـى تقـرير نشـرته الإيكونومست بتاريخ ١٨ يناير ١٩٩٧ تحت عنوان "Sad Birthday" تعرضت فيه للعيد الوطنى للجزائر الذى جاء وسط المذابح والعنف نقلت عن حديـث لصـحيفة الشرق الأوسط السعودية التى تصدر فى لندن والتى التقت فيه السياسى الجزائرى أيت أحمد قوله :

"Algeria, he stormed, faces an anarchic future on Somali lines."(٣)

واستعانة التايم بمصادر أكثر من الإيكونومست تعكس نقاطاً هامة :

أولهـا : امتداد شبكة المراسلين فى مجلة التايم لبقاع فى العالم الإسلامى لا تهتم بها مجلة الإيكونومسـت الـتى تقتصـر تقاريرها على تحليل ما ينشر فى وسائل الإعلام الأخرى.

---

(1) The Economist, 2-8-1997.

(2) Time, 2-24-1997.

(3) The Economist, 1-18-1997.

ثانـيها : الشخصـية المتميزة لكل من التايم والإيكونومست والتى تجعل التايم تشير لكل مراسـليها بمـا فـيهم المراسلون المحليون الذين تستعين بهم من عواصم العالم الإسلامى، أما الإيكونومست فلا تنشر حتى كاتب التقرير الخبرى وهو ما يعطيها شخصـية تحريـرية متميزة تجعلها تستخدم ما يسمى بـ (Style Book) بشكل أكبر من التايم.

ثالـثها : كثرة عدد المصادر الرسمية مقارنة ببقية المصادر نظراً لسهولة وصول مراسلى الـتايم والإيكونومسـت إلـيها مقارنة بالمتخصصين ورجال الأعمال والمواطنين العاديـين وهـو مـا يعكـس ما قالته عدد من الدراسات الصحفية بأن المراسلين الغربيـين يذهـبون لـبلدان دون أن يكونوا ملمين بثقافتها ومفكريها وكتابها وإن كانت التايم تتميز عن الإيكونومست فى هذا الصدد.

●●●

تحليل أطر التغطية الخبرية عن العالم الإسلامى

يعالج هذا الجزء من الفصل كيفية تأطير التغطية الخبرية للعالم الإسلامى كما أوضحها تحليل الخطاب الخبرى لكل من مجلتى التايم والإيكونومست، حيث يشرح المؤلف الأسباب والحلول التى طرحتها كلا المجلتين لمشكلات العالم الإسلامى، ثم ينهى المؤلف عرضه بتوضيح البنية البلاغية للعناوين .

●●●

أولاً : أسباب وحلول مشكلات العالم الإسلامى

وكشفت الدراسة أنه فى عرض مشكلات العالم الإسلامى كانت ٣٩,٧% من أخبار عينة الدراسة تحتوى على أسباب تتسق مع خطاب العولمة الاقتصادى والسياسى أو الإعلامى والثقافى، بينما عرضت ٩,٥% من العينة أسباباً أخرى خارج إطار العولمة، بينما لم ينجح المؤلف فى وضع ١٣,٩% من الأسباب التى ذكرت تحت أى تصنيف سواء متسق مع خطاب العولمة أو مفارق لها، فيما كانت هناك نسبة كبيرة من أخبار العينة ٣٦,٨% لا تحتوى على أية أسباب، واستحوذت الأخبار الصغيرة فى أعمدة الأخبار على جل هذه النسبة. ومن الجدير بالذكر أن الإيكونومست كانت أكثر طرحا لأسباب خطاب العولمة من التايم.

فيما أبانت الدراسة أن ١٤,٤% فقط من أخبار العينة احتوت على حلول تتسق مع خطاب العولمة بينما عرضت ١٠% من أخبار العينة حلولاً استعصت على التصنيف فيما كانت ٧٥,٦% من أخبار العينة لا تحتوى على أية حلول .. وهى نتيجة هامة توضح أن أغلب تركيز التغطية كان على عرض المشكلات وأسبابها دون حلولها .. أى لم يحاول

المراســلين أو المحررين اللجوء لمصادر حية أو تقارير أو دراسات تقدم حلولاً للمشكلات المعروضــة. كمــا كانت الإيكونومست – أيضاً – أكثر طرحاً للحلول المتسقة مع خطاب العولمة من التايم.

وفــيما يلى يوضح التحليل الكيفى للمناطق الجغرافية المختلفة للعالم الإسلامى كيف تم تقديم أسباب وحلول مشكلات العالم الإسلامى.

١ – المنطقة العربية :

ليست المنطقة العربية بالطبع كتلة صماء ففيها كما أوضحنا عدة بقاع ساخنة أهمها الصــراع العربى الإسرائيلى، والعنف السياسى فى الجزائر ومصر، والحرب الأهلية فى السودان، فضلاً عن الاضطرابات فى منطقة الخليج العربى.

فإذا نظرنا للصراع العربى الإسرائيلى وفى بؤرته القضية الفلسطينية لا نجد أسباباً مباشرة يطرحها خطاب العولمة وإنما أسباباً غير مباشرة، فعلى سبيل المثال تريد الولايات المــتحدة أن تحســم الصراع العربى الإسرائيلى حماية لمصالحها ومصالح الغرب فى هذه المــنطقة الحساسة من العالم، ولذلك فقد كانت ضد ممارسات رئيس الوزراء الإسرائيلى الســابق بنياميــن نتينــياهو فــى عرقلة عملية السلام الكفيلة – إذا أنــجزت – أن تؤهل المــنطقة لمــناخ تزدهر فيه المصالح الغربية والأمريكية بالأساس، ولذا يمكن أن نجد فى التقارير التى نشرتها التايم أسباب مشكلات هذه البقعة من العالم الإسلامى هى :

- بــناء مستوطنة فى حارحوما وعرقلة نتينياهو لعملية السلام لافتقاده الخبرة السياسية، تعقــد المشــكلة لوجــود جماعة (حماس) التى ترتكب عمليات "إرهابية" بحق الشعب الإســرائيلى، وفــيما يتعلق بلبنان كانت الأسباب هى الوجود السورى الذى لا يساعد علــى حــل الوجود الإسرائيلى فى جنوب لبنان وكذلك فعاليات حزب الله فى مواجهة

الاحـــتلال الإسرائيلى للحزام الأمنى فى الجنوب، وفيما يتعلق بسوريا كان مد جنوب أفريقيا لدمشق بالسلاح من بين مشكلات هذه المنطقة.

وإذا تطرقنا إلى الحلول، فأكثر من تقرير لم يطرح أية حلول، فيما عدا تقارير قليلة كانـــت الحلول محصورة فى الجهود الأمريكية وإرسال دنيس روس إلى المنطقة للوساطة بين جميع الأطراف.

وفـــيما يتعلق بالجزائر فكانت الأسباب التى طرحتها التايم هى الحكم العسكرى الذى يجعـــل الأمور أكثر سوءاً، واستبعاد القوى الإسلامية المعتدلة مثل العناصر التى لا تنتهج العـــنف فى جبهة الإنقاذ الإسلامية وترك الساحة مفتوحة لعناصر أكثر تطرفاً من الجماعة الإســـلامية المســـلحة، وكـــذا الإجراءات غير الديمقراطية مثل قتل وتعذيب المشتبه فيهم واعـــتقال المعارضـــين ومنع المظاهرات وغلق الصحف المستقلة غير الحكومية، وكانت الحلـــول المطـــروحة هى اشتراك جبهة الإنقاذ الإسلامية فى السلطة (وذلك فى الفترة التى كان فيها لعباس بلحاج علاقات مع أمريكا) فيما قدمت التايم أيضاً تدويل المشكلة دون ذكر الكيفـــية مـــع استبعاد بالطبع أية حلول عبر الجامعة العربية أو منظمة الوحدة الإفريقية أو المؤتمر الإسلامى.

وفـــى مصـــر كانت أسباب المشكلات هى اختلاف رؤى الحكومة وأغلبية الشعب المصـــرى عـــن رؤى المتشـــددين .الإسلاميين مثل جماعة الإخوان المسلمين دون طرح حلول، أما عن الأسباب التى أدت لظهور ظاهرة مثل عبادة الشيطان كانت الأسباب بالفعل ضـــد خطـــاب العولمـــة فهى الاستقطاب فى المجتمع المصرى نتيجة للأحوال الاقتصادية المـــتدهورة فضـــلاً عـــن القمع السياسى، وكما قدمت التايم وصفاً للمجتمع المصرى فهو "مجتمع محصور بين الضغوط الغربية والإسلامية" وهى بعض من أزمة مصر الحقيقية.

أمـا فـيما يـتعلق بالخلـيج فكانت المشكلات محصورة فى هجرات الباكستانيين والبنجلاديشـيين والهـنود غـير الشرعية إلى المملكة العربية السعودية والنزاع بين قطر والبحرين على مجموعة من الجزر وكانت الحلول هى الوساطة السعودية.

أمـا الإيكونومست فقد كانت الأسباب التى طرحتها للصراع العربى – الإسرائيلى هـو اخـتلاف وجهـات النظر بين الفلسطينيين والإسرائيليين، والموقف الصعب لرئيس الـوزراء بناميـن نيتنـياهو إزاء تشدد الليكود، ووجود حزب الله فى جنوب لبنان وكانت أغلب التقارير لا تطرح حلولاً أما بعضها فانحصر فى الدور الأمريكى ودنيس روس دون أى ذكر للدور الأوروبى، أو للاحتكام إلى اتفاقات أوسلو.

وفـيما يتعلق بالجزائر، فكانت الأسباب انقلاب الجيش على الديمقراطية، والصراع بيـن العـرب والبربر، واستبعاد جبهة الإنقاذ من الحياة السياسية، والحل انحصر فى ربط المسـاعدات الاقتصـادية للجزائـر بالديمقراطـية الحقيقية وأن تدخل جبهة الإنقاذ ضمن المعادلة السياسية ولم تطرح المجلة تدويل الأزمة.

أما التقارير التى نشرت عن العراق، فكانت أسباب المشكلات منحصرة فى إصرار الرئـيس صدام حسين على الخداع وإصرار الأمم المتحدة على تطبيق قراراتها ولم تطرح حلـول لهـذه الأزمـة (فيما كانت الحلول خارج إطار الخطاب الصحفى ممثلة فى تطبيق الولايات المتحدة للشرعية الدولية بالعنف)، أما فيما يتعلق بمصر فقد كانت أغلب الأسباب متعلقة بالقضايا الاجتماعية مثل التعليم مثل التطبيق الاشتراكى الذى لم يحل أزمة التعليم، والـتطرف الإسـلامى الـذى كـان سبباً لتراجع وضع تعليم المرأة خاصة فى الصعيد، والـزيادة السكانية المستعصية على الاحتواء وكانت الحلول – كما كانت الأسباب – متسقة مـع خطـاب العولمة فهى خصخصة التعليم، تخفيض عدد المواليد، ومساهمة المنظمات الدولـية مثل اليونيسيف بالأفكار الجديدة، وفيما يتعلق بالسودان فكان السبب وراء مشكلاته

الحــرب الأهلية والحكومة الأصولية وقد طرح خيار انفصال الجنوب كحل فى شكل توقع أو Inference.

٢- البلدان الشرق أوسطية غير العربية :

فــى عــرض مجلــة الــتايم للــتقارير عن أفغانستان لم يبرز التشدد الإسلامى أو (الأصــولية الإسلامية) كسبب مباشر ولكنه عُرض فى سياق الحرب الأهلية فى أفغانستان والتدمــير الحادث فى البلاد عبر حرق أجهزة التليفزيون والفيديو ومنع البنات من الدراسة فــى المــدارس وهروب المثقفين من البلاد بعد إجبار الرجال على إطلاق لحاهم ولم تقدم التقارير أية حلول للحرب الأهلية، على حين كانت الأسباب وراء مشكلات تركيا هى عدم ملاءمــة الاتفاقــيات الدولــية لحقائق العصر مثل اتفاقية (مونترو) التى تنظم الملاحة فى المضايق التركية، وكان الحل الدعوة لإيجاد اتفاقية بديلة.

أمــا فــى مجلــة الإيكونومست فكانت أسباب مشكلات هذه المنطقة أكثر "تأطيراً" ووضوحاً، ففى أفغانستان كانت الحرب الأهلية جنباً إلى جنب مع سياسة الطالبان المتشددة إســلامياً والــتى ظهرت تمثلاتها فى تعويق عمل المنظمات الدولية التى تساعد المرأة فى أفغانســتان لدرجــة ترحــيل اثنيــن من العاملين الفرنسيين اللذين تحدثا مع بعض النسوة الأفغــان، وكانــت الحلول هى اعتراف أمريكا بكل القوى لحل الأزمة سلمياً، وفيما يتعلق بتركــيا فقــد كانــت المشــكلات اقتصادية أسبابها هى عجز الموازنة والبدايات المتأخرة للخصخصــة والتضــخم ومفارقة نصائح البنك الدولى، وسياسية أسبابها محاولة نجم الدين أربكــان خــرق الدســتور وتدمــير العلمانــية وانتهاجه سياسة مائعة لإرضاء العلمانيين والإســلاميين فــى نفــس الوقــت لحفظ منصبه وكذا انتهاكات حقوق الإنسان واحتمالات الانقلاب العسكرى فضلاً عن النزاع مع اليونان، وكانت الحلول مطروحة بمفهوم المخالفة فى زيادة إيقاع الخصخصة وإبعاد شبح وصول الإسلاميين للسلطة مرة أخرى وعدم إثارة العســكر فى تركيا. وبالنسبة لإيران كانت أسباب المشكلات الفساد السياسى وتحالف طبقة

البازار مع الملالى وتمرد الجيل الجديد الذى لا يرضيه صورة بلاده خارجياً لاسيما مع توجس الدول الغربية من السياسات الإيرانية، ثم عندما فتح باب الترشيح لانتخابات الرئاسة عام ١٩٩٧ كانت الأسباب الصراع على السلطة بين المتشددين والمعتدلين، وكانت الحلول المطروحة – كما لو كانت تنبؤاً لما حدث – هو البحث عن مرشح جديد معتدل يعيد الأمل للطبقات المطحونة فى إيران.

وهى أسباب – إذا أجملنا لكل المنطقة – تتواءم مع خطاب العولمة وحلول تحقق أهداف الطبقة الرأسمالية عبر القومية من استغلال بترول وغاز آسيا الوسطى مع استقرار الأوضاع فى أفغانستان وتحقيق تركيا لشروط "روشتة" البنك الدولى، وتخلى إيران عن خطابها المعادى للغرب.

٣- بلدان جنوب شرق آسيا :

كانت الأسباب التى طرحتها التايم لمشكلات إندونيسيا هى استئثار سوهارتو بالسلطة دون معارضة، واضطهاد الأقليات الصينية الغنية واضطرابات العمال، وفساد أبناء سوهارتو الذين يريدون الاستحواذ على نصيب من كل المشروعات الاقتصادية فى إندونيسيا ولم تطرح حلول سوى السعى الفردى لبعض رجال الأعمال مثل (بوب حسن) لحل التناقضات فى المصالح الاقتصادية، وفيما يتعلق بماليزيا كانت المشكلات – إن جاز لنا التعبير – من صنع القدر بمصرع أحد أهم رجال الأعمال فى ماليزيا والذى كان موضع ثقة الرئيس الماليزى محاضر محمد.

أما فى الإيكونومست فتركزت أغلب المشكلات الاقتصادية فى الفساد السياسى الذى يهدد إمكانات إندونيسيا الاقتصادية والأزمة الاقتصادية التى يعيش فيها المسلمون فى مقابل غنى الأقلية الصينية، أما الأزمات السياسية فكانت مركزة فى الاضطرابات العرقية والطائفية بين الصينيين والمالايو، وبين المسلمين والكاثوليك بما يستدعى تدخل الجيش فى أعمال قمع لا يرضى عنها المجتمع الدولى ورجال الأعمال الكونيين، فيما كانت مشكلات

ماليزيا منحصرة فى الهجرات غير الشرعية من بنجلاديش وباكستان والتى تهدد "المعجزة الاقتصادية" الماليزية وذلك قبل انهيار أسواق المال فى هذه البلدان فى نهاية عام ١٩٩٧.

ونســـتطيع أن نجمل أن أغلب الأسباب متسقة مع خطاب العولمة المحذر من تأثير الاضـــطرابات العرقية والطائفية على "البيزنس"، والقلق من الفساد السياسى الذى يمكن أن يفسد تدفق رؤوس المال الكوكبية.

٤- الأقليات المسلمة :

أجملــت التايم مشكلات الأقليات المسلمة التى كانت معظم تقاريرها متعلقة بمنطقة الـــبلقان والشيشان فى محاولة الشيشان الانفصال عن روسيا والجرائم المنتشرة فى المنطقة ذات الحكم الذاتى، وفى عدم استقرار الأوضاع فى البوسنة بما يهدد باشتعال الموقف من جديد وكذلك عدم محاكمة مجرمى الحرب الذين مازالوا مطلقو السراح، وفى كوسوفو قمع الرئـــيس الصربى ميلوسفيتش لمحاولة الانفصال، وتمرد الألبان على محو هويتهم، فضلاً عـــن التعقـــيدات التاريخية فى المنطقة، كما ظهر فى العينة تقرير يرجع أسباب المشكلات لعـــدم رضـــا بعـــض البروتستانت فى ألمانيا على أداء المسلمين لبعض شعائر دينهم مثل إذاعة الآذان.

وفـــى الإيكونومســـت كانت مشكلات الشيشان فى عدم الاستقرار السياسى وشيوع أعمـــال الســـلب والنهب، والحرب مع روسيا التى استنفذت موارد الدويلة وقُدمت الحلول بالاعـــتماد على روسيا، واللجوء للاستعانة ببعض الأموال من رجال أعمال عرب أغنياء مـــثل عدنـــان خاشـــقجى، وفى البوسنة أوردت المجلة أسباباً تتعلق بتداعيات الحرب بين المسلمين وصرب البوسنة التى تتمثل فى ممرات وبلدات صغيرة لم تحسم أوضاعها اتفاق دايـــتون للسلام وكانت الحلول هى التدخل الأمريكى عن طريق مبعوث السلام أوين وكذا تسليح الولايات المتحدة لمسلمى البوسنة لمعادلة القوى فى المنطقة.

ونعلـق فـنقول أن الأسباب في هذه المنطقة من العالم الإسلامي لم تتسق تماماً مع خطـاب العولمة، وإن كانت الحلول بتعظيم الدور الأمريكي كقطب يملك إحلال السلام في أية منطقة في العالم متسقة مع ما أوردناه في خطاب العولمة السياسي.

٥- بلدان جنوب آسيا الإسلامية :

كانـت الأسـباب الـتي طرحـتها الـتايم لهذه المنطقة متمثلة في الفساد السياسي المستشري بين السياسيين الباكستانيين، والصعوبات الاقتصادية التي تعوق اندماج باكستان فـي الاقتصـاد الكونـي وسـيادة انساق من علاقات الإنتاج تندرج تحت مسمى (ما قبل الحداثـة) وهـي علاقـات الإنتاج الإقطاعية بتأثيراتها السياسية السلبية، وسيادة قيم ضد الحـرية الفـردية ممـثلة في حجر أسرتين على زواج شاب وفتاة. أما الحلول فكانت شبة مـنعدمة في تقارير التايم ولم تذكر بشكل مباشر وإنما تعني بمفهوم المخالفة عكس ما ذكر من أسباب.

أمـا الإيكونومسـت فـأوردت أسباب مشكلات باكستان في فساد السياسيين وتدخل الجـيش في السياسة (وهو ما حدث بالفعل عام ١٩٩٩ بالانقلاب العسكري الذي وقع ضد نـواز شـريف رئـيس الـوزراء الذي كسب انتخابات ١٩٩٧)، الديون الخارجية الكبيرة وصـعوبات الخصخصـة وتهرب المواطنين من دفع الضرائب كما برز العامل الخارجي بالـتوتر بين الهند والباكستان الذي يمكن أن يسفر عن حرب رابعة بينهما خاصة مع عدم حسـم قضـية إقليم كشمير، وكانت الحلول هي إيجاد حلول سلمية لمشكلة كشمير وتدعيم العلاقـات الاقتصادية مع الهند كما يطلب رجال الأعمال والإسراع بإيقاع الخصخصة. أم بـنجلاديش فكانت مشكلاتها يسببها التخلف السياسي الذي يعوق تقدمها الاقتصادي بتناحر الأحـزاب الـذي يسبب عدم الاستقرار الذي يسلم إلى عدم جذب رؤوس الأموال للاندماج في الاقتصاد الكوني.

وربمـــا لا تنطـــبق أجندة العولمة على منطقة كما تنطبق على جنوب آسيا فالمنطقة مـــتخلفة سياســـياً – بمعيار العولمة – لعدم وجود ديمقراطية حقيقية وكذا استحواذها على عـــدد ســـكان كبـــير معظمـــه فى أحوال اقتصادية متردية بسبب الأمية وحافلة بموجبات الانفجار كونها تضم منازعات عرقية وطائفية .. والحلول شبه يوتوبية فى الاستقرار الذى يجـــذب رؤوس الأمـــوال دون أدنـــى نظر أو مناقشة عبر إيراد رأى آخر يفيد أن آليات السوق ربما تلحق كارثة لهذه الشعوب.

٦- بلدان وسط آسيا الإسلامية :

اهتمـــت مجلـــة الإيكونومســـت فقط بهذه المنطقة كما سبق الإشارة، وكانت أسباب المشـــكلات فـــى كازاخســـتان الـــتعدد العـــرقى واللغوى وهو ما يعيدنا لخطاب صمويل هنتـــنجـــتون عـــن منطق الصراعات الكوكبية القادمة، وعدم ملاءمة لغة كاللغة الكازاخية للعصـــر وليس هناك حلول، أما فى أوزبكستان فالأسباب هى عدم تطبيق التعددية الجزبية وقمـــع المعارضة وتباطؤ الحكومة فى التحول لاقتصاد السوق ولا حلول اللهم إذا اعتبرنا عكس ما تقدم حلاً، وفى طاجكستان كانت الأسباب الخوف من امتداد التشدد الإسلامى من أفغانســـتان لجارتها وتداعيات تفكك الاتحاد السوفيتى السابق الممثل فى بحث الشعوب التى كانـــت تنضـــوى تحت اتحاده عن هويتها والحلول هى مسكنات مثل تدخل روسيا بالجيش لحماية الحدود الطاجيكية وسعى إيران للوساطة.

ونلاحـــظ – أيضاً – أن أغلب الأسباب متسقة مع خطاب العولمة وإن كانت الحلول ليســـت كذلـــك لخوف الولايات المتحدة من التدخل المباشر فى هذه المنطقة التى تعتبرها روســـيا ساحتها الخلفية فضلاً عن خوف الغرب عامة – والولايات المتحدة خاصة – من استشراء التشدد الإسلامى فى بلدان آسيا الوسطى الإسلامية.

ومـــن الجدير بالذكر أن البلدان الأفريقية المسلمة رغم ورودها فى العينة فقد كانت الأخبار عنها مجردة أخبار صغيرة فى أعمدة أخبار ولم يوضح أسباباً أو حلولاً لمشاكل إذ

كانـت الأخـبار مثلاً المتعلقة بتنزانيا تذكر بعقد جلسة للمحكمة الدولية لجرائم الحرب فى رواندا فى المدينة (أروشا) [1].

●●●

ثانياً : تحليل البنية البلاغية للعناوين

أفـاد المؤلف فى تحليله للبنية البلاغية لعناوين كل من مجلتى التايم والإيكونومست مـن تحلـيل (جون ستروك) لخطاب الفيلسوف والناقد الفرنسى ميشيل فوكو فى استخدامه للمجاز البلاغى مثل [2] :

- **المفارقة Paradox** : (من طلب الموت أعطيت له الحياة).
- **جمع المختلف Oxymoron** : (نار باردة).
- **التعاكس Chaismus** : (الحياة هى الأمل والأمل هو الحياة).
- **الإخلال فى الترتيب الطبيعى للكلمات Hystron Proteron** : (سود الليالى – الليالى السوداء).
- **بعد المأخذ Metalepsis** : (بارك الله البطن الذى حمل أباك).
- **التكنية Anatonomasia** : (أم القرى – دار السلام – الفيحاء).
- **الاستحضار Prolepsis** : (واحر دمعى عندما أراك قتيلاً).
- **الـتورية Paronomasia – Pun** : (طرقـت الـباب حتى كل متنى، فلما كل متنى كلمتنى).
- **قلب المعانى Antiphrasis** : (أنظر تلك الغادة الحسناء [يقصد عجوزاً شمطاء]).

---

(1) Time, 20-1-1997.

(٣) جون ستروك، مرجع سابق، ص ص ١٢٨، ١٢٩.

- **المبالغة Hyperbole** : (جنوده بعدد رمال الشطآن).
- **التخفيف Litotes** : (الغنى: لست محتاجاً إلى الصدقات).
- **السخرية Irony** : (كالنار كلما غذيتها زادت جوعاً).

أ- مجلة التايم :

•• المنطقة العربية :

فـيما يتعلق باستخدام التايم لعناوين تقارير المنطقة العربية بلاغياً فقد رصد المؤلف عـدداً من الأساليب منهـا المفـارقة فى عناوين (Going Nowhere Fast) فيما يتعلق بهجرة الباكستانيين والهنود غير الشرعية إلى السعودية، (Playing With Fire Powe) عن تسليح جنوب أفريقيا لسوريا وهو عنوان يعكس عداء الولايات المتحدة لسوريا، وكأنها طفل صغير يلعب بالنار أو الكبريت، وكذلك جمـع المختلف أو Oxymoron فى عنوان (With Peace in the Crossfire) عـن حـادثة إطلاق مهووس إسرائيلى النار على مجموعة من الفلسطينيين فى أعقاب اتفاق الخليل ، والتسـاؤل الاستنكـارى فى (How Many Must Die?) بعد مصـرع عدد مـن الجنـود الإسرائيلـيين فى جنوب لبنان، والتـورية المسجوعة Pun فـى عنـوان (Bibi's Black Days) عن المصاعب التى يلاقيهـا رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو، والاستحضار Prolepsis فى عنوان (Weep, Algeria, Weep) عن العنف الدموى فى الجزائر فى رمضان، والتكنية فـى (An Island in the Storm) عـن السلام الإسرائيلى – الأردنى الذى تحقق ولكنه تأثر بعملـية إطـلاق النار على مجموعة من التلميذات الإسرائيليات والتى نفذها جندى أردنى. فضلاً عن التورية Pun فى عنوان (Megadeth on the Nile) وهو التقرير الذى عالج قضية عبدة الشيطان فى مصر، و Megadeth هو اسم فرقة (هارد روك) قيل أن الشبان الذيـن قُبض عليهم فى القضية قد حازوا أغانيها والتى تتحدث بعض كلماتها عن الشيطان،

ولكـن الـتورية كانـت في أن Megadeth وتنقصها حرف (A) تعني الموت الجماعي، وذلك بعد أن قرر المفتي أنه يجوز إعدام هؤلاء الشبان.

•• <u>منطقة الشرق الأوسط غير العربية :</u>

عنـــوان (The Dire Straits) يحمل تورية Pun وبعد مآخذ Metalepsis في نفـس الوقـت فالعـنوان يعني المضايق العظيمة والصعوبات الجمة وكان متعلقاً بمشكلة الملاحة في المضايق التركية، أما عنوان (Mullah with a Mission) الذي كان يصف الملا محمد عمر زعيم حركة طالبان في أفغانستان فهو يحمل جناساً.

•• <u>الأقليات الإسلامية :</u>

يمكن أن نلمح التورية في عنـوان (No Rest in the Ruhr) فمنطقة الروهـر

الألمانـية مشـتهرة بمصـانع الصلب التي تعمل ماكيناتها ليلاً ونهاراً، ولكن عدم الهـدوء كان بسبب إذاعة المسلمين لأذانهم من المساجد، وفي الشيشان وانتخابات الرئاسة فـيها نقـرأ عنواناً يحمل جناساً وجمعاً للمختلف (Ballots Over Bullets) الانتخابات وطلقات الرصاص.

•• <u>منطقة جنوب شرق آسيا :</u>

كانـت عناويـن تقارير هذه المنطقة مقدمة دون مجاز تقريباً مثل (Neighborly Gesture) عن اعتذار سنغافورة لماليزيا، (Malaysia Inc. Loses a Favorite Son) عـن مصـرع رجـل أعمـال ماليزي في حادث، (Partners) عن تعاون جنوب أفريقيا ومالـيزيا ، (Trails of Labour Leader) عن محاكمـة زعيم عمالي في إندونيسيا ، إلا عـنواناً واحـداً هو (Bob Hasan's Gold Touch) واللمسة الذهبية لرجل الأعمال الإندونيسـي تحمل تورية فهو قد حل مشكلة خلاف مجموعة شركات على منجم ذهب في إندونيسيا كما يحل مشكلات بين أبناء سوهارتو.

•• منطقة جنوب آسيا :

ولمـــا كانــت هــذه المنطقة كانت حافلة الأخبار السلبية فقد زادت فيها العناوين المجازيـــة البلاغيـــة فنقـــرأ العنـــوان الجميـــل الذى يحمل سخرية وتكنية (Coming Attraction: The Movie Queen and the Mullah) المســتعار من الخطاب السائد فـــى الأخبار الفنية (التحفة القادمة: نجمة الأفلام والملا) عن صراع راقصة سابقة ورجل ديـــن باكســتانى علـــى مقعـــد فى انتخابات المحليات، وفيما يتعلق بالانتخابات البرلمانية البـــاكســـتانية نقـــرأ عنواناً يحمل تكنية (Round Two) وكأن الصراع بين بناظير بوتو ونـــواز شريف مثل حلبة ملاكمة، وفى العنوان الساخر (Something Might Work?) نقـــرأ أن رئيس الوزراء الباكستانى نواز شريف قد ألغى أجازة يوم الجمعة وجعلها الأحد لمساعدة رجال الأعمال ونهى عن إنفاق الأموال فى الأفراح!!، كما يمكن أن نقرأ عناوين أخـــرى تعكـــس الخلفية الأوروبية المتحررة من الإقطاع والتى بذلت جهداً كبيراً للتخلص منه كما فى عنوان (Fudal Curse) عن مشكلات باكستان الاقتصادية.

ب- مجلة الإيكونومست :

•• المنطقة العربية :

كان عنوان التقرير المناقش لمشكلـــة التعليـــم فـــى مصـــر والدروس الخصوصية (School's Out) أشد العناوين حملاً للسخرية Ironical فالعبارة السابقة معناها الحرفى خـــروج التلامـــيذ مـــن المدرســـة بعـــد اليوم الدراسى، ولكن الإيكونومست قلبت المعنى Antiphrasis بمـــا يعنى أن كل الدروس تتم خارج المدرسة، وكـــان عنوان (Trouble in the Firm) عـــنواناً يحمـــل تكنية، فرئيس الوزراء اللبنانى رفيق الحريرى الذى يعمل رجـــل أعمال يواجه مشكلات داخل الدولة الصغيرة، التى شبهتهـــا المجلـــة بالشركة، أما عنـــوان (Sad Birthday) فيحمـــل مفـــارقة Paradox وجمعًا للمختلف Oxymoron يصـــف استقلال الجزائر والاحتفال به وسط المذابح والعنف، وكان عنوان (Lost in the

Golan Heights) الـــذى يصف التيـــه الـــذى اعترى عملية السلام بعد توقف المسار السورى – الإسرائيلى يحمل تكنية، بخـــلاف ذلك كانت العناوين كلها لا تحمل مجازاً مثل (Will Netanyaho bring in Peres?) عــن احــتمال تشــكيل حكومة ائتلاف وطنى إسرائيلية.

•• منطقة الشرق الأوسط غير العربية :

كانــت العناويــن المجازيـــة قلـــيلة رغم عرض مشكلات هذه البلدان كلها سياسية واقتصاديـــة، منهـــا عنوان (Immorality in Afghanistan) فهو عنوان صحفى رائق يحمـــل الســـخرية والمفارقـــة وجمع المختلف، والتقرير كان يصف القبض على اثنين من العامليـــن الفرنســـيين تحدثـــوا فقط لامرأة أفغانية فلا نعرف (قلة الأدب) هذه تصف فعل الفرنســـيين أم فعـــل الطالـــبان الذين يمنعون العاملين فى مؤسسات رعاية المرأة من أداء عملهم ويقبضون عليهم لأسباب – من وجهة نظر المجلة – تافهة.

وكـــان هناك عنوان مجازى آخر هو (No: Said the Army) عن تحذير الجيش الـــتركى لأربكـــان رئـــيس الـــوزراء من تطبيق برنامجه الإسلامى الذى يخرق الدستور العلمـــانى، وهـــو عـــنوان استحضارى Prolepsis يفيد معنى القطع والسيطرة والتحكم، بخلاف ذلك كانت بقية العناوين عادية لا مجاز فيها مثل عنوان (Turkey's Troubles) عن مصاعب تركيا السياسية والاقتصادية الخارجية والداخلية.

•• الأقليات الإسلامية :

لـــم تكن أيضاً هناك عناوين مجازية كثيرة رغم اهتمام الإيكونومست أكثر من التايم بالأقلـــيات المســـلمة فى الشيشان والبوسنة، وربما كان أعلاها بلاغياً هو عنوان (Year Zero) أو الســـنة صـــفر والـــذى كـــان يصف أول عام للشيشان فى إدارة شئون أنفسهم والعـــنوان مفـــارق ســـاخر وجامع المختلف يفيد أن الشيشان لم يحققوا شيئاً فى هذا العام،

وكذلــك يمكن أن نلمح عنواناً (Taiwan on the Caucasus) تايوان فى القوقاز عنوان فيه تكنية لأنه وضع الشيشان لروسيا يماثل تايوان للصين.

•• منطقة جنوب شرق آسيا :

لــم تكــن العناويــن المجازية كثيرة أيضاً رغم اهتمام الإيكونومست بهذه المنطقة وتفصيلها لمشكلاتها ويمكن أن نلمح أكثر العناوين مجازية على رأس التقرير الذى يصف الهجــرة غــير الشــرعية للبنجلاديشــيين إلى ماليزيا وعودتهم قسراً إلى بلادهم (Sent Packing) والــتى تفيد – سخرية – مُعلبين مثل الأسماك فى علب الأكل المحفوظ، وهو عنوان مهين إلى حد ما.

•• منطقة جنوب آسيا :

لــم تكن هناك عناوين تحمل بلاغة أو مجاز. كانت كل العناوين بسيطة Plain مثل (Fresh Start?) عــن محادثات السلام بين الهند وباكستان وقد وضعت علامة الاستفهام التى تستخدمها الإيكونومست مثل علامة التعجب، تشككاً فى إمكانية الحدوث.

•• منطقة آسيا الوسطى :

كانــت العناويــن التى استخدمتها مجلة الإيكونومست فى هذه المنطقة كلها بلاغية فعندما أرادت أن تصف الحرب الأهلية فى طاجيكستان استخدمت عنوان يحمل تكنية وهو (Hold Your Breath) أو احــبس أنفاســك تــوطئه تبيــان دلائــل الحرب ومظاهرها المــروعة، وعندما أرادت أن تصف صوت يعارض الرئيس الأوزبيكى الذى مايزال يحكم بــلاده بأســاليب القهر الشيوعية كتبت (A Voice in the Wilderness) أو صوت فى الــبرية أو الخــراب كناية عن حالة أوزبكستان، وفى كازاخستان كان هناك عنوان مفارق ســاخر وهــو (Speaking of Camels) الــذى كان يصف رغبة الرئيس الكازاخى فى تدريــس وتعمــيم اللغة الكازاخية ومعارضة الأقلية الروسية لذلك بأنه حوار الطرشان ..

والـتهكم فـي العنوان مهين إلى حد ما أيضاً نتيجة لاشتهار كازاخستان بنوع من الجمال ذات السنامين الذى يتكلم الرئيس الكازاخى "عن" مشكلة بشأنها.

تعليق عام على بلاغة عناوين عينة الدراسة :

- بشكل عام كانت عناوين التايم أكثر ثراء من الناحية البلاغية من عناوين الإيكونومست فقـد اسـتخدمت أكثر من أسلوب بلاغى من جهة وتوزعت عناوينها البلاغية على كل مناطق العالم الإسلامى التى غطتها من ناحية أخرى.

- كـان اسـتخدام التايم للمفارقة والسخرية يتم بشكل "رائق" إن جاز التعبير دون امتداد الـتهكم للإهانـة بمـا يعكـس دعابـة خشنة كالتى استخدمتها الإيكونومست فى حالة البنجلاديشيين والباكستانيين فى ماليزيا أو لوصف اللغة الكازاخية.

- كلما زادت التغطية السلبية الجادة فى منطقة ما بعرض مشكلاتها السياسية والاقتصادية كلما زادت "بلاغة" العناوين وخاصة السخرية والمفارقة.

- كلمـا زاد عـداء الولايات المتحدة وبريطانيا لدولة ما، زاد الاستخدام البلاغى للعناوين خاصة السخرية والمفارقة لجذب القارئ للموضوع، والعكس بالعكس كلما اتسق موقف الدولـة الإسـلامية مـن العولمة مع موقف القوى الغربية كلما قل الاستخدام البلاغى للعناوين كما فى حالات ماليزيا، و[illegible]

●●●



الخاتمة



ســيقــوم المــؤلف بعــرض مــركز لأبرز النتائج الإمبريقية العامة وأكثرها دلالة Most Telling فــيما يتعلق بالتغطية الخبرية كل من مجلتى التايم والإيكونومست خلال الــثلاثة شــهور الأولــى من عام ١٩٩٧، وذلك فى المحورين الرئيسيين اللذين اختارهما لدراســة: التدفق الخبرى، وتأثير الإطار، وفى عرض المؤلف لأبرز نتائج دراسته سيدير مناقشــة لهــذه النــتائج فــى ضوء الدراسات السابقة عن تغطية الإسلام، وكذا فى ضوء المقولات النظرية لخطاب العولمة لاسيما فى تجلياته الإعلامية.

✿✿✿

ففى ضوء الفصل الثالث توصل المؤلف إلى النتائج التالية:

- كانــت التغطية الخبرية للعالم الإسلامى (دوله – أقلياته) فى عينة الدراسة متناسبة إلــى حــد كبير مع عدد سكانه. فإذا كان المسلمون يشكلون ربع سكان العالم تقريباً إذ يــبلغ عددهــم ١,٢ مليار نسمة(١)، فإن حجم التغطية الخبرية للعالم الإسلامى مقارنة ببقــية العالم كانت ٢٢,٨% وهى نتيجة تحتاج لدراسات أخرى لإثباتها نظراً لاقتصار العينة على مجلتين (التايم، والإيكونومست) وعلى ثلاثة شهور فقط هى يناير، فبراير، مــارس ١٩٩٧، ولكــنها نتيجة هامة فى دراسات التدفق ربما لأنه لم تجر أية دراسة كلية Macro أو عامة كنظرة عين الطائر Bird's Eye View على العالم الإسلامى الــذى كانــت تــدرس بعض دوله أو مناطقه فى إطار دراسات التدفق المتعلقة بالعالم الثالث.
- كانت مجلة الإيكونومست البريطانية أكثر اهتماماً من مجلة التايم الأمريكية بشئون العــالم الإســلامى، وازدادت نســبة التغطــية السلبية فيها عن مجلة التايم نظراً لغلبة الأخــبار السياســية والاســتراتيجية والاقتصادية على تغطية الإيكونومست أكثر من

---

(١) عبد المنعم المشاط: مرجع سابق، ص ٢٥٧.

تغطــية الــتايم وهــى الأخبار التى يتضح فيها خطاب العولمة الاقتصادى والسياسى وانفراد الأخيرة بالأخبار الخفيفة الثقافية والفنية فى العالم الإسلامى.

- مــازال العــالم العربى (منبع الإسلام) هو بؤرة الاهتمام للتغطية الخبرية الغربية، يلــيه الــدول الإســلامية الشــرق أوســطية غير العربية، فبلدان جنوب شرق آسيا الإســلامية، ثــم الأقليات الإسلامية (أوروبا والصين) يأتى بعد ذلك بلدان جنوب آسيا فــبلدان وسط آسيا وفى المرتبة الأخيرة الدول الأفريقية. وهى نتيجة أرجعها المؤلف لــزيادة عــدد الــدول الإســلامية داخل العالم العربى، وكثرة مشكلاتها التى تجتذب الصــحافة العالمية لتغطيتها. فضلاً عن القرب المكانى له من أوربا الغربية والولايات المتحدة.

- حــازت الــدول كبــيرة الحجم، عالية الكثافة السكانية، ومتوسطة التنمية البشرية، المســتقرة سياســياً أكــبر نســبة من حجم التغطية، وهو ما يثبت عددًا من الفروض المــتعلقة بالتدفق وينفى أو يعارض بعضها، يثبت أن هناك علاقة طردية بين التغطية الخــبرية وكبر مساحة الدولة وزيادة عدد سكانها، ويعارض الفروض القائلة بأن هناك علاقــة طردية بين حجم التغطية وزيادة نسبة الناتج المحلى الإجمالى، وكذلك يعارض الفرضــية القائلــة بأن أغلب التغطية تركز على أخبار الحروب (الإقليمية – الأهلية) والكــوارث الطبيعــية أو الانقلابــات العسكرية، فقد كانت فى العينة نسبة كبيرة من الأخــبار التى تغطى المشكلات السياسية الاقتصادية الخاصة بالتحول لاقتصاد السوق فــى بعض الدول الإسلامية وكذا المشكلات الاجتماعية مثل التعليم والهجرة بين البلاد الإســلامية وغيرها، وهو ما جعل الدول المستقرة تأخذ حجماً من التغطية يفوق الدول غــير المستقرة وإن كانت الأخيرة زاد الاهتمام بها حتى أن نسبة تغطيتها قاربت نسبة تغطية الدول المستقرة.

- إذا اعتــبرنا الولايـــات المتحدة وبريطانيا هى دول المركز (أ)، فقد ثبت أن تدفق الأخـــبار عـــن دول الهوامـــش (ب) التى تمثل تهديداً لدول المركز قد زاد عن تدفق الأخبار عن دول الهوامش التى لا تشكل تهديداً لمصالح المركز الاقتصادية والسياسية فـــزادت أخـــبار إيـــران والعراق وأفغانستان وباكستان وفلسطين عن أخبار دول مثل تونس والمغرب وموريتانيا وقطر والبحرين والنيجر وتنزانيا مثلاً.

كذلـــك زاد تدفق الأخبار عن دول الهوامش (ب) فى مجلات دول المركز (أ) إذا كانـــت هذه الدول ذات علاقات اقتصادية قوية بدول المركز حتى وإن لم تشكل تهديداً مباشـــراً لمصالح تلك الدول، ووضح فى هذا السياق ماليزيا وإندونيسيا مقارنة بالجابون والسنغال وهى دول أعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى.

- مازالـــت التغطـــية الخـــبرية تعتمد فى مصادرها (رغم قلة عددها فى العينة) على المصادر الرسمية، وهو ما يؤكد ما أوضحته عدد من الدراسات والمقالات عن تغطية العـــالم الإسلامى من أن المراسلين الغربيين فى حاجة لمعرفة أوسع بتفاصيل القضايا السياســـية والاقتصادية والاجتماعية المختلفة فى الدول الإسلامية بما يترتب عليه من استشارة مصادر أخرى غير رسمية.

- مثلـــت السلطة التنفيذية (الرؤساء – الملوك – الوزراء) فضلاً عن رجال الأعمال ورجـــال الجـــيش مركز ثقل الفعل فى العالم الإسلامى كقوى فاعلة داخلية كما كانت المؤسســـات التنفيذية فى الدول الأجنبية بجانب المنظمات الدولية هى مركز ثقل الفعل فى شئون العالم الإسلامى كقوى فاعلة خارجية، واتسمت أدوار القوى الفاعلة الداخلية بالسلب إذا فارقت مصالح (الولايات المتحدة وحلفائها) وبالإيجاب إذا اتسقت مصالحها مـــع المصـــالح الغربية. وهو ما أرجعه المؤلف إلى أن الحكام فى العالم الإسلامى هم قاطـــرة العولمة فيه ومدخل اختراقه كما أن رجال الأعمال هم اللاعبون الرئيسيون فى عمليات الخصخصة والاندماج والتشبيك.

- كانـــت مجلـــة الـــتايم أكثر استخداماً للمجازات البلاغية فى عناوين تقاريرها من الإيكونومست، وعلى الأخص المفارقة والسخرية وجمع المختلف، والتكنية، والتورية، وبالنســـبة للمقولات غلب على البنية التخطيطية اللغوية المقولات التقريرية فالتعريفية فالتقيميـــية فالتنبؤية وزادت المقولات عامة فى الإيكونومست على التايم كما زادت فى البرهنة العبارات التى تعكس أدلة على العبارات التى تؤدى وظيفة تبريرية.

- غـــاب عن الخطاب الصحفى الغربى للعالم الإسلامى أى دور فاعل لجامعة الدول العربـــية ومنظمة المؤتمر الإسلامى سواء كان إيجابى أو حتى سلبى، وهو ما يوضح صـــورة هـــذه المنظمات لدى الغرب كمنظمات غير فاعلة فى شئون أعضائها اكتفاء ببيانات الشجب والإدانة فى غيبة آليات واضحة لتطبيق قراراتها.

وهـــو أمـــر قد اعترف به الباحثون العرب والمسلمون أنفسهم، فعلى سبيل المثال يـــرى أحمـــد الرشيدى فى دراسته القانونية – السياسية عن منظمة المؤتمر الإسلامى أن ميـــثاق المـــنظمة قد جاء فى عمومه مصطبغاً بصبغة تقليدية حيث آثر واضعوه أن يغلبوا اعتبارات السيادة الوطنية على اعتبارات الصالح الإسلامى العام وهو سبب يعزى إليه بط أداء هـــذه المـــنظمة بـــل وعـــدم فاعليتها التامة فى بعض الأحيان .. فقد غاب عن ميثاق المنظمة أى نص – صريح أو ضمنى – ضد أية دولة عضو تخرج على أحكامه. كذلك لم يقـــدر للمنظمة أن تضطلع بدور ذى قيمة فى مجال التسوية السلمية للمنازعات التى نشبت فـــيما بين دول الأعضاء مثل الحرب العراقية الإيرانية، والغزو العراقى للكويت، والنزاع الســـنغالى – الموريـــتانى. أما فيما يتعلق بالتعاون الاقتصادى فقد كانت محصلته محدودة

للغايــة خاصــة بالمقارنــة ببعض تجارب التكامل الناجحة فى العالم لتجربة دول الاتحاد الأوروبى [1].

ورغــم التباينات التى أوضحها المؤلف بالتفصيل فى الفصل التطبيقى للدراسة فقد تشــابه حقــل الخطاب الغربى فى الاهتمام بالمناطق الجغرافية للعالم الإسلامى من جهة، وفــى بــيانه للقــوى الفاعلة وأدوارها، الأسباب والحلول لمشكلات العالم الإسلامى، وفى بعــض تمــثلات البنية اللغوية للخطاب، وفى ظل هذا الحقل الذى يقيم علاقات تأثير وتأثر (علاقــات جدلــية) بيــن مــا هو إعلامى، وسياسى، واقتصادى، وثقافى، سيقوم المؤلف بمناقشــة نــتائج الدراســة الــتى عرضــها آنفاً فى ضوء النظرية العامة للإعلام الدولى والعلاقــات الدولــية وهــى العملية التى ستمد جسور نظرية قوية لفهم معنى تغطية شئون العالم الإسلامى فى الصحافتين الأمريكية والبريطانية.

❁❁❁

أولاً: تدفق أخبار العالم الإسلامى فى عصر العولمة: التشاؤم يزداد تشاؤماً

مــع التركــيز الذى عرضناه فى الفصل الثانى فى ملكية وسائل الإعلام الكوكبية كجــزء لا يــتجزأ من التركيز والتشبيك الحادث فى ملكية وسائل الإنتاج والتى تديرها – بــبراعة وفــى غيــبة أى قــوى اجتماعية ذات تأثير – الطبقة الرأسمالية العابرة للقومية والبيروقراطــيات الاقتصــادية الكوكبــية المتحالفة معها، وصف مجيد تهرانيان، وكاثرين تهرانــيان القــرية الكوكبية التى بشر بها مارشال ماكلوهان بأنها أصبحت إقطاعية حديثة، بهــا قلعــة غنــية ومحصنة (مراكز العالم الصناعية والمالية والإعلامية) محاطة بمزرعة

---

(١) أحمــد الرشــيدى : **منظمة المؤتمر الإسلامى: دراسة قانونية – سياسية فى ضوء قانون المــنظمات الدولــية** ، (القاهــرة : مركــز الــبحوث والدراسات السياسية، ١٩٩٧)، ص ص ١٥٧– ١٦٠.

واســـعة يعـــيش فـــيها الفلاحون المعدمون الذين يصرخون طلباً للحياة والاعتبار (هوامش العالم)[1].

وهـــى ليســـت مقولة أدبية جميلة فقط، ولكنها منطوق نظرى صائب تكشف عنه تطبـــيقات العلاقـــة بين الإسلام والغرب كما أبانت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وما تلاها، فالمؤلف يعتبر الهجمات على الولايات المتحدة بتحطيم برجى مبنى مركز التجارة العالمى فـــى نـــيويورك وضـــرب وزارة الدفـــاع (البنـــتاجون) فى واشنطن صرخة طلب للحياة والاعتبار.

كمـــا أضـــاف حميد مولانا Mawlana – نقلاً عن فيلانيلام Vilanilam – إلى مفارقـــة القرية الكوكبية موضحاً: إذا كان هناك ١٠٠ ساكن فى هذه القرية، فواحد فقط له فرصـــة التعلـــيم فوق الجامعى، ٧٠ ساكن ليس لهم القدرة على القراءة والكتابة، أكثر من ٥٠ يعـــانون من سوء التغذية، فوق الـــ ٨٠ يعيشون فى سكن أقل من المستوى الإنسانى، و ٦ فقط يملكون معظم دخل القرية، فكيف يعيش هؤلاء الستة فى سلام مع جيرانهم بدون تسليح أنفسهم حتى الأسنان ومد من هم على استعداد للدفاع عنهم بالسلاح؟! [2]

وانـــتهى حمـــيد مولانا إلى أن التقدم التكنولوجى فى عالم اليوم لا يمكن أن يحل مشـــكلات النظام الإعلامى والمعلوماتى، فما يحدث من اندماجات كبرى فى ملكية وسائل الإعـــلام الكوكبـــية لا يمكـــن فصلها عن السياق السياسى والاقتصادى لعالم القرن الحادى والعشـــرين، وهـــذا الـــتقدم التكـــنولوجى – وهو الحادث فى مجال البث الفضائى وأخبار الإنترنـــت – لا يمكن أن يركز على الخلفيات الاقتصادية والسياسية والثقافية لموقف معين بـــل سيدعم التغطية السطحية المبالغة فى التبسيط. أكثر من ذلك، سيضرب النظام الكونى للإعـــلام صـــفحاً عن مطالب الدول الأقل نمواً LDC's فملاك وسائل الإعلام، وهؤلاء

(1) Majid Tehranian and Katherine Tehranian, **Op. Cit.**, p. 164.
(2) Hamid Mawlana, **Towards a NWICO for the twenty-first Century**, Journal of International Affairs, Vol. 47, No. 1, summer 1993, pp. 59 - 63

الذيـــن يملكون القوة للتأثير على توزيع المعلومات يديرون "عملية مركزية" لصناعة القرار تـــتجاهل الاعتـــبارات الثقافية، وستظل إجابة السؤال الأخلاقى من يملك توزيع المعلومات ولأى غرض هى المحددة لمحصلة أى نظام عالمى جديد (١).

وفـــى هـــذا الإطـــار ليس من المتصور على الإطلاق تعديل "القانون" الذى يسير الإعـــلام الغـــربى بمقتضاه فى تغطيته لشئون العالم الإسلامى فى المستقبل المنظور على الأقـــل، فمـــن يقبل بهذه "العملية المركزية" – على حد تعبير مولانا – ستنجو صورته أو أطـــره مـــن التشـــويه ومن يرفض سيتعرض للنبذ والإقصاء أو الاحتواء – التعبير الأثير للأمريكيـــن – وسيتم استخدام هذه الآلة الإعلامية الكوكبية الجبارة لسحقه معنوياً تمهيداً – إذا أكمل العناد – لسحقه مادياً بالآلة العسكرية الجبارة أيضاً!!

✿✿✿

ثانياً: الإعلام أحد آليات صنع العدو: الإسلاموفوبيا

بـــرغم تـــنامى ظاهـــرة الإسلام السياسى أو الإحياء الإسلامى قبل سقوط الاتحاد الســـوفيتى الســـابق كما سبق أن أشرنا فى الجزء المتعلق بالخطاب السياسى للعولمة، فإن تـــبلور الإســـلام بمـــا يحملـــه من نسق قيمى وحضارى كعدو لم يحدث إلا مع بداية عقد التســـعينيات، ورغـــم أن مدخـــل التحليل المجتمعى للإحياء الإسلامى خاصة فى مكوناته الدينـــية، والسياســـية، والاجتماعية، والاقتصادية (التأويل المتشدد للنصوص الدينية، تفشى الســـلطوية والقهـــر السياســـى، ارتفـــاع نسبة الأمية، الأزمات الاقتصادية وتدنى مستوى الدخول) قد حاز أهمية أكاديمية يستحقها فإن بعض الدارسين بدأ مع أواسط التسعينيات فى التنبـــيه لدور الغرب من الإعلاء من خطورة التشدد الإسلامى، الأصولية، الإسلام المسلح ... الـــخ، إذ وجدت وسائل الإعلام الكوكبية المتحالفة مع الطبقة الرأسمالية عابرة القومية أنـــه مـــن المريح والمفيد أن يشار إلى عدد من الدول الإسلامية بوصفها دولاً شاذة جانحة

(1) Ibid., pp. 59 – 63.

شاردة Pariah مثل إيران، العراق، سوريا، السودان، وذلك لإثارة الإسلام الراديكالى، بل وأكثر أهمية لابقائه على قيد الحياة [١].

فعلى سبيل المثال، كانت الولايات المتحدة وليس غيرها هى التى جعلت أفغانستان بوتقــة الانصـــهار لأعضـــاء جماعـــات العنف السياسى تحت قيادة المخابرات المركزية الأمريكـــية CIA وبـــتعاون وتمويل عدد من الدول العربية المحافظة وبعض الشخصيات الغامضـــة مـــثل أســـامة بن لادن (السعودى الجنسية سابقاً) الذى كان له صلات قوية مع المخابـــرات المركـــزية، وبعد انتهاء الحرب مع الاتحاد السوفيتى السابق تفرق العرب - الأفغـــان إلى عدد من البلاد العربية لقلب نظام الحكم فيها (مصر - الجزائر) أو للتحصن والاختـــباء (اليمـــن) أو للمشـــاركة فى "الجهاد" (البوسنة - كوسوفو - الشيشان)، وذهب بعضـــهم إلى باكستان - البلد الذى يحفل بشتى الصراعات المذهبية والطائفية الإسلامية - كمحطـــة انطـــلاق لأى من الجهات السابقة، وعندما اتهم عدد كبير منهم فى حادثة تفجير مركـــز الـــتجارة العـــالمى ١٩٩٣، طلبـــت الولايات المتحدة من باكستان أن تسيطر على تحـــركاتهم ولكن رئيس الوزراء الباكستانى آنذاك شير مازارى رد بعنف قائلاً: إن العرب - الأفغـــان دربتهم ومولتهم الولايات المتحدة، كان الأمريكيون أول من بدأ كل هذا، والآن ينسحبون ويتركونا نتعامل مع ذلك، هذا ليس عدلاً" [٢].

ويكمـــل التحلـــيل السابق أحمد رشيد فى دراسته عن عملية تصدير التطرف التى تقـــوم بهـــا حركة طالبان التى تحكم ٩٠% من أفغانستان حالياً، فيرى أن الولايات المتحدة رفعـــت أيديهـــا عـــن مســـاندة الطالبان رسمياً على الرغم من موافقتها على دعم حليفتها باكستان لحركة طالبان بالمال والسلاح، بعد ذلك بدأت الحركة تمد نشاطها خارج باكستان فـــى جمهوريـــات آســـيا الوسطى لاسيما طاجيكستان، وفى إقليم سينكيانج الصينى، وفى

(1) Hilal Khashan. **The New World Order and The Tempo of Militant Islam,** British Journal of Middle Eastern Studies. Vol. 24. No. 1. May 1997, pp. 5 – 25.
(2) Ibid.. pp. 5 – 25.

الشيشـان مرسـلة مـن دربتهم وآوتهم إلى تلك البلدان لدعم الحركات الإسلامية فى آسيا الوسطى، والانفصالية فى الصين، ولتحارب بجانب الشيشان، وقد ارتأت الولايات المتحدة أن طالمـا مصـالحها المباشرة لا تمس، فلا يجب أن تتدخل بشكل مباشر فى هذه المنطقة تاركـة الـتدخل للحظـات التى يمس فيها أمنها بشكل مباشر كما حدث فى حادثى تفجير السـفارتين الأمريكيتيـن فى كينيا وتنزانيا عام ١٩٩٨، هنا بدأت وسائل الإعلام تتحدث عـن أخطـر "إرهـابى" يضـمر العـداء للأمريكيين وعندما رفضت الطالبان طرده من أفغانستان قامت الولايات المتحدة بضرب معسكرات التدريب فى أفغانستان جنباً إلى جنب مـع بعـض المناطق فى السودان التى ادعت أن بن لادن يمول مصنع للأسلحة الكيماوية فـيها ... وتغافلت وسائل الإعلام الأمريكية عن ذكر صلة بن لادن بالمخابرات المركزية أو دوره فـى تجـارة الهيروين لتمويل السلاح والتى تعتبر أفغانستان أكبر مصدر له فى العـالم إذ أنها تنتج ثلاثة أضعاف ما ينتجه العالم أجمع من زهرة الأوبيوم Opium، التى يخلـق مـنها الهيرويـن، أو عن دور عملاء المخابرات الأمريكية فى هذه التجارة، وهو نمـوذج صارخ لتطبيق البرامجاتية السياسية الأمريكية فى حالة الإسلام، نفس البرامجاتية الـتى ارتـأت أن تظـل المملكـة العربـية السعودية بعيدة عن "وباء" الديمقراطية حفاظاً للمصالح الأمريكية [1]. ولذا من السهل فهم لماذا "حضرت" أفغانستان فى التغطية و"غابت" السـعودية عـنها اللهـم إلا النذر اليسير الذى يبين جهود المملكة فى مكافحة الهجرة غير الشـرعية لمتسولى باكستان والهند، ووساطتها بين البحرين وقطر وهى وساطة ثانوية إذا علمـنا أن النزاع حول الحدود قد تم حله بمعرفة محكمة العدل الدولية التى طبقت التقسيم الـذى وضـعته بريطانيا للمنطقة والذى يكشف عن عدم فعالية المنظمات الإقليمية العربية والإسلامية.

والإعلام الكونى الغربى فى الولايات المتحدة وأوربا الغربية بل وروسيا يساهـم

(1) Ahmed Rashid, **The Taliban: Exporting Extremism,** Foreign Affairs, Vol. 78, No. 2, May 1999, pp. 22 - 36.

فى صنع صورة الإسلام كعدو محتمل ولكل طرف من الأطراف السابقة مصالحه الخاصة فـــى ذلك .. وكذلك من الجدير بالملاحظة أن الإعلام الغربى أثناء المواجهات الساخنة مع القـــوى الإســـلامية لا يراها بعدسات العولمة الجديدة فقط ولكنه يستعيد "تركيب" العدسات التقلـــيدية الاستشراقية والاستعمارية لترديد منطوقات تطعن فى الإسلام كعقيدة ودين وفى الشعوب الإسلامية التى تدين به على أنها شعوب بربرية غير متحضرة.

❁❁❁

ثالثاً: التسويق الاجتماعى والسياسى فى عصر العولمة

توســـع (فنسنت موسكو) فى شرحه للاقتصاد السياسى لوسائل الإعلام فى عصر العولمـــة بالتركـــيز على عمليات التسويق الاجتماعى والسياسى بالإلحاح والحقن بدلاً من المناقشة السياسية الهادئة فى جو يعتمد الحد الأدنى من إفساح المجال للرأى الآخر ... بل – وكمـــا قال موسكو – السعى بكل السبل لجعل الخطاب المتمخض عن عمليات التسويق الاجـــتماعى والسياسى يتجاوز الزمان والمكان للوصول لجماهير العالم فى أقصى الأرض فيما أسماه موسكو "Spatialization".

والأمـــثلة كثـــيرة علـــى ذلـــك فى أسباب وحلول مشكلات العالم الإسلامى التى عرضـــها المؤلـــف فى دراسته كالتركيز على دور صندوق النقد الدولى والبنك الدولى فى إصـــلاح هياكل اقتصاديات دول العالم الإسلامى الفقيرة وتوبيخ الدول التى كانت لا تتعامل معـــه كالســـودان أو المتلكـــئة كتركـــيا، وكذلك التوسع فى نشر أخبار الفساد السياسى فى باكســـتان وإندونيسيا دون التطرق لدور رأس المال المتعولم فى تنشيط هذا الفساد .. وكذا "شـــيطنة" أى حزب إسلامى يمسك بزمام حكم أى دولة إسلامية كما حدث فى الدراسة مع طالـــبان ومع مرجعية دينية للحكم مثل مرشد الثورة الإيرانية على خامنئى .. فيما خرجت أفقـــر الدول الإفريقية المسلمة من دائرة الاهتمام بالنسيان وتعمد الغياب وهى الدول التى لا

ناقـــة للطـــبقة الرأســـمالية عابـــرة القومـــية فيها ولا جمل فيما عدا نيجيريا الدولة الغنية بالبترول.

وإذا حاولـــنا أن نـــربط التركـــيز على قوى فاعلة بعينها فى العالم الإسلامى بما ســـبق، فليس مصادفة التركيز على القوى الفاعلة التنفيذية فى العالم الإسلامى المتمثلة فى الحكـــام إذ أنهم ببساطة هم المعبر لعولمة العالم الإسلامى الذى يُخترق ويُـــتعولم من رأسه نظـــرًا للشـــمولية المنتشـــرة فـــيه، وكان الفعل أيضًا من نصيب رجال الأعمال فى العالم الإســـلامى كما أوضح المؤلف فى مثال بوب حسن فى إندونيسيا الذى كان القاسم المشترك فـــى الاتفاقات الاقتصادية وحل خلافات أبناء الرئيس السابق سوهارتو، وكذا إبداء الأسف على رحيل يحيى أحمد رجل الأعمال الماليزى المقرب للرئيس محاضر محمد.

وكذلـــك فـــإن الاستخدام البلاغى للعناوين قد اختلف من منطقة لأخرى ومن دولة لأخـــرى داخل نفس المنطقة الجغرافية تبعاً لرضا الغرب عنها أو سخطه فجاءت العناوين الســـاخرة مـــن نصـــيب الـــدول المناهضة للعولمة مثل أفغانستان وإيران أو التى بها قوة إســـلامية تســـتأهل الحـــط من قدرها كالجزائر وباكستان وهى سخرية لم تفلت منها حتى إســـرائيل إذا عرضـــت مصـــالح العولمـــة والطبقة الرأسمالية عابرة القومية للخطر بعدم إتمامها عملية السلام بالمنظور الأمريكى.

إذن تعاضـــدت كـــل أدوات التحليل التى استخدمها المؤلف لكشف معنى التسويق الاجـــتماعى والسياســـى الذى رآه (موسكو) أنه خصيصة من خصائص الجناح الإعلامى للطبقة الرأسمالية عابرة القومية.

وهـــى مـــا يمكـــن أن يطبق على ما حدث فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١ لتسويق مفهوم "الإرهـــاب"، ولذا يكون من السهل فهم غضب الولايات المتحدة والغرب على قناة الجزيرة التى أفسحت مساحات من بثها لأسامة بن لادن وأعوانه إذ أن قناة الجزيرة استخدمت نفس

أســلوب الإعـــلام الغربى لتسوق بن لادن لجماهير العرب والمسلمين فى إعلام يتجاوز – كما قال موسكو – الزمان والمكان.

✪✪✪

رابعاً: وسائل الإعلام: هل تصالح "رؤى" مختلفة للعالم؟!

إذا انتهيـــنا بـــأن رؤية الطبقة الرأسمالية عابرة القومية وجناحها الإعلامى للعالم الإســـلامى هـــو الذى جعلها ترى هذا العالم من خلال عدسات خطاب العولمة الذى يُـــقدم علـــى أنـــه حتمـــية تاريخـــية بانتصار الرأسمالية اقتصاديًا والليبرالية سياسيًا فيما توضح أصولية منطلقات خطابه المؤسسة والمروجة لعمليات الخصخصة والاندماج والتشبيك.

وإذا رأيـــنا أن الفصائل الراديكالية للإسلام السياسى تقدم خطابًا مضادًا – أخلاقيًا فـــى الأغلـــب – يـــرى الغرب (دوله الكبرى ومؤسساته المهيمنة) السبب الرئيسى وربما الوحـــيد فـــى تدهـــور العالم الإسلامى نتيجة حتمية تمهيدًا لضرب دينه فى القلب وتمهيده لعمليات تنصير واسعة تصفية لحساب قديم دام ١٤٠٠ عام هى تاريخ الإسلام.

فـــإن المؤلـــف يرى أنه لن يكون هناك تفاهم بين العالم الغربى والعالم الإسلامى مادامـــت هاتان الرؤيتان هما السائدتان فى نظرة كل منهما للآخر .. بل لا أكون مغاليًا إذا قلـــت أنـــه لن تكون هناك هدنة فى القصف الأيديولوجى المتبادل المدمر حتى لنية الحوار بيـــن الطرفيـــن وهـــو ما رأينا تمثلاً من تمثلاته فيما حدث بعد الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ وأحـــداث نـــيويورك وواشـــنطن الدامية ورد الولايات المتحدة على ذلك بعملياتها العسكرية فى أفغانستان.

وتلعـــب وسائل الإعلام – فى الأغلب – دور العامل المساعد المهيج كما أوضح (جـــيمس هـــوج) المحلل السياسى لدورية (شئون خارجية)، وهو وضع استقطابى أوضح أشياء هامة ركز المؤلف عليها فى فصوله النظرية:

١ – تدعيم الإعلام لفوضى العالم:

وهى النقطة التى ركز عليها (جيمس روزناو) فى رؤيته أن وسائل الإعلام تعمق المواقــف المضـــطربة للفعــل السياســـى بتسريع الاستجابات للأحداث والتى قد لا تكون مدروســـة بـــالقدر الكـــافى فتؤدى إلى تعقيد المشكلات بدلاً من حلها، وكذا الانقلابات فى السياســـات مـــن النقيض إلى النقيض، وهو ما رأى أنه ينبغى بصدده أن يتم التأسيس لعلم يســـمى علـــم الفوضـــى أو التركيـــب لاســـتخلاص معـــنى متماسك فى غمار الفوضى والاضطراب الذى يكمن وراء الأحداث المعاصرة.

وهـــى المنطوقات النظرية لـــ (روزناو) التى رأينا تمثلات تطبيقية لها فى معالجة الإعـــلام الأمـــريكى والغـــربى لأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ورد وسائل الإعلام فى العالم الإســـلامى عليها، وهى الفوضى التى أعادت على مسامع جماهير العالم مقولات المواجهة بين الإسلام والمسيحية التى سادت العصور الوسطى.

٢ – تعميق الإعلام لأزمة الأمن:

وهـــو مـــا ذكره جراهام فوللر وإيان ليسر فى كتابهما الهام (الإسلام والغرب بين الـــتعاون والمواجهـــة) مـــن أن الأمـــن والأزمات المرتبطة بالأمن والتى يفرضها العالم الإســـلامى علـــى الغـــرب وأيضًا تلك التى يفرضها الغرب على العالم الإسلامى ستكون مصدرًا للاحتكاك.

ووجـــود الاســـتقطاب السابق سائد فى إعلام العالمين الإسلامى والغربى سيعمق أزمـــات الأمـــن على خطوط التماس بين العالمين ويعذر التعاون ويؤسس لمواجهة طويلة مُرة .. والتى لن تنقضى إلا بخلاص تنموى فى العالم الإسلامى.

خامسًا: حل أزمة الفكر التنموى وتغيير "صورة" الإسلام

رأيـــنا أن الاجتهادات اليسارية التى فارقت الماركسية التقليدية قد قدمت تحليلات جـــيدة لكيفية سيطرة الرأسمالية على مقدرات دول العالم الثالث والعالم الإسلامى من خلال تبعـــية هوامـــش هـــذه العوالم بمراكز الغرب ولكن من دون أن تقدم بديلاً يصلح للتطبيق التفصـــيلى وهـــى فى ذلك لحقت بالاتهام الذى كان – وما يزال – موجهًا لفصائل الإسلام السياســـى المخـــتلفة ألا وهـــو عـــدم وجود برنامج تفصيلى للتنمية يصلح بديلاً لعمليات الخصخصة والتشبيك والاندماج التى تنص عليها العولمة فى خطابها الأصولى.

وهـــو وضـــع يرى المؤلف أنه لن يغير من شكل تدفق أخبار العالم الإسلامى أو وضـــع أطـــر تغطيته إذا استمرت العملية الكوكبية الحالية بإيقاعها وآلياتها .. إذ لن تتغير صـــورة العالم الإسلامى إلا إذا تغيرت أحواله السياسية والاقتصادية بشكل جذرى يقلل من التقلصات المجتمعية الحادة التى تطفئ أى "روح" عقلانية للإصلاح .. وتترك الساحة شبه خالية للمتاجرين بآلام شعوب العالم الإسلامى ودينه.

وهـــو المـــنهج الذى يتفق فيه المؤلف مع المفكر البريطانى (فريد هاليداى) الذى اقـــترح بـــرنامجًا مزدوجًا لحل أو تخفيف ما يصور على أنه نزاع ما بين الغرب والعالم الإســـلامى متمـــثلاً فى: فصل الصعوبات الواقعية من تدهور اقتصادى وسياسى وأزمات اجتماعـــية عن تعبيراتها الدينية المشوشة ثم التصدى لهذه المصاعب ذاتها، باختصار لابد أن يـــنظر لهـــذه المشـــكلات فـــى ظل مفهوم كلى للعلمانية والتنمية .. هذا بالنسبة للعالم الإسلامى.

أمـــا فـــيما يتعلق بالعالم الغربى فلابد أن توضع سياسة متوازنة ذات جانبين إزاء القضـــايا التى يلخصها تعبير الإسلام بتكوين وعى أكبر به وبمشكلاته، وكذا بتكوين عداء للتحيزات العرقية الدينية الموجهة ضد المهاجرين المسلمين وضد البلدان الإسلامية خاصة التى تواجه الاحتلال والقمع كما فى فلسطين المحتلة.

ولكن ما دور الإعلام فى ذلك؟

على الإعلام مناقشة أزمة التنمية فى العالم الإسلامى، وليس من المتصور بالطبع أن يقـوم بذلـك سـوى إعلام دول العالم الإسلامى ذاته بتبادل الخبرات التنموية الناجحة الفـردية، والـتى فى شكل علاقات بين دول الجنوب أى الوطنية والإقليمية. وكذا الشروط الـتى يجـب توافـرها لإجراء تفاوض غير مجحف مع المنظمات الكوكبية كالبنك الدولى ومنظمة التجارة العالمية.

أما الاستسلام "ليقينية" خطاب العولمة الأصولى دون نقده فلن يتسبب إلا فى زيادة أزمة العالم الإسلامى وسلبية صورته وتأطيره فى إعلام الغرب.

✿✿✿

التوصيات:

أوصـــى مَنْ ؟! منظمة المؤتمر الإسلامى أم جامعة الدول العربية وعجز إحداهما لا يقـل عـن عجـز الأخرى .. الحكومات الإسلامية وهى إما تم اختراقها وتعولمت أو تحالفـت مع جماعات اقتنعت بأشد تفسيرات الإسلام جهالة وفاشية .. أم أوصى الجماهير فـى بلـدان العالم الإسلامى وهى التى – فى الأغلب – تمزقت حائرة بين الاستهلاك ولذة اللحظـة وبين اليأس والقنوط من الإصلاح وهى العوامل التى تدفعها للارتماء فى أحضان جماعات متشددة جهولة أو متصوفة ضالة؟!

ومـع ذلـك، فلا يجب أن ييأس المرء من روح الله فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

فالمؤلف – حتى هذه اللحظة على الأقل – مازال مؤمناً بأن هناك فريقاً فى العالم الإسـلامى، مـازال يرى فى أفكار المعتزلة وابن رشد فى تاريخ الإسلام الوسيط، وأفكار جمـال الديـن الأفغـانى والكواكـبى ومحمد عبده وابن باديس ومحمد الغزالى فى تاريخ

الإســـلام الحديـــث والمعاصر ينابيع صافية لمن يريد أن يكمل أنصع ما قدم العقل المسلم. كمـــا أن هـــناك فـــريقاً يرى فى الينابيع الصافية للتصوف الإسلامى عند الحسن البصرى وإبراهـــيم ابـــن أدهـــم، والمحاسبى والرومى ومن قبلهم أخلاقيات الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم زاداً روحياً لمن يريد أن يتخلق بأخلاق الإسلام . ولكن من يقدم هؤلاء للجماهـــير الإســـلامية فـــى شكل جذاب وبلغة يفهمها الناس. مَنْ يمكن أن يتحمل مسئولية تربية جيل مسلم عقلانى وأخلاقى فى آن واحد؟ مَنْ ؟!

ولا أســـتطيع أن أردد – بعـــد عامين أمضيتهما فى الولايات المتحدة الأمريكية ما بيـــن يولـــيو ١٩٩٩ إلى يوليو ٢٠٠١ – قولة الأستاذ الإمام محمد عبده بعد زيارته لفرنسا فـــى مطلع القرن الماضى: رأيت إسلاماً دون مسلمين. الموضوعية تقتضى أن أقول بأننى رأيـــت قـــوة عظمى منفردة بقيادة العالم يدعمها نظام اقتصادى قوى وهيبة وسيادة للقانون فـــى الأغلـــب، ولكـــنى رأيـــت فى ذات الوقت أسراً ممزقة (٥٠% هى نسبة الطلاق فى المجـــتمع الأمريكى) وإدمان للكحول والمخدرات والجنس وعبادة للذات والقوة، وتفكيك لما أنجزه العقل الغربى ذاته منذ عصر النهضة وحتى الآن متمثلاً فى كثير من أوجه ثقافة ما بعد الحداثة.

ومـــا بيـــن ضعف العالم الإسلامى والهيمنة الأمريكية، أليست هناك بقعة ضوء؟! نعـــم هناك .. إيران. فالتجربة الإيرانية تقدم للعالم الإسلامى نموذجاً جديراً بالتقييم والتعلم مـــن ســـلبياته وإيجابياته فى آن واحد .. فقد أنجزت هذه الدولة الحضارية ثورة ضد حكم ديكـــتاتورى فاسد، وكان عليها مآخذ كثيرة كقمع المعارضين ومحاولتها التأثير فيما حولها من دول وخاضت حرباً مع العراق لم تكن البادئة بها ولكنها لم تستجب لدعاوى السلام إلا بعـــد أن أجـــبرتها الظـــروف الإقليمـــية والدولية على ذلك. ثم نظر الشعب الإيرانى إلى أوضـــاعه الداخلـــية فوجد المرجعيات الدينية أو الملالى متحالفة مع طبقة كبار التجار من أجـــل حفـــظ مصالحهما معاً واشترك فى ذلك الحرس الثورى الذى كان ينظر له على أنه

"بيورتانى" طاهر، ومع تصاعد الاحتجاج المجتمعى ضد الفساد الداخلى والعزلة الخارجية، خاضـــت إيران تجربة ناجحة لانتخاب رئيس جديد عام ١٩٩٧ وبرلمان جديد عام ٢٠٠٠ جدد دماء الأمة واستنهض طاقاتها، وهى تجربة أبرز إيجابياتها أن الشعب الذى ساند قوى التغيـــير ضـــد الشاه هو الذى أنجز الثورة على "قوى التغيير" التى ترهلت وفسدت، وبقعة النور المضيئة فى التجربة أن التغيير كان دائماً من الشعب.

وهـــو أمـــر لـــو ســـاد معظم دول العالم الإسلامى لتغير حاله ولتحسنت تغطيته وصورته فى صحافة العالم أجمع وليس العالم الغربى فقط.

ومواجهـــة تحديات العولمة لا تتم بالدعاء وحده، بل بالعمل والمسألة فى تصورى هى لعبة للقوة والبدء لابد أن يكون بفهم قواعد اللعبة التى لم نضعها حتى يتسنى لنا تعديل بعـــض قواعدهـــا لصـــالحنا وأدعو من له القدرة على الإقناع ونفسى على توجيه خطاب عقلانـــى هادئ لرجال الأعمال العرب والمسلمين ينبههم لأبعاد العملية الكوكبية المتشابكة الـــتى هـــم طرفاً فيها فأصول الأموال العربية والإسلامية التى تمنح عملية العولمة جزءاً كبـــيراً مـــن قوتها تزيد على تريليون دولار (ألف مليار دولار) فى بنوك الولايات المتحدة وأوروبا .. ولنا أن نتصور حال العالم الإسلامى إذا تم استثمار ربع هذه الأصول فيه.

ولعل البداية تكون فى مجال المعلومات والإنترنت، فقد لفت نظر المؤلف عدم وجود واجهات عربية لمحركات البحث الشهيرة مثل (ياهو) أو مواقع البريد الإلكترونى الكبرى مثل Hotmail والعـــالم العربى على سبيل المثال يملك الموارد والخبرات الكفيلة بإنجاز واجهات عربية للبحث والبريد والمطلوب هو خطة عمل واضحة وإدارة حديثة لهذه المشروعات.

وكذلـــك يدعـــو المؤلف لأن تكون هذه الأموال العربية والإسلامية ذات فعالية فى التأثـــير فـــى المجـــال الإعلامى الدولى، فقد اشترى عدد من رجال الأعمال العرب وكالة الأنـــباء الدولـــية (يونيتـــيد برس) ولكن لم تنهض هذه الوكالة لتلعب دوراً مؤثراً فى تدفق الأخبار الدولية.

وكـــذا يوصــــى المؤلـــف بضـــرورة مناقشة تغطية الإسلام بمعزل عن العصبية والتشـــنج ولعلـــى أذكر فى هذا السياق ما أثير عن مقاطعة الشركات الإعلامية الأمريكية والأوروبـــية الـــتى تنتج أفلاماً تسيء للإسلام، فقد أدارت جريدتا الحياة والشرق الأوسط اللندنيتيـــن نقاشـــاً موسعاً حول فيلم (الحصار) الأمريكى الذى عرض عام ١٩٩٩ ولعب بطولـــته بـــروس ويليس ودنزيل واشنطن ودعت أغلب المقالات المنشورة آنذاك لمقاطعة شـــركة فوكـــس القرن العشرين التى أنتجت الفيلم، ولكن بعد مشاهدتى للفيلم مرات عدة، وجـــدت أنه لا يسئ للعرب ولا للمسلمين بقدر ما يحمل على الإدارة الأمريكية التى تجند بعـــض الجماعات الإسلامية ثم تتخلى عنهم، فضلاً عن مناصرته حقوق وجود العرب فى الولايات المتحدة كأقلية لها الحق فى ممارسة شعائرها الدينية.

دراسات أخرى مقترحة:

- دراسة صورة الإسلام فى وسائل الإعلام الغربية الأخرى غير الأمريكية والبريطانية مـــثل الفرنســـية، الإيطالية، الألمانية، لمقارنتها مع دراسة وسائل الإعلام الغربية الناطقة بالإنجلـــيزية لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف وسبل المواجهة التى ربما تختلف تبعاً لرجع الصدى الموضوعى.
- دراســـة مقارنـــة لصورة الدول الإسلامية فى الإعلام الغربى وفى إعلام دول العالم الإســـلامى لمعـــرفة أوجه الشبه والاختلاف والاستراتيجيات الناجحة لكسر تشكل صورة العالم الإسلامى عن نفسه عن طريق وسائل الإعلام الكوكبية.
- دراســـات مســـحية للقائم بالاتصال فى وسائل الإعلام الكوكبية لمعرفة ضغوط نمط الملكـــية والسيطرة والتمويل وكذا ضغوط غرفة الأخبار ودورها فى تشكيل أطر تغطية العالم الإسلامى.



مصادر الدراسة

المجلات:

مجلة تايم خلال فترة الدراسة يناير – فبراير – مارس ١٩٩٧.

مجلة الإيكونومست خلال فترة الدراسة يناير – فبراير – مارس ١٩٩٧.

مراجع الدراسة:

أولاً: المراجع العربية:

أ) الرسائل الجامعية:

١) أشـــرف أحمد عبد المغيث: "**دور الإعلام فى تكوين الصورة الذهنية للشباب المصرى عن العالم الثالث**"، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٩٣.

٢) إيناس محمد أبو يوسف: "**صورة العالم الثالث فى الصحافة المصرية والأمريكية خلال الفترة من ١٩٨٠ – ١٩٨٩**"، رسالة دكتوراه، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٩٤.

٣) جيهان يسرى أبو العلا: "**المعالجة الإعلامية لأحداث وقضايا العالم الثالث فى وسائل الإعلام المصرية**، دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٩٢.

٤) حمـــاد إبراهـــيم حامد: "**صورة الولايات المتحدة الأمريكية فى الصحافة المصرية اليومية: "دراســـة مقارنة بين حقبتى الستينيات والسبعينات**"، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٨٦.

٥) راجية أحمد قنديل: "**الصراع العربى الإسرائيلى فى صحيفة الجيرزاليم بوست أعوام ١٩٦٦ ، ١٩٦٧، ١٩٦٨**"، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٧٦.

٦) شيم عبد الحميد قطب: "دراسة **مقارنة لفنى القصة الخبرية والتقرير الخبرى فى الصحافتين الأمريكية والمصرية** بالتطبيق **على مجلتى تايم وأكتوبر**"، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٩٤.

٧) عـــزة على عزت: "**صورة دول مجلس التعاون الخليجى فى الصحافة البريطانية فى الفترة من ١٩٧٣ – ١٩٨١**"، رسالة دكتوراه، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٨٨.

٨) محمـــد حســام الدين محمود: "المسئولية الاجتماعية للصحافة المصرية، دراسة مقارنة للمضــمون والقــائم بالاتصــال فى الفترة من ١٩٩١ – ١٩٩٤"، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٩٦.

٩) هشام عطية عبد المقصود: "تأثير السياسة الخارجية للدولة فى المعالجة الصحفية للشئون الدولية، دراسة تحليلية مقارنة للصحافة المصرية خلال الفترة من ١٩٩٠ حتى ١٩٩٢"، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٩٥.

ب) الكتب العربية:

١٠) أحمـــد الرشـــيدى: منظمة المؤتمر الإسلامى، (القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩٩٧).

١١) أحمـــد محمـــد جمال: مفتريات على الإسلام، ط ٤، (مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامى، ١٩٨٥).

١٢) ألفت حسن أغا: الأصولية الإسلامية فى الإعلام الغربى، سلسلة كراسات استراتيجية، القاهرة مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ١٩٩٥.

١٣) تــيرى إيجلتون: مقدمة فى نظرية الأدب، ترجمة أحمد حسان، كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سبتمبر ١٩٩١.

١٤) ج. ب. بــراون، ج. بــول: تحليل الخطاب، ترجمة د. محمد لطفى الزليطى، منير التريكى، (الرياض: النشر العلمى والمطابع، جامعة الملك سعود، ١٩٩٧).

١٥) جابر عصفور: نظريات معاصرة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨).

١٦) جــراهام فوللر، إيان ليسر: الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة، ترجمة محمد مستجير، (القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩٧).

١٧) جمال حمدان: العالم الإسلامى المعاصر، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧).

١٨) جــون ستروك: البنيوية وما بعدها: من ليفى شتراوس إلى دريدا، ترجمة د. محمد عصفور، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، رقم (٢٠٦)، ١٩٩٦).

١٩) جيهان أحمد رشتى: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٧٨).

٢٠) حامد ربيع: فلسفة الدعاية الإسرائيلية، (بيروت: مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٧٠).

٢١) حسن حمدان العلكيم: قضايا إسلامية معاصرة، (القاهرة: مركز الدراسات الأسيوية، جامعة القاهرة، ١٩٩٧).

٢٢) حلمى خضر سارى: صورة العرب فى الصحافة البريطانية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨).

٢٣) رمزى زكى: وداعاً للطبقة الوسطى، (القاهرة: دار المستقبل العربى، ١٩٩٧).

٢٤) روبرت هيلبرونر: رأسمالية القرن ٢١، ترجمة كمال السيد، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٥).

٢٥) سامى مسلم: صورة العرب فى صحافة ألمانيا الغربية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦).

٢٦) سمير أمين، أزمة المجتمع العربى، (القاهرة: دار المستقبل العربى، ١٩٨٥).

٢٧) سيد البحراوى: محتوى الشكل فى الرواية العربية، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦).

٢٨) صادق جلال العظم: الاستشراق معكوساً، (بيروت: دار الحداثة، ١٩٨١).

٢٩) عبد الباسط عبد المعطى: البحث الاجتماعى، محاولة نحو رؤية نقدية لمنهجه وأدواته، ط ٢، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥).

٣٠) عبد العليم محمد: الخطاب الساداتى، تحليل الحقل الإيديولوجى للخطاب الساداتى، (القاهرة: سلسلة كتاب الأهالى، أغسطس ١٩٩٠).

٣١) عبد القادر طاش: صورة الإسلام فى الإعلام الغربى، ط ٢، (القاهرة: الزهراء للإعلام العربى، ١٩٩٣).

٣٢) علا عبد العزيز أبو زيد (محرر)، الحركات الإسلامية فى آسيا، (القاهرة: مركز الدراسات الأسيوية، جامعة القاهرة، ١٩٩٨).

٣٣) على الدين هلال (محرر): معجم المصطلحات السياسية، (القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩٩٤).

٣٤) عواطف عبد الرحمن: قضايا التبعية الإعلامية والثقافية فى العالم الثالث، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٨٣).

٣٥) عواطـف عـبد الرحمن وآخرون: تحليل المضمون فى الدراسات الإعلامية، (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٦).

٣٦) فـارس آشـتى: الإعـلام العالمى، مؤسسات، طريقة عمله وقضاياه، (بيروت: دار أمواج، ١٩٩٦).

٣٧) فـريد هاليداى: الإسلام وخرافة المواجهة، الدين والسياسة فى الشرق الأوسط، ترجمة محمد مستجير، (القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩٧).

٣٨) لـيلى عـبد المجـيد ومحمود علم الدين: فنية الكتابة الصحفية والتحرير، (القاهرة: د. ن.، ١٩٩١).

٣٩) مـايكل تربـير، كارل نوردسبيرج (محرران): أصوات قليلة وعوالم كثيرة. (القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، كتب مترجمة (٨١٥)، ١٩٩٤).

٤٠) محمـد السـيد سليم: العلاقات بين الدول الإسلامية، (الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، ١٩٩١).

٤١) محمـد الوفـائى: مناهج البحث فى الدراسات الاجتماعية والإعلامية، ط ١، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٩).

٤٢) محمد حسنين هيكل: المقالات اليابانية، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٧).

٤٣) محمد عمارة: الغرب والإسلام، (القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ١٩٩٧).

٤٤) محمد نصر مهنا: الوجيز فى مناهج البحوث السياسية والإعلامية، (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ١٩٩٦).

٤٥) محمود أبو العلا: جغرافية العالم الإسلامى، (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨١).

٤٦) محمـــود أمـين العالم : الإسلام السياسى، الأسس الفكرية والأهداف العملية، سلسلة قضايا فكرية ، عدد ٨ ، أكتوبر ١٩٨٩.

٤٧) محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، سلسلة كتاب الأمة، رقم ٥، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية. قطر، ط ١، ١٩٨٤).

٤٨) محمــود خلــيل: تكنولوجــيا برامج التحليل العلمى ببحوث الإعلام، (القاهرة: العربى للنشر والتوزيع، ١٩٩٨).

٤٩) ميشيل ألبير: الرأسمالية ضد الرأسمالية، (القاهرة: مكتبة الشروق، ١٩٩٥).

٥٠) ناديــة ســالم: صورة العرب والإسرائيليين فى الولايات المتحدة الأمريكية، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٨).

٥١) هربــرت شــيللر: الاتصال والهيمنة الثقافية، ترجمة د. وجيه سمعان عبد المسيح، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣).

٥٢) يوخيــن هــيلر، أندريــا لويــج، الإسلام العدو بين الحقيقة والوهم، (القاهرة:الفرسان للنشر والتوزيع، ١٩٩٤).

ج) الدراسات العربية:

٥٣) أسامة القفاش: السينما وما بعد الحداثة، سطور،مارس ١٩٩٨.

٥٤) إســماعيل صــبرى عــبد الله: الكوكــبة، الرأسمالية العالمية فى مرحلة ما بعد الإمبريالية، المستقبل العربى، عدد ٢٢٢، أغسطس، ١٩٩٧.

٥٥) أكبر أحمد، هاستيجز دونان، الإسلام فى عصر ما بعد الحداثة، ترجمة غادة الحلوانى، مجلة إبداع، عدد (١)، فبراير ١٩٩٨.

٥٦) السيد يس: فى مفهوم العولمة، المستقبل العربى، سنة (٢٠)، عدد (٢٢٨)، فبراير ١٩٩٨.

٥٧) ــــــ: السياســة الســكانية والتنمــية، نحو منهج مقترح لتحليل التراث العلمى، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، مايو ١٩٩١.

٥٨) راجية أحمد قنديل: أحداث العالم الثالث فى التغطية الإعلامية الدولية، بحوث الاتصال، عدد (٤)، يناير ١٩٩١.

٥٩) راســم الجمال: البيئة الدولية والاتصال والأمن الوطنى، بحوث الاتصال، عدد (٢)، ديسمبر ١٩٨٩.

٦٠) ــــــ: تدفــق الإعلام من الشمال إلى الجنوب، عالم الفكر، مجلد (٢٣)، عدد (٢٢١)، يوليو/سبتمبر – أكتوبر/ديسمبر، ١٩٩٤.

٦١) سعيد إسماعيل على، حوار الطرشان فى إصلاح التعليم، سطور، يوليو ١٩٩٨.

٦٢) سلوى إمام: الصدق والثبات فى استمارتى الاستقصاء وتحليل المضمون، المجلة العلمية لكلية الإعلام، العدد الأول، يوليو ١٩٨٩، ص ص ٤١ - ٦٠.

٦٣) صلاح سالم: العولمة، رؤى جديدة، دراسات وبحوث الدول النامية، عدد (٣)، ديسمبر ١٩٩٦.

٦٤) طلعت الشايب: هكذا تكلم صامويل هنتنجتون، سطور، عدد (١٦)، مارس ١٩٩٨.

٦٥) عبد السلام المسدى: اللغة وآليات الخطاب، سطور، ديسمبر ١٩٩٧.

٦٦) ―――――: من مخاطر الاندماج الكونى، سطور، يونيه ١٩٩٨.

٦٧) عبد المنعم المشاط: أصول ظاهرة التخلف فى العالم الإسلامى، السياسة الدولية، عدد (٩٩)، يناير ١٩٩٠.

٦٨) كارلا كونيسنجهام: الأصولية الإسلامية ونظرية الدومينو: قراءة فى السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الإسلام السياسى، ترجمة د. حسن جوهر، السياسة الدولية، عدد (١٢٥)، عام (٣٢)، يناير ١٩٩٧.

٦٩) محمد السماك: دور الإعلام فى التأثير على الثقافات والمعتقدات، الدراسات الإعلامية، عدد (٨٢)، يناير - مارس ١٩٩٦.

٧٠) محمد عابد الجابرى: العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات، المستقبل العربى، سنة (٢٠)، عدد (٢٢٨)، فبراير ١٩٩٨.

٧١) محمد على العوينى: الإعلام العربى الدولى، قضايا وحلول، بحوث الاتصال، عدد (٢)، ديسمبر ١٩٨٩.

٧٢) نايف على عبيد: العولمة والعرب، المستقبل العربى، عدد (٢٢١)، يوليو ١٩٩٧.

٧٣) ندى الزركلى: أوربا والقرآن فى العصور الوسطى، سطور، عدد (١)، ديسمبر ١٩٩٦.

د) المؤتمرات والندوات:

٧٤) أحمد برقاوى: نحو تحديد فلسفى - إنسانى لمفهوم الثقافة العالمية مدخل ميتادولوجى، منظمة تضامن الشعوب الأفروآسيوية، القاهرة، ١٠ - ١٢ مارس ١٩٩٧.

٧٥) المصطفى الرزرازى المصطفى: أطروحة الاصطدام بين الحضارات والترابط الإسلامى - الكونفوشيوسى، منظمة تضامن الشعوب الأفروآسيوية، القاهرة، ١٠ - ١٢ مارس ١٩٩٧.

٧٦) رزق الله هـيلان: نمط تنمية بديلة كمشروع لحوار حضارى. المؤتمر الدولى حول صراع الحضـارات أم حوار الثقافات، منظمة تضامن الشعوب الأفروآسيوية، القاهرة، ١٠ – ١٢ مارس ١٩٩٧.

هـ) تقارير باللغة العربية:

٧٧) معهـد دراسـات الاسـتراتيجية القومية بالولايات المتحدة: الراديكالية فى الشرق الأوسط، المركـز العـربى للدراسات الاستراتيجية، سلسلة (ترجمات استراتيجية)، عدد (١١)، السنة الثانية، يوليو ١٩٩٧.

و) المقالات المنشورة فى جرائد ومجلات:

٧٨) إدوارد سعيد: كيف تختزل صورة العربى والمسلم إلى معنى واحد هو الإرهابى، الحياة،٢٤ فبراير ١٩٩٧.

٧٩) إمام محمد إمام: مسلمو أوربا وأمريكا يعيشون حياتهم فى الغرب وقلوبهم تتجه إلى الشرق، الشرق الأوسط، ١٣ مارس ١٩٩٧.

٨٠) أنور عبد الملك: اكتشاف مسألة الحضارات، الأهرام، ١١ مارس ١٩٩٧.

٨١) أنور عبد الملك: الجبال والرمال، الأهرام، ٢٥ فبراير ١٩٩٧.

٨٢) إيريك وينكل: ما بعد الحداثة من منظور إسلامى، الشرق الأوسط، ١٤ مارس ١٩٩٧.

٨٣) السيد يس: صراع حضارات أم حوار ثقافات، الأهرام، ٢٠ مارس ١٩٩٧.

٨٤) السيد يس: نظام الفوضى فى العلاقات الدولية، الأهرام، ١٦ أكتوبر ١٩٩٧.

٨٥) باسكال بروكيز: العالمية ثقافة من لا ثقافة له، الأهرام، ١٩ نوفمبر ١٩٩٦.

٨٦) برتران بادى: العالم مشدود بين الكونية والقومية، الأهرام، ١٩ نوفمبر ١٩٩٦.

٨٧) برهان غليون: العولمة والاندماج الإقليمى، الأهرام، ١٠ مارس ١٩٩٧.

٨٨) بنجامين باربر: من ينتظر الإيديولوجيا أم الفيديولوجيا، الأهرام، ١٩ نوفمبر ١٩٩٦.

٨٩) جابر عصفور: مواجهة العولمة، الحياة، ١٨ مايو ١٩٩٨.

٩٠) جميل مطر: للكونية وجود متعددة، الأهرام، ٢٨ ديسمبر ١٩٩٦.

٩١) جواد بشارة: الإسلام الشرقى والإسلام الغربى وجهاً لوجه، القدس، ٢٦ يوليو ١٩٩٨.

٩٢) حســن الشــامى: إعادة نظر فى التصورات الشائعة عن الإسلام والتاريخ، الحياة، ٨ مارس ١٩٩٨.

٩٣) حسين أحمد أمين: عن محاورات المتطرفين، الحياة، ٢٤ فبراير ١٩٩٧.

٩٤) خليل على فهمى: حتى لا تنهار الحضارة، الغرب يبحث عن الأخلاق، الأهرام، ٢٨ ديسمبر ١٩٩٦.

٩٥) خــيرى منصــور: فى الاستشراق الأمريكى .. العربى: سادى، خؤون، تاجر رقيق، راكب جمال!، القدس العربى، ١٦ يوليو ١٩٩٨.

٩٦) ———————: فــى الاستشــراق الأمــريكى .. بدأ تبشيرياً وانتهى وريثاً لتركة بريطانيا الهرمة، القدس العربى، ١٧ يوليو ١٩٩٨.

٩٧) رمــزى زكــى: آلــيات الفوضى فى الاقتصاد العالمى الراهن، العربى، عدد (٤٨٢)، يناير ١٩٩٩.

٩٨) سلامة أحمد سلامة: دافوس مرة أخرى، الأهرام، ١٠ فبراير ١٩٩٧.

٩٩) صلاح الدين حافظ: الإعلام الجديد فى العولمة الجديدة، الأهرام، ١٩ مارس ١٩٩٧.

١٠٠) عبد العظيم أنيس: الدفاع المجيد عن التبعية، الجيل، ٢٤ يناير ١٩٩٩.

١٠١) عبد العليم محمد: الإعلام وتوحيد العالم، الأهرام، ١٠ يناير ١٩٩٧.

١٠٢) عبد القادر طاش: مسئولية المثقف العربى فى عصر المعلوماتية، الشرق الأوسط، ١٦ يونيو ١٩٩٧.

١٠٣) عبد الوهاب المسيرى: لماذا الفزع من الإبليسية، الأهرام، ١٠ فبراير ١٩٩٧.

١٠٤) على حرب: الثقافة والعولمة فى الزمان والمكان، الشرق الأوسط، ٩ مارس ١٩٩٧.

١٠٥) فيليب لاسير: الشرق يتحدى والغرب يعترف بالتحدى، الأهرام، ١٩ نوفمبر ١٩٩٦.

١٠٦) كاترين سيجال: دنيا محمولة على كابلات، الأهرام، ١٩ نوفمبر ١٩٩٦.

١٠٧) لورنت بلس: القمر الصناعى يدخل فى استخدام الإنترنت، الشرق الأوسط، ٦ يناير ١٩٩٧.

١٠٨) مؤتمر العلاقات العربية الأمريكية وتحديات العولمة، الشرق الأوسط، مارس ١٩٩٧.

١٠٩) مارك صايغ: أسرع وإلا فاتك الإنترنت، الحياة، ٦ أبريل ١٩٩٧.

١١٠) محمد سيد أحمد: إعلان هاريمان، الأهرام، ٨ مايو ١٩٩٧.

١١١) ————: عالمنا الغربي والعولمة (٢)، الأهرام، ٢٧ مارس ١٩٩٧.

١١٢) ————: عصر المراجعات، ظاهرة الانتماء إلى أكثر من طبقة، الأهرام، ٢٤ نوفمبر ١٩٩٨.

١١٣) محمد عابد الجابرى: العولمة، أممية استهلاكية، الشرق الأوسط، ٢٢ فبراير ١٩٩٧.

١١٤) مصطفى كامل السيد: أزمة الدول الصناعية الجديدة فى شرق آسيا وقضية التنمية، الأهرام الاقتصادى، ١٦ مارس ١٩٩٨.

١١٥) مونيكا معتوق: نظام التعليم الأمريكى يواجه مأزق القرن الحادى والعشرين، الأهرام، ٢٨ يناير ١٩٩٨.

١١٦) نبيل عبد الفتاح: المنظمة غير الحكومية الفاعل فى العلاقات الدولية، الأهرام، ٢٥ أكتوبر ١٩٩٦.

ز) مقالات عبر الإنترنت باللغة العربية:

١١٧) جيمس وولفنسون: تحدى الإشراك، كلمة موجهة إلى مجلس محافظى البنك الدولى، هونج كونج، الصين، ٢٣ نوفمبر ١٩٩٧.

http://www.worldbank.org/html/extdr/am97.htm.



ثانياً: المراجع الأجنبية:

ح) الكتب الأجنبية:

118) Ahmed, Manzoor. **Islamic Response to Contemporary Western Thought,** (Islamabad, Pride tiding, 1989).

119) Bandow, Doug et al. **Perpetuating Poverty: The World Bank, The IMF and the Developing World ,** (Washington: CATO Institute Publications. 1994).

120) Barnevik, Percy. **Global Strategies, Insights from the World's Leading Thinkers,** (Boston: A Harvard Business Review Book, 1994).

121) Barry, Peter. **Beginning Theory: AN Introduction to Literary and Cultural Theory,** (London: Manchester University Press, 1995).

122) Bradley, Stephen et al (eds.). **Globalization, Technology and Competition,** (Boston, MA: Harvard Business School Press, 1993).

123) Bradly, Stephen P. et al (eds.) **Globalization, Technology and Competition. The Fusion of Computers and Telecommunications in the 1990's,** (Boston: Harvard Business School Press. 1993).

124) Connor, Steven. **Post-Modernist Culture: An Introduction to Theories of the Contemporary,** (Cambridge. MA: Basil Blackwell Inc., 1995).

125) Fairclough, Norman. **Media Discourse.** (London: Edward Arnold. 1995).

126) Friland, Leonard et al. **International Coverage of Bejing Spring 1989: A Comparative Approach,** (Colombia. SC: Association for Education in Journalism and Mass Communication. 1996).

127) Gamson, W. **Talking Politics.** (New York: Cambridge University Press. 1992).

128) Gerbner, George et al (eds.). **The Global Media Debate: Its Rise, Fall and Renewal,** (New Jersy: Norwood. 1993).

129) Gilory, Bernard. **Networking in Multi-National Enterprises,** (Columbia: University of South Carolina Press. 1997).

130) Gladney, Dru. **Muslim Chinese: Ethnic Nationalism,** (Cambridge. MA: Harvard University Press. 1991).

131) Gonzalez-Manet, Enrique. **Information and Society: The New Challenges,** (New Jersy: Albex Co., 1992).

132) Gupta, Diapak. **The Economics of Political Violence: The Effect of Political Instability on Economic Growth.** (New York: Praeger Inc., 1990).

133) Hamilink, Cees et al (eds.). **Mass Communication Research and Policies,** (New Jersy: Ablex Inc., 1994).

134) Hartly, John. **Understanding News,** (London: Methuen Inc., 1982).

135) Herman, Edward et al. **The Global Media: The New Missionaries of Corporate Capitalism.** (London: Cassell Inc., 1997).

136) Kegley, Charles. **The Global Agenda.** (New York: McGrow-Hill Inc., 1992).

137) Kotler, Philip. **Marketing Management: Analysis Planning, Implementation and Control,** (New Jersy: Prentice Hall, 1997).

138) Lerner, Dania. **The Passing of Tradition Society Modernizing the Middle East,** (Illinois: The Free Press. 1964).

139) Lowe, Janet. **The Secret Empire: How 25 Multi – Nationals Rule the World,** (Illinois. Business One Irwin, 1992).

140) Maney, Kevin. **Mega Media.** (New York: John Wiley & Sons Inc., 1995).

141) Mclaughlin, M. (ed.). **Communication Yearbook,** (New York: Sage Publications, 1986).

142) Mcquail, Denis et al. **Communication Models**, 2nd edition, (New York, Longman, 1993).

143) Merrill, John et al. **Modern Mass Media,** 2nd ed., (New York: Harper Collins College Publishers, 1994).

144) Mohammadi, Ali (ed.). **International Communication and Globalization. A Critical Introduction,** (London: Sage Publications, 1997).

145) Nye, Joseph. **Understanding International Conflict: An Introduction to Theory and History,** (New York: Harper Collins College Publishers, 1992).

146) Pearce, Robert. **The Growth and Evolution of Multi-National Enterprise,** (Vermont: Edward Elgar Publishing Company, 1993).

147) Powell, Bingham. **Contemporary Democracies Participation, Stability and Violence,** (Cambridge, MA, Harvard University Press, 1992).

148) Preston, Lee et al. **The Rules of the Game in the Global Economy**, (Boston: Kluwar Academic Publishers, 1992).

149) Rawals, John. **Political Liberalism**, (New York: Columbia University Press, 1995).

150) Rich, Bruce. **Mortgaging the Earth,** (Boston: Beacon Press, 1994).

151) Robinson, William (ed.). **Promoting Polyarchy: Globalization, US Intervention and Hegemony**, (New York: Cambridge University Press, 1996).

152) Said, Edward. **Covering Islam: How the Media and Experts Determine and See the rest of the World,** (New York: Panthen Co., 1981).

153) Sklair, Leslie. **Sociology of the Global System**, (Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1991).

154) Slater, Robert et al (eds.). **Globalization, Transformation and The Third World,** (Colorado: Lynne Rienner Publishers, 1993).

155) Taylor, Alan. **Islam and the West in the Middle East Political Thought,** (New York: Penguin, 1998).

156) Tolson, Andrew. **Mediations: Text and Discourse in Media Studies,** (London: Arnold Inc., 1996).

157) Wallerstein, Irwin. **The Capitalist World Economy**, (Cambridge, MA: Cambridge University Press, 1970).

158) Williams, Fedrick et al. **The People Right to Know: Media, Democracy and the Information Highway**, (New Jersy: LEA Publishers, 1994).

159) Zartman, William (ed.). **Collapsed States: The Disintegration and Restoration of Legitimate Authority,** (London: Lime Rienner Publishers, 1995).

ط) الدراسات الأجنبية:

160) Andan, Mohamed. **Mass Media and Reporting Islamic Affairs**, Media Asia, Vol. 16, No. 2, 1989.

161) An-Naim, Abdullahi. **A New Islamic Politics Faith and Human Rights,** Journal of Middle East Studies, Vol. 75, No. 3, May/June 1996.

162) Barbero, Jesus-Martin. **Latin America: Cultures in the Communication Media**, Journal of Communication, Vol. 43, No. 2, Spring 1993.

163) Bergsten, Fred. **Globalizing Free Trade,** Foreign Affairs, Vol. 75, No. 3, May/June 1996.

164) Boyle, R. and Haynes, R. **The Grand Old Games: Football, Media, and Identity in Scotland**, Media, Culture & Society 18 (4):549-564, Oct. 1996.

165) Chang, T. et al. **Determinants of International Flow in the US Media,** Communication Research, Vol. 1, No. 2, 1987.

166) Chang, Tasan-Kuo & Jae-Won Lee. **Factors Affecting Gate Keepers Selection of Foreign** News, J. Q., Vol. 69, No. 3, Fall 1992.

167) Chase, S. Robert. **Pivotal States and US Strategy,** Foreign Affairs, Vol. 75, No. 1, Jan./Feb. 1996.

168) Dorman, William & Ehsan Omeed. **Reporting Iran the Shah's Way,** (Columbia Journalism Review, Jan./Feb. 1979).

169) Dupree, J. **International Communication: View from a Window on the World,** Gazette, Vol. 17, No. 1, 1971.

170) Entman, Robert. **Framing: Towards Clarification of A Fractured Paradigm,** Journal of Communication, Vol. 43, No. 4, Autumn 1993.

171) Fink, Edward & Walter Gantz. **A Content of Three Mass Communication Research Traditions: Social Science, Interpretive Studies, and Critical Analysis**, J. Q., Vol. 73, No. 1, Spring 1996.

172) Franklin, Steven. **Covering the World of the Muslims,** CJR, Vol. 37, No. 1, Jan 1995.

173) Galtung, J. **The Structure of Foreign News,** Journal of Peace Research, Vol. 2, No. 1, 1986.

174) Ganzert, Charlez & Don Flournoy. **The Weekly World Report on CNN: An Analysis**, J. Q., Vol. 69, No. 1, spring 1992.

175) Griffin, Michael. **Picturing the Gulf War: Constructing an Image of War in Time, Newsweek, US News & World Report**. J. Q., Vol. 72, No. 9, 1995.

176) Grover, Anju Chaudhary **Western and Third World Readers' Interest in Negative News,** Media Asia, Vol. 23, No. 3, 1996.

177) Gudykunst, William. **Cultural Variability in Communication: An Introduction,** Communication Research, Vol. 24, No. 4, August, 1997.

178) Hester, Al. **Theoretical Consideration in Predicting Volume and Directions of Inter Information Flow**, Gazette, Vol. 19, No. 2, 1973.

179) Hirsch, Paul. **Globalization of Mass Media Ownership,** Communication Research, Vol. 19, No. 6, December 1992.

180) Hoge, James. **Media Pervasiveness**, Foreign Affairs, Vol. 73, No. 4, July/August 1994.

181) Huntington, Samuel P. **The Clash of Civilization,** Foreign Affairs, Vol. 62, No. 3, May – June 1993.

182) Khashan. Hilal. **The New Arab Cold War**, World Affairs. Vol. 159. No. 4. Spring 1997.

183) Khashan. Hilal. **The New World Order and the Tempo of Militant Islam,** British Journal of Middle Eastern Studies, Vol. 24. No. 1, May 1997.

184) Kim, Kyuno et al. **The Determine of International News Flow, A Network Analysis.** Journalism Quarterly, Vol. 23, No. 3. June 1996.

185) Martin, Christopher et al. **Disciplining the Workforce: The News Media Frame of General Motors Plant Closing,** Communication Research, Vol. 24. No. 6, December 1997.

186) McChesney, Robert. **The Internet and US Communication, Policy Making in Historical and Critical Perspectives,** Journal of Communication, 46 (1), winter, pp.

187) Meyer, William. **Structures of North - South Information Flow: An Empirical Test of Galtung's Theory,** Journalism Quarterly, Vol. 68. No. 1.2. spring/summer 1991.

188) Mowlana, Hamid. **The United States and Islam: A Cultural Clash?,** (Bonn: Zeitschrift für Kulturaustausch, Vol. 42, No. 2. 1992.

189) Mowlana, Hamid. **Towards A NWICO for the Twenty-First Century,** Journal of International Affairs, Vol. 47, No. 1. Summer 1993.

190) Muzaffar, Clarke. **European Muslims and East-West European Contacts and Communication,** Zeitschrift für Kulturaustausch, 42 (4), 1997.

191) Nye, Joseph Jr. & William Owens. **America's Information Edge,** Foreign Affairs, Vol. 75, No. 2, March/April 1996.

192) Pan, Z. **Framing Analysis: An Approach to News Discourse,** Political Communication, Vol. 10, No. 1, Jan – March 1993.

193) Potter, James. **News from Three World in Prestige US Newspapers,** J. Q., Vol. 63, No. 1, spring 1987.

194) Quintos, Melinda de Jesus. **Asian Values Do They Exist?,** Media Asia, Vol. 23, No. 1. 1996. pp. 3 – 7.

195) Rashid, Ahmad. **The Taliban: Exporting Extremism**, Foreign Affairs, Vol. 78, No. 2, May 1990.

196) Robinson. Jetal. **International News in the Canadian and American Press: a Comparative News Flow Study,** Vol. 22, No. 2. 1976.

197) Schlesinger. Philip. **Wishful Thinking: Cultural Politics Media and Collective Identities in Europe,** Journal of Communication, Vol. 43, No. 2, spring 1993.

198) Semmel, Andrew. **The Study of Foreign News in Four US Elite Dailies**, J. Q., Vol. 53, No. 3, Fall 1967.

199) Shahin, Haluketal. **Global Media and Cultural Identity in Turkey**, Journal of Communication, Vol. 43, No. 2, spring 1993.

200) Sheikh, Price K. & Oshagan H. **Press Treatment of Islam: What Kind of Picture Do the Media?**, Gazette, 56 (2): 139 – 154, September 1995.

201) Smith, G. et al. **Prior Knowledge and the Effect of Suggested Frames of References in Advertising,** Psychology and Marketing, Vol. 14, No. 2, March 1997.

202) Stevenson, Robert. **Defining International Communication as a Field**, J. Q., Vol. 69, No. 3, Fall 1992.

203) Tehranian, Majid. **Global Communication and its Critic**, Journal of Communication, Vol. 45, No. 2, spring 1995.

ى) مؤتمرات باللغة الإنجليزية:

204) The Stanley Foundation, **US Policy in the Persian Gulf: New Beginnings,** Vontage Conference, Queen Stown, Maryland, April, 13-15 1989.

205) The Stanley Foundation, **Change and Stability in the Middle East: How Do We Get There From Here?,** Report of Vontage Conference, Queen Stown, Maryland, September, 6-8 1991.

ك) تقارير باللغة الإنجليزية:

206) The World Bank Group: **Adjustment in Africa**, (New York: NY University Press, 1994).

207) United States Department of State: **United States Participation in the United Nations**, Annual Report, 1992.

ل) مقالات عبر الإنترنت:

208) About the Economist Group, **http://www.economistgroup.com/about.html**.

209) Alberto Talavero et al, **File//D/LATEST/XOO12-MA.htm.**

210) James Wolfenson, Global Trade and the Developmeny Round, **http://www.worldbank.org/html/extpb/globaltrade.**

211) Pearson to Invest 250 m L in West web Content, **http://www.sako.co.za/English/**

212) The Economist Style Guide, **http://www.economist.com/editorial/freeforall/styleguide/toc/html.**

213) The International Monetary Fund: The IMF at a Glance, **http://www.imf.org/external/np/facts/glance.htm.**

214) The World Bank Group: 1996, Global Economic Prospects and the Developing Countries, **http://www.worldbank.org/html/extpbl/geb96eng/ gepon.html**.

215) The World Bank Group: About the Economist Style Guide. **http://www.worldbank.org/html/extdr/about.**

216) The World Bank Group: Population and Development: Implications for the World Bank. **http://www.worldbank.org/html/extdr/hnp/populations/pop-dev/popdev.htm.**

217) The World Bank Group: Press Review. **http://www.WBLNOOB.worldbank.org/News/Devn/htm.**

218) The World Bank Group: Priorities and Strategies for Education 1995, **http://www.worldbank.org/html/extpb/priorities Education.htm.**

219) The World Bank Group: Private Capital Flows to Developing Countries. **http://www.worldbank.org/html/extpb/pcf/pcfeng.htm.**

220) World Trade Organization. **http://www.wto.org/WTO/imbrol.htm.**

221) World Trade Organization: 10 Common Misunderstandings about the TWO, **http://www.wto.org/10mis/htm.**



السيرة الشخصية



د . محمد حسام الدين

* مدرس الإعلام الدولى بكلية الإعلام ــ جامعة القاهرة
* مواليد الجيزة فى ديسمبر ١٩٦٨ .
* حصل على درجة الدكتوراه فى الإعلام بمرتبة الشرف الأولى فى يناير ٢٠٠٢ ــ برنامج للإشراف المشترك بين جامعة القاهرة وجامعة إنديانا بولاية بنسلفانيا الأمريكية.
* حصل على درجة الماجستير فى الصحافة بتقدير ممتاز فى يناير ١٩٩٦ من كلية الإعلام جامعة القاهرة فى رسالة بعنوان " المسئولية الاجتماعية للصحافة المصرية " .
* حصل على درجة البكالوريوس فى الإعلام فى مايو ١٩٩١ من قسم الصحافة بكلية الإعلام بتقدير جيد جداً مع مرتبة المشرف .
* عمل محرراً بالقسم السياسى بجريدة (العالم اليوم) فى الفترة من عام ١٩٩٥ إلى عام ١٩٩٩ .
* له أوراق بحثية منشورة بموقعه على شبكة الإنترنت

Www.globalpapers.net

عن (الإعلام وما بعد الحداثة) ، (مستقبل الصحافة المطبوعة فى العالم)

Email : hosamedn2@ hotmail.com



العولمة .. وصورة الإسلام

تـأليـف :

د . محمد حسام الدين

الغلاف والاشراف الفنى :

وائـــل حســـان

الطبعة الأولى

٢٠٠٢

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٢ / ١٧٤٩٧



١٠ شارع النورس - التعاون - الهرم

ص.ب : ٦٩ الهرم تليفاكس : ٧٤٠٥٠٥٧

محمول : ٠١٢/٣٩٥٦٠٠٢ - ٠١٠/١٤٨٥٤٤١

Email:madenapress@hotmail.com